حسين علي الشرهاني

حياة السيدة
خديجة بنت خويلد
من المهد إلى اللحد

دار ومكتبة الهلال
بيروت

دار البحار
بيروت

BP
٢٦/٢
س٩ س٤/
ن١٠١

حياة السيدة خديجة بنت خويلد من المهد إلى

حسين علي الشرهاني

بة الهلال
ـار

F99809

ISBN 9953-75-120-X

9 789953 751207

Designed by R .Sedik

دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر

جادة هادي نصر الله -بناية برج الضاحية-ملك دار ومكتبة الهلال

تلفون: 00 961 1 540891 فاكس: 00 961 1 540892

ص.ب:15/5003 الرمز البريدي 2010-1101 البسطا-بيروت لبنان

E-mail:info@darelhilal.com www.darelhilal.com

حياة السيدة
خديجة بنت خويلد
من المهد الى اللحد

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للناشر

2005 م

تطلب منشوراتنا في الولايات المتحدة الامريكية

على العنوان التالي: P.O.BOX: 3266
Fallschurch.

Virginia usa 22043

السيدة

خديجة بنت خويلد

من المهد الى اللحد

صفحات مطوية

حسين علي الشرهاني

دار و مكتبة الهلال

دار البحار
بيروت

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة للناشر

الطبعة الاولى

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزال مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو، وبأي طريقة، سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك إلاّ بموافقة الناشر كتابة ومقدماً.

ISBN 9953-75-120-X

المتعهد الوحيد لتوزيع منشوراتنا:

دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر
جادة هادي نصرالله ـ بناية برج الضاحية ـ ملك دار ومكتبة الهلال
تلفون: 00 961 1 540891 فاكس: 00 961 1 540892
ص.ب.: 15 / 5003 الرمز البريدي 2010 - 1101 البسطا ـ بيروت لبنان
http:\\www.darelhilal.com E-mail: info@darelhilal.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾.

روي عن رسول الله ﷺ:

«أتى جبرائيل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه أدام وطعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا خصب فيه ولا نصب».

أخرجه البخاري، الصحيح ٥/ ٤٨، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضائلها.

الإهداء

سيدي: رسول الله ﷺ

نستقي الرحمة بوجهك الكريم...

ونشكو إلى الله فقدك...

هل لي أن أنحني أمام بهائك...

وأقدم جهداً بسيطاً كهذا...

سيدتي: أم المؤمنين خديجة الكبرى عليها السلام . . .

كثيرات هن النساء اللواتي مررن بصفحات التاريخ...

وكثيرة هي الأقدام التي لم تحفظ ذاكرة الزمان وقعها...

وأنت سيدتي:

أية صفحات ملائكية مضيئة تستطيع احتمال فيض حضورك المشرق دوماً في إسلام الدنيا؟

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

قد يرى بعض الباحثين أن التاريخ ليس دراسة الشخصيات بل هو موضوع حي يصور حياة الأمة وتدرجها. وما دامت الحياة متعددة النواحي متشعبتها، كان على المؤرخ دراسة المجتمع من مختلف نواحيه الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية[1].

وهذا الرأي يحتمل المداخلة والحوار لأن العصر الذي نعيشه، عصر التخصص بل تخصص التخصص، وعصر الثورة المعلوماتية، ولذلك فليس من السهل على المرء مهما أوتي من قدرة وعلم أن يحيط بعصر كامل أو بفترة زمنية بظروفها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعلمية وبشخصياتها الفاعلة والمنفعلة. ومن هنا كان الأولى التركيز على نقاط أو مثابات بعينها بوصفها أجزاء في مجتمع ودراستها، ومن ثم يأتي مؤرخ يجمع هذه المثابات برؤية كلية كي يستطيع أن يعطي

(١) الدوري، عبد العزيز، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد ١٩٤٥، ص٥.

صورة موضوعية عن تلك الفترة أو ذلك العصر.

فدراسة حياة الرسول ﷺ لا تعني أنها دراسة شخصية وإنما تمثل دراسة المجتمع الإسلامي بأكمله في فترة الرسالة وما بعدها وتأثير هذه الشخصية فيه، وما أنتجته وما أحدثته من تغيير. وهذا ما نراه واضحاً في اهتمام المسلمين في نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني وما بعده بدراسة سيرة الرسول ﷺ وما تركوه لنا من تراث ضخم يمثل المرحلة الأولى من الإسلام، فكانت هذه الدراسة تمثل حياة الأمة بأكملها ولم تكن شخصية.

لذلك فإننا عندما ندرس حياة إحدى الشخصيات البارزة في فترة الرسالة لا يعني أننا نريد أن نتعرف على مميزات هذه الشخصية فقط بمعزل عن المجتمع الذي عاشت فيه، بل نريد دراسة الشخصية لأنها جزء من المجتمع وهذا الجزء هو أحد الأعضاء الذين تكون منهم المجتمع وتأثيره في بقية الأجزاء وتأثير بقية الأجزاء فيه، ونخرج بنتيجة هي أننا درسنا الكل من خلال الجزء والعكس صحيح، لأن المجتمع هو مجموعة من الأجزاء تكون كلاً متكاملاً لا يمكن أن نهمل أي جزء مهما كان دوره صغيراً لأن ذلك يعد خللاً في البناء التاريخي.

وعلى ما تقدم تكون دراسة الشخصية جزءاً فاعلاً ومهماً في دراسة العصر، إذ لا يمكن فهم العصر إلا على أساس دراسة الشخصيات البارزة فيه والتعرف على طبيعتها وتأثيرها في المجتمع.

وبحثنا عن السيدة خديجة عليها السلام من هذا القبيل لأنها جزء من المجتمع المكي الذي احتضن الرسالة المحمدية المطهرة الخالدة، حيث

عاشت قبل زواجها من النبيﷺ فترة طويلة ثم تزوجت وبقيت معه قبل أن يبعث فترة حددتها الروايات بخمسة عشر عاماً، ثم عاشت معه عشر سنوات بعد البعثة النبوية الشريفة.

إذن دراسة سيرتها الشخصية تعني التعرف على حياة مكة قبل البعثة حتى نستطيع أن نحدد تأثير المجتمع في شخصيتها، ثم دراسة التيارات السائدة في ذلك المجتمع وتأثيرها فيه وعلاقتها بالرسولﷺ وزواجها منه وهذه مرحلة طويلة من التأثير المتبادل. وهذا يقودنا إلى دراسة شاملة عن المجتمع سواء قبل الإسلام أم بعده، وعليه يكون أي رأي يدعي لي أن هذا الكتاب تاريخياً بعيد عن الصواب لأننا بالرغم من تركيزنا على المميزات الذاتية للسيدة خديجةعليها السلام سوف ندرس جوانب كثيرة من المجتمع المكي من خلال شخصيتها، ثم ندرس إرهاصات النبوة ونضال الرسولﷺ في الدعوة الإسلامية ودورها في هذا الأمر.

هذا فضلاً عن ما قدمناه من ضرورة دراسة هذه الشخصيات وتأثيرها الكبير في الإسلام الذي أصبح أساس وجودنا الحضاري وهويتنا الإنسانية. فالسيدة خديجةعليها السلام كان لها الأثر الكبير في حياة الرسولﷺ أولاً، والدعوة الإسلامية ثانياً، فلا نعرف أن امرأة في تاريخ المسلمين كان لها أثر كما كان للسيدةعليها السلام فقد واست رسول اللهﷺ بمالها ونفسها وظاهرته بعشيرتها مما يسر له أن يعيش حياة هانئة ملؤها الحب والاستقرار ليتفرغ لهمومه وأفكاره الروحية، بعد أن أراحته من نصب العيش ومشاغل الحياة، ثم كانت الصدر الحنون الذي وضع رسول اللهﷺرأسه عليه كلما زادت عليه الهموم، وناضلت في الإسلام نضالاً يكاد يعجز عنه أشد الرجال. وفي ذلك يقول أحد الباحثين:

«كانت في مواقفها تلك أنفذ في نشر دين الله من ألف سيف»[1]. لأنها أفنت نفسها وحياتها وراحتها في خدمة الرسول ﷺ. وهي في كل هذا كانت قد ذابت في حب الله ثم حب زوجها، فانطلق الإسلام من بيتها خيراً وبشراً للإنسانية جمعاء، وبعد أكثر من مائة عام من هذا التاريخ أصبح أكثر من ثلث الكرة الأرضية ينادي «لا إله إلا الله محمد رسول الله» لذلك كله اخترنا دراسة سيرة السيدة خديجة عليها السلام.

إن الباحثين سواء أكانوا مستشرقين أو مسلمين كتبوا في نواح كثيرة من تاريخنا الإسلامي وتناولوا الكثير من جزئياته، حتى يخيل للمرء أنه لم يعد هناك ما يدرس، لكن إذا ألقينا نظرة فاحصة على هذه الكتابات نجد أن الكثير من الجوانب لم تتناولها أقلام الباحثين أو تناولوها بصورة عامة، والسيرة النبوية بالذات كانت أكثر الجوانب أهمية في التاريخ الإسلامي لأنها تمثل أساس كل التوجهات التي حدثت بعد ذلك، لذلك ابتدأ المستشرقون بدراستها أولاً ثم تابعهم الباحثون المسلمون وكتبوا في السيرة العشرات من الكتب والبحوث، بل قد لا نجانب الصواب إذا قلنا المئات من الكتب والبحوث والمقالات، لكن هذه الكتب لم تدرس السيرة النبوة كاملة وهي بحاجة إلى مزيد من الدراسة والبحث.

وعلى الرغم من كثرة هذه الدراسات لم نجد دراسة واحدة تناولت حياة السيدة خديجة عليها السلام وأثرها في حياة الرسول ﷺ والمسلمين بصورة علمية، وكل ما وجدنا كتابات أدبية أو تعريفية،

---

(١) رضا، محمد سعيد، صفحات من تاريخ المرأة الحربية، آفاق عربية، السنة ٩، العدد ١١، ١٩٨٥، ص٤٦.

الغرض منها تعريف الناس بهذه الشخصية، معتمدين على أحد كتب السيرة وأخذ بعض الروايات الموجودة فيه والتعليق عليها، دون مناقشة لهذه الروايات ومقارنتها بروايات موجودة في مصادر أخرى وابعاد الضعيف منها كذلك، فإن دراستهم شخصية بحتة لم تأخذ تأثير المجتمع فيها وتأثيرها في المجتمع.

وفيما يلي بعض من هذه الدراسات التي حصلنا عليها إذا رغب القارىء الرجوع إليها ليتبين صحة رأينا فيها:

١ ـ إبراهيم زكي الساعي، أم الإشتراكية خديجة بنت خويلد، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، د.ت.

٢ ـ بثينة توفيق، خديجة أم المؤمنين، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٨.

٣ ـ طه عبد الباقي سرور، خديجة زوجة الرسول، دار الشرق الجديد، القاهرة، ١٩٥٧.

٤ ـ عبد الحميد جودة السحار، خديجة بنت خويلد، دار مصر للطباعة، مصر، ١٩٦٧.

٥ ـ عبد الحميد الزهراوي، خديجة أم المؤمنين، مطبعة المنار، مصر، ١٩٤٥هـ.

٦ ـ عبد السلام العشري، خديجة بنت خويلد، مؤسسة المطبوعة الحديث، مصر، د.ت.

٧ ـ عبد الله العلايلي، مثلهن الأعلى خديجة أم المؤمنين، مطبعة الهلال، بغداد، د.ت.

٨ ـ عبد الستار البعاج، خديجة الكبرى، مطبعة الغري الحديثة، النجف، ١٩٥٦.

٩ ـ عبد المنعم محمد عمر، خديجة أم المؤمنين، الهيئة العامة للطباعة، مصر، ١٩٩٤.

١٠ ـ محمد أحمد برانق، خديجة الطاهرة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.

١١ ـ محمد علي قطب، خديجة بنت خويلد، دار القلم، لبنان، ١٩٨٨م.

١٢ ـ عائشة عبد الرحمن، نساء النبي عليها السلام، دار الهلال، مصر، د.ت.

١٣ ـ سعيد هارون عاشور، نساء النبي، مكتبة الآداب، مصر، ١٩٩٦م.

لكن هذا لا يعني أننا ننتقص من جهود هؤلاء الباحثين الذين كلفوا أنفسهم وانبروا إلى بيان فضائل السيدة خديجة عليها السلام وحياتها، بل بالعكس من ذلك نحن نشكر لهم جهودهم التي بذلوها في هذا المجال، ولا نقول إلا أن معظمهم ألفوا كتبهم بهدف تعريف الناس بهذه الشخصية ولم يكن شأنهم البحث التاريخي العملي، لهذا جاءت كتاباتهم بهذه الصورة.

أما الباحثون الذين درسوا السيرة النبوية بصورة عامة أو جوانب من حياة النبي صلى الله عليه وآله بصورة خاصة، فقد أشاروا بصورة موجزة إلى دور السيدة خديجة عليها السلام ضمن كلامهم عن السيرة، لذلك لم نستطع التعرف

على حياتها أو دورها في حياة الرسول ﷺ من خلال هذه الدراسات، كما أن هذه الكتابات لم تتناول الروايات المتعلقة بالسيدة عليها السلام بالنقد أو التحليل بل مرت عليها دون تحليل أو مناقشة، لذلك لا يمكن أن نعد هذه الدراسات أساساً لدراسة حياتها فقط، وبالرغم من ذلك فإن فيها الكثير من الآراء الجيدة والصائبة التي استعنا بها في بحثنا.

وهذا الأمر جعلنا نشعر أن من الواجب علينا أن نخصص هذه الدراسة لسيرة السيدة خديجة عليها السلام، لنسد النقص في مكتبتنا ونضع بين يدي القراء والباحثين كتاباً علمياً يتناول حياتها.

ولا نخفي أننا واجهنا الكثير من الصعوبات التي تعترض كل بحث علمي ويقف على رأسها قلة الروايات التي أوردتها المصادر المختلفة عن السيدة خديجة عليها السلام، حتى أن فترات طويلة من حياتها بقيت غامضة لا نعرف عنها شيئاً، وبرأينا أن هذا هو سبب عزوف الباحثين عن التطرق لدراسة سيرتها، لكننا استطعنا التغلب على هذه الصعوبة عن طريق المقارنة بين هذه الروايات والخروج بآراء جديدة منها وإن كان الكثير منها افتراضية، لكن يقوي هذه الافتراضات الأدلة التي قدمناها والتي تؤيد هذه الافتراضات.

وهذه العقبة كانت أهم ما اعترضنا، حتى إننا في بداية جمع المادة خيل لنا أن المادة لا تكفي إلا لكتابة بحث صغير وليست كافية ليكون كتاباً قيماً، لكن الله وفقنا فكان هذا الكتاب.

لقد قسمنا هذا الكتاب إلى ستة فصول مع المقدمة والخاتمة، كان الفصل الأول أشبه بالتمهيد حيث تناولنا أجداد السيدة خديجة عليها السلام القريبين منذ قصي الجد المشترك لها ولرسول الله ﷺ وحتى خويلد بن

أسد أبوها ودورهم في الأحداث المهمة في أحداث وتاريخ مكة لنتعرف من خلاله على وزن بني أسد بن عبد العزي في مجتمع مكة، ومن ثم نستطيع أن نتصور مكانة هذه البطن من بطون قبيلة قريش وترتيبه بين البطون الأخرى، وهذا يقودنا إلى معرفة تأثير هذه الأسرة في السيدة خديجة عليها السلام. ثم تناولنا أسرتها القريبة أي أباها وأمها وأخوتها، وبالرغم من قلة المعلومات عن ذلك فقد استطعنا أن نعطي تصوراً عاماً عنها حيث ركزنا على دور الأسرة الاجتماعي والاقتصادي والديني وعلاقتها بالسيدة عليها السلام، ثم انتقلنا إلى تحديد ولادتها ونشأتها في هذه العائلة وأثرها في صقل شخصيتها. أما الفصل الثاني فقد ركزنا فيه البحث على الروايات التي ذكرت زواجها قبل الرسول صلى الله عليه وآله مرتين وإنجابها مجموعة من الأبناء، وحاولنا أن نناقش هذه الروايات لنتبين صحتها فأخذنا كل زوج وأبناءه على حدة الواحد تلو الآخر ولم نناقشهم مجتمعين، وذلك لسهولة البحث أولاً، وحتى لا تلتبس الأفكار على القارىء ثانياً. ولم نكتف بعرض الروايات الخاصة بهم ومناقشتها بل استعنا بروايات أخرى لتأكيد ضعف وقوة هذه الروايات. وكان الفصل الثالث مخصصاً للجانب الاقتصادي من حياتها فابتدأنا بالتركيز على مصادر أموالها معتمدين على الافتراض في أغلب الأحيان، لعدم وجود روايات تبين ذلك ثم انتقلنا إلى كيفية إدارتها لأموالها وحجم هذه الأموال ونوعها، وبعد ذلك دخلنا في موضوع عمل رسول الله صلى الله عليه وآله معها وهل ابتدأ هذا العمل مصادفة أم بطلب منها أم لرغبة الرسول صلى الله عليه وآله في ذلك، وعرفنا من خلاله عمله قبل أن يعمل معها وحاولنا تحديد المدة التي عمل فيها معها، وأخيراً تتبعنا مصادر إنفاق هذه الأموال حتى الهجرة النبوية إلى يثرب «المدينة المنورة».

وركز الفصل الرابع على زواج رسول الله ﷺ منها فجمعنا كل الروايات المتعلقة بهذا الأمر وأبعدنا الضعيف منها التي لا يقبلها العقل والمنطق وتعارضها الروايات الموثوقة، ولم نعتمد على رواية دون أخرى بل أخذنا من كل رواية ما يوافق سيرة رسول الله ﷺ وتركنا الباقي، ونحن بذلك لم نكن انتقائيين في هذا الأمر، لأن وجوه الضعف في هذه الروايات التي تركناها كانت تسيء إلى رسول الله ﷺ وزوجته، لذلك وتمشياً مع المنهج العلمي الذي خطه لنا القرآن الكريم وسيرة رسول الله ﷺ يجعلنا لا نقبل هذه الأمور. ثم ناقشنا مسألة المهر والزواج السائد في مكة في هذه الفترة وبعدها تتبعنا حياة الرسول ﷺ معها حتى البعثة.

وخصصنا الفصل الخامس لأبناء وبنات الرسول ﷺ منها وفضلنا فيه أن نناقش كل واحد منهم على حدة كما فعلنا في الفصل الثاني، وكان التركيز على ولادة ووفاة كل منهم أكثر من التركيز على حياتهم، لأن هذا الأمر لو دخلنا فيه لخرجنا عن موضوعنا وأبعدنا عنه.

وجاء الفصل السادس ليركز على الجانب الثاني من حياة السيدة خديجة عليها السلام مع الرسول ﷺ ودور السيدة خديجة عليها السلام في هذا الأمر، وحاولنا جهد إمكاننا أن نحلل هذه الروايات لنتبين الدور الصحيح الذي قامت به السيدة في هذا الأمر، ثم انتقلنا إلى دورها في البعثة النبوية وما جابهته من مشاق وما حملته على عاتقها من مصاعب في سبيلها وخاصة حصار الشِّعْب الذي فرض على بني هاشم والذي يبدو أنه أثر بالسيدة عليها السلام حتى أنها توفيت بعد الخروج منه. واختتمنا هذا الفصل بجمع الأحاديث النبوية التي قالها رسول الله ﷺ فيها من كتب الحديث النبوية ثم بقاء السيدة خديجة عليها السلام حية في ذاكرة الرسول ﷺ بعد وفاتها.

في هذا الكتاب تم الاعتماد على مصادر متنوعة من كتب السيرة

والتاريخ العام والأدب واللغة والطبقات والتراجم والتفسير والحديث النبوي والكتب الجغرافية. لكننا لا نريد أن نتبع الإطار التقليدي الذي درج عليه الكثير من الباحثين الذين ركزوا على عرض هذه المصادر فقط في محاولة منهم لتحليلها، وهم بذلك لم يقدموا تحليلاً لها بل استعرضوها فقط، لذلك رأينا أن نبتعد عن هذا الأمر التقليدي ونركز على الرواة الأصليين الذين جاءت عن طريقهم رواياتنا، فهو أفضل بكثير من التركيز على المصادر التي نقلت هذه الروايات عنهم، وهؤلاء الرواة مختلفو الأهواء والثقافات والمؤثرات مما جعلنا نتوجه إلى دراستهم ومعرفة نسبة إسهام كل منهم في دراستنا، لكن هذا لا يعني أن نبتعد عن موضوع الكتاب الأصلي إلى دراسة حياة أولئك الرواة بقدر ما حاولنا معرفة توجهات كل منهم وتأثيرها في موضوع روايته.

إن أكثر الروايات التي حصلنا عليها جاءت عن طريق عروة بن الزبير «ت ٩٤هـ» والزهري «ت ١٢٤هـ» وهشام بن عروة «ت ١٤٦» ومحمد بن إسحاق «ت ١٥١هـ» وهشام بن محمد بن السائب الكلبي «ت ٢٠٤هـ» والواقدي « ت٢٠٧هـ».

واعتمد هؤلاء الرواة بعضهم على بعض، فمثلاً الكثير من روايات الزهري جاءت من طريق عروة بن الزبير، وكذلك روايات هشام بن عروة. وجاءت بقية الروايات عن رواة آخرين بعضها عمن قدمناه، لكن نسبة الروايات التي أخذناها منهم كانت أقل مثل قتادة بن دعامة السدوسي «ت ١١٧هـ» وموسر بن عقبة «ت ١٢٤هـ» وابن جريج «ت ١٥٠هـ» وسيف بن عمر «ت ١٧٠هـ» ومحمد بن الحسن بن زبالة «ت ١٩٩هـ» وأبو عبيدة معمر بن المثنى «ت ٢٠٨هـ» ومصعب الزبيري «ت ٢٣٦هـ» والزبير بن بكار «ت ٢٥٦هـ».

وأخذنا عن رواة آخرين رواية أو روايتين أو ثلاثة مثل يزيد بن رومان «ت ١٣٠هـ» وعبد الله بن أبي بكر «ت ١٣٥هـ» وعبد الله بن محمد بن عقيل «ت ١٦٥هـ» وحماد بن سلمة «ت ١٦٧هـ» ومؤرج السدوسي «ت ١٩٥هـ».

لذلك سنركز بحثنا على الرواة الأساسيين الذين جاءت رواياتنا عن طريقهم ومن أخذ عنهم:

١ ـ عروة بن الزبير «ت ٩٤هـ»:

ينتمي عروة بن الزبير إلى عائلة قرشية، أبوه الزبير بن العوام بن خويلد وعمة أبيه خديجة بنت خويلد عليها السلام وأمه أسماء بنت أبي بكر وخالته عائشة بنت أبي بكر (رض)[١].

ولد عروة ونشأ في المدينة المنورة وسمع من مجموعة من الصحابة مثل الزبير بن العوام وعبد الله بن الزبير وأسماء بنت أبي بكر والمغيرة بن شعبة وأسامة بن زيد وأبي أيوب الأنصاري وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان وحكيم بن حزام وعائشة[٢].

واشترك مع أخيه عبد الله في نزاعه مع الأمويين[٣]، ثم رحل إلى

---

(١) ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر، (ت٦٨١هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧١، ٣/ ٢٥٥ . ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، (ت٨٥٢هـ) تهذيب التهذيب، مطبعة المعارف النظامية، الهند، ١٣٢٥هـ، ٧/ ١٨٠.

(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٧/ ١٨٠ ـ ١٨١.

(٣) البلاذري، أحمد بن يحيى، (ت٢٧٩هـ)، أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف، مصر، ١٩٥٩، ١/ ٦٣.

عبد الملك بن مروان في الشام بعد مقتل أخيه عبد الله[١]. وأصبحت علاقته حسنة بالأمويين، لذلك أخذ يتردد على البلاط الأموي فسافر مرة أخرى إلى الشام وأقام بها لفترة من الزمن في عهد الوليد بن عبد الملك[٢].

درس مجموعة من الباحثين دور عروة في تدوين السيرة مثل يوسف هورفتس في كتابه «المغازي الأولى ومؤلفوها»، وجواد علي في بحوثه حول موارد تاريخ الطبري، وعبد العزيز الدوري في كتابه «نشأة علم التاريخ عند العرب»، لذلك سوف نأخذ آراء هؤلاء الباحثين ونناقشها.

يرى هورفتس أن عروة بن الزبير أول من كتب في المغازي فيقول: «وعلى الرغم من أننا لا نجد في أي مصدر قديم كتاباً حقيقياً في المغازي، فإننا واثقون أنه جمع وأخرج مجموعة أحاديث عن أهم الحوادث في حياة النبي»[٣]، أما جواد علي فذهب إلى ما قاله هورفتس بقوله: «يقال أنه وضع كتاباً في المغازي لم يصل إلينا كما كتب بحوثاً في موضوعات إسلامية»[٤]، ويرى الدوري أنه «أول من ألف كتاباً في المغازي وكان مؤسس مدرسة المغازي»[٥].

---

(١) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، (ت٢٧٦هـ). المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٦، ص١١٤.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣/ ٢٥٧. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٧/ ٢٨٣.

(٣) هورفتس، يوسف، المغازي الأولى مؤلفوها، ترجمة حسين نصار، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٩٤٩، ص٢٢.

(٤) علي، جواد، موارد تاريخ الطبري، مجلة المجمع العلمي العراقي، م٣، ١٩٥٤، ص٣٩.

(٥) الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٠، ص٢١.

إن هذه الآراء التي قدمناها لم تستند إلى واقع أو حقيقة ثابتة، والباحثون أنفسهم بعد أن قدموها ما لبثوا أن نقضوها، فجواد علي بعد أن قدم رأيه الأول عاد وقال: «لم يبقَ من كتاباته شيء سوى ما اقتبس منها في كتبه الأخرى»[١]، والدوري كذلك قال: «لكن روايات عروة التي وصلتنا قليلة ومبعثرة لا تمكننا من الحصول على فكرة واضحة عن مغازيه أو عن الهيكل الذي انتظمت فيه رواياته إن وجد»[٢]، «وكل ما وجدناه هو أن عروة حدث في المغازي لكننا لا نستطيع أن نتبين في رواياته خطة واضحة في السيرة»[٣].

إن الأساس الذي بنوا عليه آراءهم هذه الروايات التي أوردها الزهري وموسى بن عقبة وهشام بن عروة بن الزبير، ومجموعة من الإشارات في المصادر التاريخية، مثل ما ورد في كتاب الفهرست «أبو حسان الحسن بن عثمان الزيادي «ت ٢٤٣هـ» له في الكتب كتاب مغازي عروة بن الزبير»[٤]، وقول الواقدي: «هو أول من صنف في المغازي»[٥]. وما أورده السخاوي «ثم أنه قد روى ابن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير المغازي، وكذا الزهري عن عروة بن الزبير»[٦].

---

(١) علي، موارد تاريخ الطبري، ٣/ ٣٩.

(٢) الدوري، نشأة علم التاريخ، ص٢٢.

(٣) المصدر نفسه ص٧٣.

(٤) ابن النديم، محمد بن إسحق، (ت٣٨٠هـ)، كتاب الفهرست، تحقيق رضا تجدد بن علي، طهران، ١٩٧٠، ص١٢٣.

(٥) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت ٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، د.ت، ٥/ ١٣٣.

(٦) السخاوي، محمد بن عبد الرحمن (ت٩٠٢هـ)، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، نشره القدسي، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٤٩هـ.

لكن الروايات التي نقلها الرواة عنه والنصوص المتقدمة ليست دليلاً على أنه ألف في المغازي والسيرة، كما جزم الباحثون الذين قدمنا آراءهم، وقول الواقدي لا يعني أنه ألف كتاباً بل إنه تحدث في المغازي والسيرة وهذا ليس دليلاً على التأليف. وكل ما يمكن قوله عن هذا الأمر هو أننا يجب أن نفرق بين الرواية التي نقلها عنه بعض من اهتم بالسيرة كالزهري وغيره، وبين تدوينها كما جاء عند موسى بن عقبة وابن إسحق وغيرها ممن دونوا سيرة الرسول ﷺ لا سيما وأن معظم رواياته جاءت أجوبة على أسئلة وجهت إليه من البلاط الأموي[1].

كذلك فإن الفترة التي عاشر فيها عروة كانت مرحلة قلقة بالنسبة له، فقد خسرت عائلته طموحها للوصول إلى الحكم، فتقرب للأمويين من أجل أن يعيش حياة مستقرة، فأشغل نفسه بروايات السيرة في محاولة لإبراز دور عائلته فيها وما قدمته للإسلام من خدمات كموروث اجتماعي يعتز به، وهذا ما سوف نراه واضحاً في روايته التي اعتمدنا عليها.

اعتمد البحث على مجموعة من روايات عروة غطت جوانب من البحث جاء أغلبها عن عائشة(رض) في ما جاء القسم الآخر بدون سند، وأهم المواضيع التي اهتم بها هي دور السيدة خديجة عليها السلام في البعثة النبوية، أما الروايات التي سبقت هذه الفترة فهي قصيرة ومختصرة وهي لا تعدو رواية أو اثنين، وتبدأ رواياته في البعثة بنزول الوحي على رسول الله ﷺ والكيفية التي تلقاه بها، وإخباره زوجته خديجة عليها السلام بالأمر

---

(١) الطبري، محمد بن جري (ت٣١٠هـ). تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨، ٢/٣٢٨، ٣٢٩، ٣٦٦، ٤٢١، ٤٢٤، ٣/ ٥٤، ٥٦.

وموقفها الثابت منه، ودور ورقة بن نوفل في هذا الأمر ثم ينتقل إلى وفاتها وأحاديث رسول الله ﷺ فيها. وفي هذه الروايات يبرز عروة دور السيدة خديجة عليها السلام، ودور ورقة بن نوفل في بدء الوحي ويجعلها الأساس الذي قامت عليه الدعوة، في الوقت الذي يصور الرسول ﷺ خائفاً مذعوراً من هول المفاجأة، وهذا دليل على أن رواياته جاءت لتخدم عائلته وتركز على دورها الأساسي في بداية الدعوة حتى ولو كانت تسيء إلى رسول الله ﷺ. لا سيما وأن أكثر الروايات التي تذكر أن الرسول ﷺ كان يتقرب من الأصنام جاءت عن طريقه وطريق ابنه هشام وهذا ما سنراه واضحاً في الفصل السادس.

ويؤيد رأينا السابق أن أغلب روايات الوحي جاءت عن طريق عروة أو الزهري الذي نقل عنه موالي آل الزبير مثل وهب بن كيسان وإسماعيل بن حكيم ويزيد بن رومان وموسى بن عقبة. لذلك فإن نسبة مرويات عروة لم تكن كبيرة إذا ما قورنت بغيره من الرواة كابن إسحق والواقدي.

١ ـ الزهري (ت١٢٤هـ) :

محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب، نشأ في المدينة وأدرك مجموعة من الصحابة منهم أنس بن مالك[١]، وروى عن عبد الله بن جعفر وعبد الله بن عمر بن الخطاب والمسور بن مخرمة وسهل بن سعد وعلي بن الحسين وغيرهم[٢].

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤/ ١٧٧.

(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/ ٤٤٧.

وكانت له صلات مبكرة مع الأمويين، فقد وفد بصغره على مروان بن الحكم في دمشق[1]. ثم وفد على عبد الملك بن مروان وطلب منه أن يسجل اسمه في الديوان ويجري له راتباً ففعل عبد الملك ذلك[2]، ويرى هورفتس أنه وضع نفسه نتيجة لذلك في خدمة عبد الملك ضد عبد الله بن الزبير مستنداً في ذلك على رواية أوردها اليعقوبي في أن عبد الملك بنزاعه مع عبد الله بن الزبير قال لأهل الشام: «هذا ابن شهاب يحدثكم أن رسول الله قال: لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام بمكة ومسجد المدينة ومسجد بيت المقدس»[3]، وبعد ذلك لازم أبناء عبد الملك الوليد حتى وفاته ثم سليمان ثم عمر بن عبد العزيز، ثم يزيد بن عبد الملك الذي جعله قاضياً ثم لازم هشام بن عبد الملك الذي جعله مؤدباً لأولاده ولم يفارقه حتى مات سنة ١٢٤هـ[4].

ورغم أن الروايات التي وردت عن الزهري تشير إلى أنه استقر في الشام وقام بزيارات متقطعة إلى المدينة[5]، نرى أن الدوري يقول: «إن الزهري لم يبق في دمشق بل كانت إقامته في المدينة، مع أنه كان يقوم بزيارات متقطعة إلى دمشق»[6].

---

(١) المصدر نفسه، ٩/ ٤٥١.

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، القسم المتمم. تحقيق محمد منصور، المدينة المنورة، ١٩٨٣، ص١٥٩ ـ ١٦١.

(٣) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب، (ت٣٨٤هـ)، تاريخ اليعقوبي، تقديم السيد محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، النجف، ١٩٦٤، ٣/ ٨.

(٤) ابن سعد، القسم المتمم، ص ١٦٢. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤/ ٧٧ ـ ٨٢.

(٥) ابن سعد، القسم المتمم، ص ١٦٢. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤/ ٧٧ ـ ٧٨.

(٦) الدوري، نشأة علم التاريخ، ص١٠٠.

وقد دون الزهري الأحاديث والأخبار بناءً على طلب الأمويين»[1]، لكن الدوري يرى أن هذا الأمر صدى لآراء المحدثين فيما بعد وليس صحيحاً[2]، وهذا الرأي تخالفه الروايات الصحيحة التي وردت عن الزهري نفسه: «كنا نكره الكتاب حتى أكرهنا عليه السلطان، فكرهنا أن نمنعه الناس»[3].

وهذه الأحاديث التي دونها الزهري بناء على طلب الأمويين ليست دليلاً على أنه كتب السيرة ودوَّن المغازي، كما يفترض الدوري «أن الدور الأول في نشأة مدرسة التاريخ في المدينة يعود للزهري، إذ أنه وضعه على أسس راسخة ورسم وجهة الدراسة التاريخية فيها»[4]. وهذا الرأي مقبول لو وجدنا أي مصدر قديم ذكر أن الزهري ألف كتاباً في المغازي، لكن كل الذي وجدناه هو أحاديث أوردها عنه من جاء بعده، وهذا ما أكده الدوري بقوله: «وليس لدينا من مغازي الزهري إلا مقتطفات وردت بالدرجة الأولى في ابن إسحق والواقدي والطبري والبلاذري وابن سيد الناس»[5].

إذن كان الزهري مثل عروة بن الزبير راوية للأخبار التي سمعها من مجموعة من الصحابة ومن أدركهم، وليس كاتباً للسيرة بالمعنى

---

(١) أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله (ت٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٦٧، ٣/ ٣٦١ . ابن كثير، إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ).

(٢) الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ١٠١.

(٣) أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ٣/ ٣٦٣.

(٤) الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٧٦ ـ ٧٧.

(٥) المصدر نفسه، ص ٨٢.

المعروف عند ابن إسحق.

وقد اعتمد البحث على روايات الزهري أكثر من اعتماده على روايات عروة، لأنها أشمل وأعم منها، حيث تناولت زواج السيدة قبل الرسول ﷺ وعمله في تجارتها منذ زمن مبكر بإرساله إلى سوق حباشة ثم إرساله إلى الشام مع أحد أقاربها، وهو خزيمة بن حكيم البهزي، ثم تناولت زواجه منها وأولاده وبناته منها ثم تعرض إلى البعثة النبوية وركز على بدء الوحي ودور السيدة خديجة عليها السلام فيه، وأحاديث النبي ﷺ عنها، وهذه الروايات منقولة عن عروة، لذلك نرى فيها التوجه نحو دور بني أسد بن عبد العزى في البعثة النبوة، لكن بالرغم من أن أغلب أسانيد الزهري كانت عن عروة، نجد أن ابن حجر يذكر أن الزهري لم يسمع من عروة، وهذا الأمر اتفق عليه أهل الحديث اتفاقاً[1]، وقد يؤيد رأي ابن حجر أن الزهري كان مستقراً في الشام.

أما قيمة مرويات الزهري فإنها تأتي في الفترة التي سبقت البعثة النبوية حيث قدم معلومات لم ترد عند غيره، لكن أغلب هذه الروايات لم تكن مسندة، لذلك ضاعت علينا فرصة معرفة مصادر رواياته.

٢ ـ هشام بن عروة (ت ١٤٦هـ) :

جده الزبير بن العوام الأسدي القرشي، ولد بالمدينة وسمع من عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وغيرهم، وروى عنه عبد الله بن أبي بكر بن حزم ومحمد بن إسحق وابن جريج والليث بن

---

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/ ٤٥٠.

سعد ومالك بن أنس وحماد بن سلمة وعيسى بن يونس ويونس بن بكير[1].

رحل إلى الكوفة وحدث بها عن أبيه عروة بن الزبير ثم رحل إلى بغداد وتوفي فيها[2]، ورواياته التي اعتمد عليها البحث جاءت عن طريق أبيه، لذلك فقد اهتم بالروايات التي تخص عائلته فقط، لكن أهل الحديث اعترضوا على كثرة رواياته عن أبيه، فأرسل عن أبيه الكثير من الأحاديث[3]، وكما سبق القول عن أبيه عروة فإن أكثر الروايات التي ذكرت تقرب الرسول ﷺ من الأصنام واعتقاده بالوثنية جاءت عنه، مثل تسمية رسول الله ﷺ لأبنائه عبد مناف وعبد العزى، ولا نعرف إن كانت هذه الروايات منه أو من أبيه، لأنه في كل أسانيده التي اعتمدناها يذكر عروة فيها.

٣ ـ محمد بن إسحاق (ت ١٥١هـ) :

ابن يسار بن خيار المطلبي بالولاء، لأنه مولى قيس بن مخرمة بن المطلب، وكان يسار من الذين سباهم خالد بن الوليد من عين التمر عندما فتحها سنة ١٢ هجرية، ولد ونشأ في المدينة[4].

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٦/ ٨٠ . ابن حجر، ١١/ ٤٨ ـ ٤٩.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٦/ ٨٠.

(٣) الذهبي، محمد بن أحمد بن قيماز، (ت٧٤٨هـ)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق محمد علي البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٩٦٣ ٤/ ٣٠٢ . ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١١/ ٥٠.

(٤) ابن سعد، القسم المتمم، ص٤٠٠ ـ ٤٠١. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤/ ٢٧٦ ـ ٦٧٧.

روى عن مجموعة كبيرة من التابعين مثل الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام والقاسم بن محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر بن الزبير وعاصم بن عمر بن قتادة وعباس بن سهل بن سعد والزهري ويحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير وجماعة كثيرة جداً[1].

لقد كتب عن ابن إسحق الكثير من البحوث والدراسات تناولت دوره في تدوين السيرة النبوية وإسهاماته في التاريخ، وذلك لأهمية كتاباته وأثرها في من جاء بعده من المؤرخين ورواة السيرة الذين اعتمدوه، ولم يستطع أحد منهم أن يفوقه في هذا المجال، لذلك نجد كل الذين كتبوا عن السيرة احتوت كتاباتهم على مرويات ابن إسحق. ورأي محمد بن إدريس الشافعي دقيق في هذه المسألة: «من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحق»[2]، أما ابن سيد الناس فقد تنبه إلى أهمية سيرة ابن إسحق، لذلك رأى أن سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم تتعرض للخطر إن تعرضت الثقة بابن إسحق المؤرخ للتساؤل[3].

وسيرة ابن إسحق هي أقدم سيرة تكاد تكون محفوظة بكليتها فيما وصلنا بعد تهذيب ابن هشام لها، والقطعة الأخرى التي نشرها سهيل زكار باسم السير والمغازي برواية يونس بن بكير «ت١٩٩هـ»، ولا يهمنا من هذا الأمر سوى إسهامه في موضوع كتابنا، لكن هذا الأمر لا يتم إلا

---

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/ ٣٨ ـ ٣٩.

(٢) الخطيب البغدادي، أبي بكر أحمد بن علي (ت٤٦٣هـ)، تاريخ بغداد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت، ١/ ٢١٩.

(٣) ابن سيد الناس، محمد بن محمد (ت٦٧١هـ). عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، نشر مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٦هـ، المقدمة، ص ١ ـ ١٧.

بالتعرف على عوامل كتابة السيرة عنده حتى يتبين قيمة رواياته.

يرى المستشرق هاملتون جب أن ابن إسحق كان أبعد أفقاً وأوسع نطاقاً من تفكير سابقيه ومعاصريه، لأنه نزع فيها لا إلى تدوين تاريخ النبي فحسب بل إلى تاريخ النبوة نفسها أيضاً[١]، وهذا الرأي دقيق جداً، لأن المواضيع التي اهتم بها ابن إسحق واسعة ومتشعبة تناولت حياة الأمة كلها وليس حياة النبيﷺ فقط، لأنه جمع رواياته من مصادر شتى منتفعاً بتجارب شيوخه الذين سبقوه مضيفاً إليها ما وصل إليه بنفسه من روايات.

أما كتابه السيرة فيرى سهيل زكار «أنه كتب جزءاً منها قبل مغادرته للمدينة»[٢]، بعد اختلافه مع هشام بن عروة ومالك بن أنس[٣]، ثم نزل الكوفة وحدث عنه كوفيون كثيرون وهناك التقى بأبي جعفر المنصور[٤]، ثم رحل إلى بغداد بعد أن تولى أبو جعفر الحكم وبنى مدينة بغداد، فأمره أن يلازم ابنه المهدي وطلب منه أن يكتب له كتاباً في السيرة، وبعد أن كتبه أمره أن يعدل به بعض الأشياء التي لم يعجبه ذكرها ويركز على مواضيع تهمه[٥].

إذن سيرة ابن إسحق دونت في مناطق مختلفة مما يعني أنه لم

---

(١) علي، موارد تاريخ الطبري، ١/ ١٥٠.

(٢) ابن إسحق، محمد بن إسحق بن يسار (ت١٥١هـ). السير والمغازي، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٨، مقدمة المحقق، ص١٣.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١/ ٢١٦.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤/ ٢٧٧.

(٥) الخطيب البغدادي، التاريخ، ١/ ٢٢٠ ـ ٢٢١ . ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤/ ١٥٣.

يتأثر بالتيارات السائدة في عصره، لأن الذين رووا سيرته رواة مختلفون وعلى مراحل متعددة لا سيما أنه لم تكن له علاقات بالأمويين.

فقد اعتمد الطبري على رواية سلمة بن الفضل الأنصاري قاضي الري المتوفي بعد سنة «١٩٠هـ» والذي كان صديقاً لابن إسحق، وقد كتب سيرته في قراطيس ودفعهما لسلمة، لذلك فروايته تكون مفضلة على رواية غيره، وكان يقال عنه أنه صاحب مغازي ابن إسحق[١]، ويرى المستشرق أدوارد سخاو أن من الجائز أن يكون ابن إسحق قد سلم هذه النسخة في أثناء إقامته في مدينة الري[٢]. أما ابن هشام في اختصاره السيرة فقد اعتمد نسخة زياد بن عبد الله البكائي «ت ١٨٣هـ» التي تمثل العهد المدني للسيرة كما يرى سهيل زكار[٣]، فيما كانت رواية يونس بن كثير«ت١٩٩هـ» تمثل العهد البغدادي للسيرة.

وقد اختصر عبد الملك بن هشام «ت ٢١٨هـ» بحسب قول ابن خلكان[٤] «ت ٢١٣هـ» بحسب قول السهيلي[٥]، سيرة ابن إسحق والسبب في ذلك حسب ما قاله هو: «تارك بعض ما ذكر ابن إسحق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكر وما نزل فيه من القرآن شيء وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب ولا تفسيراً له ولا شاهداً عليه وما ذكرت من الاختصار.. وأشياء بعضها يشنع الحديث به وبعضاً يسوء

---

(١) المصدر نفسه، ١/ ٢٢. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤/ ١٥٣.

(٢) جواد علي، موارد تاريخ الطبري، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الأول، ١٩٥٠، ص٢٠١.

(٣) ابن إسحق، السير والمغازي، ص ١٦.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ١/ ٢٩٠.

(٥) السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي (ت٥٨١هـ). الروض الأنف، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ١٩٧١، ١/ ٧.

الناس ذكره»[1]، ويرى سهيل زكار أن الأسباب التي دفعت ابن هشام إلى اختصار السيرة «أسباب سياسية وأخرى تتصل بالصورة التاريخية لعصر ابن هشام عن النبي ﷺ وصحابته»[2]. وهذا يعني أن السيرة النبوية لابن إسحق لم تصلنا كاملة بل منقحة حذف منها الكثير.

وقد جاءت نسبة روايات ابن إسحق في البحث عالية على عكس من قدمنا، فقد تناولت رواياته حياة السيدة خديجة عليها السلام قبل زواجها من النبي ﷺ ابتداء بأزواجها السابقين وأولادها منهم، ثم عملها بالتجارة وعمل رسول الله ﷺ معها، وغطت تفاصيل روايته عن ذهاب الرسول ﷺ إلى الشام في تجارة السيدة خديجة عليها السلام على جميع الروايات، حيث تناول كل جوانب هذه الرحلة مبتدئاً بعرضها على رسول الله ﷺ للخروج بتجارتها وقبوله وخروجه إلى سوق بصرى في الشام، والأحداث التي شاهدها وعودته ثم إخبارها ورقة بالأمر ورأيه في ذلك، ثم زواجه منها وأولادها منه ثم دورها في تعبد رسول الله ﷺ ومشاركته له في هذا الأمر، ثم موقفها من الوحي، الذي جاءت رواياته فيه عن طريق آل الزبير ومواليهم، لذلك نرى فيها نفس توجه روايات عروة والزهري وهشام. كما تناولت روايات ابن إسحق دور السيدة خديجة عليها السلام في البعثة من صلاتها مع الرسول في يوم الوحي، وكونها أول من آمن به وصلاتها معه عند الكعبة وتخفيفها من شدة المشركين عليه، ثم دورها في حصار الشعب وما بذلته للرسول ﷺ والمسلمين

---

(١) ابن هشام، عبد الملك بن هشام المعافيري (ت٢١٣هـ). السيرة النبوية، تقديم طه عبد الرؤوف طه، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ١٩٧٤، ١/ ١٠.

(٢) ابن إسحق، السير والمغازي، ص ١٦.

ودور عائلتها في هذه المقاطعة، لكن رواياته عن دور بني أسد في هذا الحصار جاءت عن طريق أبناء هذه العائلة. ثم تنتقل رواياته إلى أحاديث رسول الله ﷺ فيها.

٤ ـ هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤هـ) :

كان هشام من المتخصصين في الأنساب وأيام العرب والمناقب والمثالب[١]، وأخذ عن أبيه محمد بن السائب الذي كان من علماء الكوفة في تفسير الأخبار وأيام الناس ويتقدم السائب بالعلم بالأنساب[٢]، وقد اعتمد على من تقدمه ومن عاصره من العلماء مثل أبو مخنف لوط بن يحيى الذي تخصص بالأنساب والأحداث ولا سيما أحداث العراق والفتوح[٣]، وعني عناية خاصة ببحوث والده ونسقها ووسع نطاقها وأخرجها للناس[٤].

وقد وجه إليه أهل الحديث مطاعن اتهموه فيها بالتزوير والكذب في الرواية[٥]، لكن جواد علي يرى «أن خصومه لم يكونوا على حق بصورة عامة فيما ذهبوا إليه وأنه كان موفقاً في تحرياته وأنه خطى خطوات واسعة نحو التأليف التاريخي القائم على الأساس العلمي»[٦].

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص ١٠٩

(٢) المصدر نفسه، ص١٠٧. الذهبي، ميزان الاعتدال، ٤/ ٣٠٤.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤/ ٢٩٥.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢/ ١٩٥.

(٥) الذهبي، ميزان الاعتدال، ٤/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤/ ٢٩٥.

(٦) موارد تاريخ الطبري، ١/ ١٤٨ ـ ١٤٩.

وقد صنف كتباً كثيرة عددها صاحب كتاب الفهرست حتى بلغ عددها إلى مائة وخمسين كتاباً[1]، وروى عنه ابنه العباس وخليفة بن خياط ومحمد بن سعد كاتب الواقدي وغيرهم[2].

والذي يهمنا من كتبه كتاب «جمهرة النسب» وكتاب «أزواج النبيﷺ». الكتاب الأول وصلنا وحققه ناجي حسن، والكتاب الثاني لم يصلنا لكن الروايات الكثيرة عن أزواج النبيﷺ التي نقلها محمد بن سعد في كتابه «الطبقات الكبرى» قد يقودنا إلى الافتراض أنه أخذها من هذا الكتاب.

أما الروايات التي أخذها الكتاب عنه فقد كانت تختلف عما قدمناه من الرواة السابقين لأنه اهتم بمسائل كثيرة لا سيما ما يختص بالنبيﷺ والتي اعتمدناها من كتابه الجمهرة وما نقلته عنه بعض المصادر، وولادة السيدة خديجةعليها السلام وبعض أخبار والدها وأخوانها وأزواجها قبل الرسولﷺ وأولادها منهم والروايات الخاصة بهم، وزواجها من الرسولﷺ وتفاصيل هذا الزواج، وجاءت رواياته عن أبنائها من الرسولﷺ بتفاصيل لم ترد عند غيره فقد عني بها عناية خاصة، لا سيما ترتيب ولادة هؤلاء الأبناء، ثم صلاة السيدة خديجةعليها السلام مع الرسولﷺ في بدء البعثة وبعض أحاديث رسول اللهﷺ فيها، ولم نرى تأثيراً كبيراً لروايات الزبيرين في رواياته، لأن معظم رواياته التي اعتمدناها جاءت عن طريق عبد الله بن العباس بن عبد المطلب (رض).

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ١٠٧ ـ ١٠٩. الذهبي، ميزان الاعتدال، ٤/ ٣٠٥.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٦/ ٨٢.

٥ ـ محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ) :

ولد الواقدي في المدينة المنورة سنة ١٣٠هـ[١]، وهو مولى بني سهم بطن من قبيلة أسلم الأنصارية[٢]، نشأ في المدينة وسمع من مالك بن أنس ومحمد بن عبد الله ابن أخي الزهري ومحمد بن عجلان وابن جريج وسفيان الثوري. ارتحل إلى بغداد سنة ١٨٠هـ، ثم رحل إلى الشام والرقة وبعدها عاد مرة أخرى إلى بغداد وبقي بها إلى أن قدم المأمون من خراسان فولاه قضاء الجانب الشرقي من بغداد[٣]، وعندما أتى المأمون قال: «ما قدمت بغداد إلا لأكتب كتب الواقدي»[٤].

كان الواقدي عالماً بالسير والفتوح واختلاف الناس بالحديث والفقه والأحكام والأخبار، وجاء في الأخبار أنه خلَّف «ستمائة قمطر كتباً بعد وفاته، كل قمطر يحمله رجلان وكان له غلامان مملوكان يكتبان له الليل والنهار»[٥].

وقد انتفع الواقدي ممن سبقه في السير والمغازي وأضاف إليه بحوثه الخاصة عن ذلك وهذا يتضح من قوله: «ما أدركت رجلاً من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ولا مولى لهم إلا وسألته هل سمعت أحد من أهلك يخبرك عن مشهده أين قتل؟ فإذا أعلمني مضيت إلى الموضع فأعاينه ولقد مضيت إلى المريسع فنظرت إليها»[٦].

---

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/ ٣٦٦.
(٢) ابن النديم، الفهرست، ص١١١.
(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤/ ٣٤٨ . ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/ ٣٦٦.
(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣/ ٦.
(٥) ابن النديم، الفهرست، ص ١١١.
(٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٣/ ٦.

وقد اعتمد الكتاب روايات الواقدي التي تكاد تغطي كل فصوله مع روايات الزهري وابن إسحق وابن الكلبي، لكن روايات الواقدي أشمل للموضوع من غيرها، وذلك لأنه أخذ منهم ومن غيرهم، ومصادر معلوماته أكثر ممن سبقه، كما أنه أخذ من ابن إسحق الذي عاصره في المدينة، ولكنه لم يذكر ذلك وقد ألمع إلى ذلك هورفتس بالقول: «لا يمكن الشك في أن الواقدي استخدم كتاب ابن إسحق ولعله أخذ منه أكثر من أي شخص آخر ممن تقدم، ومن الممكن أن يكون ذلك سبب عدم ذكره لأنه لم يرغب في جعل ما أخذه واضحاً بارزاً في الإكثار من ذكر اسمه وأرضى نفسه بضمه إلى تلك المراجع المذكورة وغير المذكورة التي يقول عنها في نهاية قائمته وغيرهم قد حدثني أيضاً»[1].

وقد شملت هذه الروايات كل سيرة السيدة خديجة عليها السلام منذ ولادتها، فيذكر السنة التي ولدت فيها، ووفاة أبيها، وعمل الرسول صلى الله عليه وآله في التجارة معها وذهابه إلى سوق حباشة، ثم طلب عمه أبي طالب منه أن يعمل في تجارة السيدة خديجة عليها السلام وإرسالها في طلبه لكي يخرج في تجارتها إلى الشام، والزواج منها بسبب هذه الرحلة ومن الذي زوجها، ورد على الروايات التي تقول أن أباها كان ثملاً عند خطبة الرسول صلى الله عليه وآله لها بأسانيد متصلة إلى الصحابة، وإنجابها أبنائه وبعض التفاصيل عن حياتهم، ثم مجيء ثويبة مولاة أبي لهب «التي أرضعت الرسول صلى الله عليه وآله عند ولادته» إلى السيدة خديجة وإكرامها، كذلك إكرام حليمة السعدية مرضعة الرسول صلى الله عليه وآله. ثم تنتقل رواياته إلى البعثة النبوية فيتناول دورها في بدء الوحي، وبالرغم من أن هذه الروايات مقتضبة

---

(١) المغازي الأولى، ص ١٢١.

ومختصرة، لكنها رددت نفس ما جاء في روايات عروة والزهري وابن إسحق، ويبدو أن مسألة خوف الرسول ﷺ وتطمين ورقة له أصبحت حقيقة لا يمكن الابتعاد عنها أو مناقشتها، لكن الواقدي يعطي تفاصيل أكثر من ورقة لم ترد عند غيره من الرواة حتى أنه يجعل وفاته بعد سنوات من البعثة النبوية.

ثم يتعرض لدور السيدة في البعثة إلى وفاتها ويعطي تفاصيل دفنها والمكان الذي دفنت فيه ومن قام بتغسيلها، وحال الرسول ﷺ بعد وفاتها.

أما بقية الرواة فقد كانت نسبة رواياتهم بالدرجة الثانية مقارنة بمن قدمناه وسوف نستعرض دور رواياتهم ونسبة مساهمتها في البحث حسب أهمية روايات كل منهم. ويأتي على رأس هؤلاء محمد بن الحسن بن زبالة «ت ١٩٩هـ»، الذي اعتمدنا على المنتخب الذي قدمه الزبير بن بكار«ت ٢٥٦هـ» من كتابه «أزواج النبي ﷺ» وأخذنا رواياته، وهو من الذين اهتموا بالأخبار وتدوينها. سمع من مجموعة كبيرة من الرواة عددها ابن حجر حتى وصلت إلى أكثر من مئة. وقد اتهم في الكذب وضعف الحديث كما هو شأن بقية الرواة[1]، وقد اعتمد عليه السمهودي في كتابه «وفاء الوفاء» ونقل منه كثير من المعلومات حتى درس الدكتور صالح العلي هذه الاقتباسات في بحث مفرد[2]، ونقل منه الزبير بن بكار في كتابه «نسب قريش وأخبارها». أما رواياته التي اعتمدها الكتاب فقد

---

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٩/ ٣٦٥.

(٢) العلي، صالح أحمد، المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز، مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٦٤، م١١/ ١٢ ـ ٢٤.

نقلها عن الزهري وهشام والليث بن سعد «ت ١٧٥ هـ» وغيرهم من الرواة وموضوعات هذه الروايات تناولت ذهاب رسول الله ﷺ إلى سوق حباشة وتفاصيل هذه السفرة وذهابه إلى الشام وخطبته للسيدة خديجة عليها السلام وزواجه منها، وتفاصيل عن أبناء السيدة خديجة عليها السلام من الرسول ﷺ وإيمانها ووفاتها، لكن رواياته جاءت نقلاً عن الزهري وهشام بن عروة وإبن إسحق وغيرهم، لذلك كانت أقل أهمية من روايات المتقدمين.

٦ ـ قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٧هـ) :

كان من التابعين، ولد سنة ٦٠هـ، وتوفي بواسط سنة ١١٧هـ، سمع من أنس بن مالك وأبي سعيد الخدري وعكرمة والحسن البصري وغيرهم[١].

أخذ الكتاب عنه مجموعة من الروايات عن زواج الرسول ﷺ من السيدة خديجة عليها السلام وأبناءها منه، وأكثر رواياته عن أبناء الرسول ﷺ من السيدة خديجة عليها السلام، كما ذكر بعض أحاديث رسول الله ﷺ فيها.

٧ ـ سيف بن عمر (ت ١٧٠هـ) :

التميمي الكوفي صاحب كتاب «الردة والفتوح» روى عن مجموعة كبيرة مثل ابن جريج وإبن إسحاق وهشام بن عروة وموسى بن عقبة ومحمد بن السائب الكلبي وغيرهم.

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٤/ ٨٥.

وسوف نختصر الحديث عن إسهام رواياته، لأننا فصلنا في أخباره عن الحديث عن أبناء السيدة خديجة عليها السلام وعن أزواجها قبل الرسول صلى الله عليه وآله[1].

لم يعتمد الكتاب على روايات سيف لكن ذكرها ثم ناقشها، وذلك لأسباب كثيرة سنذكرها في محلها، وهذه الروايات جاءت في الفصل الثاني فقط الذي يخص أزواج السيدة قبل الرسول صلى الله عليه وآله، وذلك لأنه اهتم بأمور تخص قبيلته تميم التي ينتسب إليها أحد أزواج السيدة خديجة عليها السلام.

٨ ـ مصعب بن عبد الله الزبيري (ت٢٣٦هـ) :

ينتسب مصعب إلى أسرة الزبير بن العوام ولد في المدينة ثم رحل إلى بغداد وأقام بها وكان شاعراً له كتاب «النسب الكبير ونسب قريش[2]»، وقد اعتمد البحث على ما أورده من روايات خاصة بنسب السيدة خديجة عليها السلام وترتيب أبنائها من الرسول صلى الله عليه وآله وبعض تفاصيل حياتها.

٩ ـ عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (ت ١٥٠هـ) :

من فقهاء أهل مكة مولى آل أسيد بن أبي العيص بن أمية، له من الكتب كتاب «السنن في الفقه» روى عن جماعة أهمهم الزهري[3]،

---

(١) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤/ ٢٩٥.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص ١٢١.

(٣) ابن النديم، الفهرست، ص ٢٨٢. الذهبي، تذكرة الحفاظ، نشر محمد أمين، ط ٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٦، ١/ ١٩١.

الروايات التي وردت عنه قليلة ومقتضبة لذلك لم يعتمد عليه الكتاب كثيراً.

١٠ ـ أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٨هـ) :

كان ولاءه لبني تيم بن مرة القرشيين سكن البصرة ونشر علمه فيها، وفد على بغداد في عهد هارون الرشيد سنة ١٨٨هـ، ونقل الحديث عن هشام بن عروة وغيره[١]، وقد حصلنا على رواياته من كتابه «تسمية أزواج النبيﷺ وأبناؤه»، وهذه الروايات نقلاً عن الزهري وهشام بن عروة لذلك كانت رواياته نفس روايات هشام من تسمية الرسولﷺ أبناءه عبد العزى وعبد مناف.

١١ ـ موسى بن عقبة (ت ١٤١هـ) :

ابن أبي عياش الأسدي مولى آل الزبير، روى عن مجموعة من التابعين، مثل حمزة وسالم ابني عبد الله بن عمر ونافع بن جبير بن مطعم وعروة بن الزبير والزهري، وروى عنه ابن جريج ومالك بن أنس وغيرهم[٢].

يعد موسى بن عقبة هو وابن إسحق أول من دوَّن السير، وقد بقيت قطع من مغازيه مخطوطة في مكتبة برلين، رأىٰ المستشرق أدوارد سخاو أنها جزء من سيرة موسى بن عقبة[٣]، وهذه المغازي ظلت

---

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٥/ ٢٣٦.

(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ١٠/ ٣٦١.

(٣) علي، موارد تاريخ الطبري، ١/ ١٥٣.

متداولة فترة طويلة حتى عصر الذهبي[١]، وقد نقل الذهبي في كتابه «سير أعلام النبلاء» أجزاء من سيرة موسى بن عقبة[٢].

لكن الكتاب لم يعتمد كثيراً على روايات موسى بن عقبة وما اعتمده لا يزيد على خمس روايات، فموضوع رواياته زواج الرسول ﷺ من السيدة عليها السلام ووفاتها واستقبال رسول الله ﷺ للوحي بصورة طبيعية بعيدة عن الخوف الذي صورته لنا روايات الوحي الأخرى ودور السيدة خديجة عليها السلام في هذا الأمر. ويبدو أن فقدان سيرته أدى إلى ضياع رواياته عن الفترة المكية.

١٢ ـ عبد الله بن محمد بن عقيل (ت١٤٢هـ):

ابن أبي طالب بن عبد المطلب سمع من أمه زينب الصغرى بنت الإمام علي عليه السلام وعن أبيه وخاله محمد بن الحنفية وابن عمر وأنس وجابر وغيرهم، وروى عنه حماد بن سلمة وابن جريج وآخرون[٣].

بالرغم من أن الكتاب لم يأخذ عنه إلا روايتين فقط: الأولى حث أبي طالب للرسول ﷺ على العمل في تجارة السيدة خديجة عليها السلام، والرواية الثانية في أن السيدة أول من آمن، لكن أهمية الرواية الأولى كبيرة خصوصاً أنها لم ترد عند غيره من الرواة.

---

(١) الذهبي، تذكرة الحفاظ، ١/ ١٠٤.

(٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف، مصر، ١٩٥٧، ١/ ٥، ٢١، ٢٢، ٣٠، ٣٢، ١٣٥.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٦/ ١٣.

١٣ ـ الليث بن سعد (ت ١٧٥هـ) :

أحد فقهاء مصر وهو من أصحاب مالك بن أنس، وأغلب رواياته جاءت عن طريق الزهري[١]، أخذ عنه الكتاب روايتين: الأولى في ذهاب الرسول ﷺ في تجارة السيدة خديجة عليها السلام إلى سوق حباشة، ورواية في زواجها منه، والروايتان عن الزهري.

١٤ ـ حماد بن سلمة (ت ١٦٧هـ) :

مولى بني تميم من فقهاء البصرة روى عن قتادة وهشام بن عروة. وقد كان ابن أبي العوجاء الذي اتهم بالزندقة ربيبة، وقد دس في كتبه، وكان حماد كثير الحديث ويحدث بالحديث المنكر[٢]. وروايات حماد في الكتاب قليلة فقد ورد منها رواية في زواج رسول الله ﷺ من السيدة خديجة عليها السلام روايتان عن نزول الوحي، وهو في رواياته يذكر سنده إلا أنه يقول، فيما يحسبه عن ابن عباس مما لا نثق كثيراً برواياته خصوصاً أن رواياته الخاصة بالوحي جاءت ترديد لما اعتادت عليه الروايات من نسبة الخوف إلى رسول الله ﷺ عند نزول الوحي وإبراز دور ورقة بن نوفل في هذا الأمر.

١٥ ـ عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم (ت ١٣٥هـ) :

هو من أسرة مدنية قدم أجداده خدمات للإسلام في عهد النبي ﷺ، حيث كان جده عمرو بن حزم مبعوث النبي ﷺ إلى اليمن

---

(١) ابن النديم، الفهرست، ص٢٥٢.

(٢) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٣/ ١٥.

لتعليم أهلها وتفقيههم في الدين، وبقي هناك والياً على نجران[1].

وقد ألف ابن أخيه عبد الملك بن محمد بن أبي بكر «ت ١٧٦هـ» كتباً في المغازي[2]، وربما كان هذا الكتاب يتألف من المجموعة التي أخذها عن عمه، لقد أخذ منه الكتاب رواية واحدة عن دور السيدة خديجة عليها السلام عند نزول الوحي، وهي رواية مهمة جداً تبين أن رسول الله صلى الله عليه وآله تلقى الوحي بصورة طبيعية.

١٦ ـ يزيد بن رومان (ت ١٣٠هـ) :

مولى آل الزبير بن العوام المدني سمع من ابن عباس وعروة بن الزبير وأوردت عنه كتب الحديث النبوي بعض الأحاديث[3]. ويرى زريف المعايطة أنه ألف كتاباً في المغازي وصل إلى الواقدي فاقتبس منه وهذا واضح من المقتطفات التي توجد عند ابن سعد والطبري وابن إسحق[4]، لكن هذه الاقتباسات ليست دليلاً على أنه ألف كتاباً في المغازي.

لقد أخذ الكتاب عنه رواية عن دور السيدة خديجة عليها السلام في نزول الوحي وهي رواية مهمة تبين اطمئنان الرسول صلى الله عليه وآله عند تلقيه الوحي.

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٥٢٩.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ص ٢٨٢.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٦/ ٢٧٧.

(٤) المعايطة، زريف، يزيد بن رومان، أحد رواد مدرسة المغازي في المدينة، مجلة المنارة، جامعة آل البيت، م١، ع١، ١٩٩٩، ص ١٠٦.

الفصل الأول

نسب السيدة خديجة
ودور آبائها في أحداث مكة

١ ـ نسب السيدة خديجة عليها السلام

٢ ـ دور آبائها في أحداث مكة :

ـ دورهم في النزاع على وظائف الكعبة

ـ دورهم في حلف الفضول

ـ دورهم في حرب الفجار

٣ ـ مكانة أبيها وعائلتها في قريش

٤ ـ ولادة السيدة خديجة «ع» ونشأتها

نسب السيدة خديجة«ع» ودور آبائها في أحداث مكة

ولدت السيدة خديجة عليها السلام لأبوين قرشيين، فأبوها خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب، وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم «وهو جندب» بن رواحة بن حجر بن معيص بن عامر بن لؤي، وبذلك فهي تلتقي بالرسول صلى الله عليه وآله بالجد الرابع لها قصي بن كلاب الجد الخامس له، وتلتقي به في الجد الثامن لها من ناحية أمها لؤي بن غالب[1].

نبدأ حديثنا بقصي بن كلاب بوصفه الجد المشترك للرسول صلى الله عليه وآله والسيدة خديجة عليها السلام. توفي كلاب بن مرة وقصي لا يزال صغيراً فتزوجت أمه فاطمة بنت سعد بن ربيعة من بني عذرة بربيعة بن حرام من قبيلة قضاعة، فاضطرت إلى مغادرة مكة إلى حيث يقيم زوجها مع أهله في ديار قضاعة قرب منطقة تبوك في شمال الجزيرة العربية معها ابنها قصي لينشأ هناك بعيداً عن قومه[2].

---

(١) ابن إسحق، السير والمغازي، ص ٨٢.

(٢) ابن هشام، السيرة، ١/ ١٠٩ . ابن سعد ١/ ٦٧ . الأزرقي محمد بن عبد الله بن محمد (ت٢٥٠هـ). كتاب أخبار مكة، تحقيق رشدي الصالح محسن، ط٢، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة، ١٩٦٥، ١/ ١٠٤.

شب قصي وهو يعتقد أن أباه ربيعة بن حرام، لكن أحد أفراد قبيلة قضاعة عيَّره بأنه ليس منهم، عند ذلك أعلمته أمه أنه من قريش فعاد إلى مكة[١]. ذكرت الروايات التاريخية أن قصي كان رجلاً جلداً حازماً بارعاً[٢]، لذلك سرعان ما انتشر صيته في مكة فتزوج من حبي بنت حليل بن حبشية الخزاعية كان أبوها زعيم قبيلة خزاعة التي حكمت مكة قرابة ثلاثمائة عام[٣]، فاستطاع من خلال هذا الزواج أن ينتزع زعامة مكة من هذه القبيلة[٤].

أصبح قصي زعيم مكة من دون منازع، وهو أول أبناء كنانة ـ القبيلة التي تنتسب إليها قريش ـ أصاب الملك وأصبح زعيماً[٥]. وبعد هذا شرع في تنظيم الحياة في مكة، فكان أول إجراءاته أن نظم سكن القرشيين في مكة، فقسم المناطق المحيطة بالكعبة على بطون قريش فأنزلها على قسمين: الأول قريب من الكعبة تسموا قريش البطاح وهم بنو زهرة بن كلاب وبنو تيم بن مرة وبنو مخزوم بن مرة وبنو جمح وبنو سهم وبنو عدي بن كعب، علاوة على قصي وأبناءه، وأنزل القسم الثاني

---

(١) الطبري، محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨، ٢/٢٥٥.

(٢) الأزرقي، أخبار مكة، ١/١٥٠.

(٣) المصدر السابق، ١/١٠٣.

(٤) ابن هشام، السيرة ١/١٠٩. وقد وردت عدة روايات في كيفية انتزاع قصي سيادة مكة من قبيلة خزاعة، وقد ناقش هاشم يحيى الملاح هذه الروايات بالتفصيل، ينظر الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩٤، ص ٢٧٦ ـ ص٢٧٧ وما بعدها.

(٥) ابن هشام، السيرة، ١/١١٥.

في مناطق بعيدة عنها تسموا قريش الظواهر[١].

ومن خلال هذا التقسيم المتقدم يبدو أن قصياً أنزل البطون القريبة إليه بالنسب في المناطق المحيطة بالكعبة، والبطون البعيدة عنه في المناطق التي تليها، وربما كان الهدف من هذا القسم ـ على حد رأي الأزرقي ـ هو إيجاد قوة يستطيع من خلالها حماية ما حققه من إنجازات في مكة وهذا يتضح من خلال قوله: «وجمع قومه من قريش من منازلهم يستعز بهم»[٢].

كما قام قصي بعد ذلك بتنظيم إدارة مكة حيث بنى دار الندوة[٣]. قرب الكعبة لتكون بمثابة مبنى للحكومة يتشاور فيها مع قومه في الأمور الخاصة بهم[٤]، وعمل على الاهتمام بالكعبة والوظائف التابعة لها، وهي الحجابة: أي قفل البيت الحرام وفتحه للزائرين، والسقاية: وهي توفير مياه الشرب للحجاج في موسم الحج، والرفادة: وهي توفير الطعام للحجاج واستضافتهم، واللواء وهي: راية قريش في الحرب[٥].

وهذه الوظائف علاوة على رئاسة قريش كانت بيد قصي، لذلك

---

(١) المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ). مروج الذهب ومعادن الجوهر، دقق فهارسها أسعد داغر، ط٦، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٦.

(٢) أخبار مكة، ١/ ١١٠.

(٣) سميت هذه الدار دار الندوة، لأنهم كانوا ينتدون فيها أي يجتمعون، ينظر إبن سعد، الطبقات الكبرى، ١/ ٧٠.

(٤) الأزرقي، أخبار مكة، ١/ ١١٠.

(٥) لمزيد من المعلومات عن وظائف الكعبة، ينظر العسلي، خالد صالح، دور أجداد الرسول(ص) في مكة، مجلة كلية التربية، جامعة البصرة، ١٩٨١ ،س٣، ع٦، ص ٣٦ ـ ٤٥. وينظر أيضاً للملاح، الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص٢٨٠ ـ ٢٨٤.

فمن الطبيعي أن يتميز أبناء قصي على بقية القرشيين. وتذكر المصادر أنه أنجب أربعة أبناء هم «عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي» وأمهم حبي بنت حليل[١].

وقد آلت لهم زعامة قريش بعد وفاة قصي، لكن لم يتمكن أحد منهم أن يجمع كل السلطات بيده كما كان عليه الحال في عهد قصي بل توزعت الزعامة بينهم، وقد وردت ثلاث روايات عن كيفية تقسيم وظائف الكعبة، الأولى عن ابن إسحق مفادها أن عبد الدار بن قصي وهو البكر كان مغموراً وضعيفاً دون بقية أخوته لذلك قام قصي بإسناد وظائف الكعبة له فقال له: «أما والله لألحقنك بالقوم وإن كانوا قد شرفوا عليك لا يدخل منهم رجل الكعبة حتى تكون أنت تفتحها، ولا يعقد لقريش لواء لحربهم إلا أنت بيدك، ولا يشرب رجل بمكة ماء إلا من سقايتك، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاماً إلا من طعامك، ولا تقطع قريش أمورها إلا في دارك فأعطاه داره دار الندوة التي لا تقضي قريش أمورها إلا فيها، وأعطاه الحجابة واللواء والندوة والسقاية والرفادة»[٢].

أما الرواية الثانية فأوردها الأزرقي عن ابن جريج وفيها أن قصياً قسم «أمور مكة الستة التي فيها الذكر والشرف والعز بين إبنيه فأعطى عبد الدار السدانة وهي الحجابة ودار الندورة واللواء وأعطى عبد مناف السقاية والرفادة والقيادة»[٣].

---

(١) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ١٤.

(٢) ابن هشام، السيرة ١/ ١١٩. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١/ ٧٣. الطبري، التاريخ، ٢/ ٢٥٩.

(٣) أخبار مكة، ١/ ١٠٩ ـ ١١٠.

والرواية الأخيرة أوردها اليعقوبي دون أن يشير إلى سند الرواية ونصها «قسم قصي بين ولده فجعل السقاية والرئاسة لعبد مناف، والدار لعبد الدار، والرفادة لعبد العزى وحافتي الوادي[1] لعبد قصي»[2].

من خلال قراءة هذه الروايات الثلاث يظهر أن رواية ابن إسحق تذهب إلى أنه أعطى جميع الوظائف لابنه عبد الدار وهذا يتنافى مع ما عرف عن قصي من ذكاء وموهبة استطاع من خلالها أن ينتزع السيادة في مكة وينظم أمورها، فليس من المعقول أن يترك أمر وظائف الكعبة بهذا الشكل دون أن يجد لها حلاً مناسباً مع مالها من أهمية كبيرة في مكة والجزيرة العربية، وذلك لمكانة الكعبة عند العرب والذي يبدو أن هذه الرواية هي نتيجة لما حصل بعد ذلك من أخذ بني عبد الدار هذه الوظائف من أبناء عمومتهم وسنأتي على بيان ذلك. ورواية ابن جريج أيضاً هي نتيجة لماحصل بعد النزاع على هذه الوظائف بين أبناء عبد الدار وأبناء عبد مناف وإتفاقهم على تقسيم يشبه ما جاء في الرواية أعلاه، لكن رواية اليعقوبي منطقية جداً يؤيدها ما سوف نقدمه من شواهد.

لقد حصل عبد العزى على الرفادة ونال جزءاً من وظائف الكعبة وهذا الأمر يبدو أنه كان في حياة قصي وبعد وفاته في حياة إخوانه عبد الدار وعبد مناف وعبد قصي، لكن عبد العزى كان هو وعبد قصي أصغر أبناء قصي[3]. وقد تزوج امرأة من بني تيم بن مرة إسمها الحظيا

---

(١) ربما كان المقصود بحافتي الوادي هوة تشير من يدخل مكة من التجار، لأن قصي كان يفعله في حياته ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١/ ٧٠.

(٢) اليعقوبي، تاريخ ١/ ٢١١.

(٣) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص١٤.

بنت كعب بن سعد[1]، ولم تنجب له من الذكور سوى أسد[2]، فبقي عبد العزى مع إخوته الثلاثة دون نزاعات وبقيت الحالة كما أقرها قصي من توزيع وظائف الكعبة، لكن بعد وفاة الأخوة حدثت مشاكل بين أبنائهم.

تذكر الروايات أن بني عبد مناف أرادوا أن ينتزعوا هذه الوظائف من بني عمهم، لأنهم «رأوا أنهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم»[3]، لذلك انقسمت قريش إلى معسكرين. الأول يضم بني عبد مناف وحلفائهم بني أسد بن عبد العزى وبني زهرة بن كلاب وبني تيم بن مرة وبني الحارث بن فهر سمي هذا الحلف بحلف المطيبين، لأنهم غمسوا أيديهم في أناء مملوء طيب. والثاني يضم بني عبد الدار وحلفائهم وهم بنو مخزوم بن يقظة بن مرة وبنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب وبنو جمح بن عمرو بن هصيص وبني عدي بن كعب وأطلقوا على أنفسهم إسم الأحلاف[4] أو لعقة الدم[5] وكادت الحرب تقع بين الطرفين، لكنهم

---

(١) المصدر نفسه، ص ٢٠٦.

(٢) مؤرخ بن عمرو السدوسي (ت١٩٥هـ). حذف من نسب قريش، نشر صلاح الدين المنجد، مكتبة العروبة، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٥٢. مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ٢٠٦. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١١٧.

(٣) ابن هشام، السيرة، ١/ ١٢٠.

(٤) المصدر نفسه، ١/ ١٢١ . ابن سعد الطبقات، الكبرى، ١/ ٧٧. ابن حبيب، المنمق، تعليق خورشيد أحمد فواز، المطبعة الحسينية، مصر، د.ت، ص٢٠. القاسي، أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد المالكي (ت٨٢٣هـ). شفاء الغرام في أخبار البلد الحرام، مكتبة النهضة العربية الحديثة، مكة المكرمة، ١٩٥٦، ٢/ ٧٦.

(٥) سمي هذا الحلف بهذا الاسم لأنهم نحروا جزوراً وغمسوا أيديهم في دمه ولعق أحدهم الدم وهو حارثة بن نضلة من بني عدي، ابن سعد، الطبقات ١/ ٧٧ . مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ٢٨٣. ابن حبيب المنمق، ص ٢٠.

تداعوا للصلح، واصطلحوا على أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة، وتكون الحجابة واللواء ودار الندوة لبني عبد الدار[1].

وهنا يبرز تساؤلان مهمان أولهما ما سبب هذا النزاع؟ وثانيهما ما الذي دفع بني عبد العزى إلى التزام جانب بني عبد مناف مع أن أبناء عبد الدار أبناء عمومتهم أيضاً؟. التساؤل الأول يتعلق بما قدمناه من روايات تقسيم وظائف الكعبة حيث أن الوظائف السابقة كانت بيد أبناء قصي لكن وفاتهم أدت إلى انتقال هذه الوظائف إلى أبناء عبد الدار مع ما أعطاهم قصي، والسبب في ذلك أن أبناء عبد مناف وعبد العزى وعبد قصي كانوا صغاراً لا يستطيعون تحمل الوظائف ويؤيد هذا الرأي الرواية التي اوردها ابن حبيب «فهلكُ عبد مناف يوم هلك فكان ما سمينا ـ من وظائف الكعبة ـ لبني عبد الدار. ثم إن بني عبد مناف أرادوا أخذ ذلك منهم فقالوا نحن أحق بها»[2].

كما يؤيد هذا الرأي أن صاحب أمر بني عبد الدار في حلف لعقة الدم هو عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار[3]، وكان هاشم بن عبد مناف بن قصي صاحب أمر بني عبد مناف في حلف المطيبين[4] في حين لم تشر المصادر إلى صاحب أمر بني عبد العزى في هذا الحلف واكتفت بالقول: «فكان بنو أسد بن عبد العزى وبنو زهرة وبنو تيم بن مرة وبنو الحارث بن فهر مع بني عبد مناف»[5] وسواء كان أسد أو أحد

---

(١) ابن هشام، السيرة ١/ ١٢٢. ابن سعد الطبقات، ١/ ٧٧. اليعقوبي، تاريخ، ١/ ٣١٣.

(٢) المنمق، ص ١٩ ـ ٢٠.

(٣) ابن هشام السيرة، ١/ ١٢١.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ١/ ٧٧.

(٥) ابن هشام، السيرة، ١/ ١٢١.

أبناءه فإنه يدل على أن أسد كان أصغر من أبناء عبد الدار، لأن عامر بن هاشم يبتعد بثلاثة آباء عن قصي، بينما يبتعد هاشم بأب واحد ويبتعد أسد بأب واحد وأبناؤه باثنين.

ونحن نرجح كون أسد هو صاحب الأمر في حلف المطيبين وذلك، لأن زواجه من خالدة بنت هاشم[١] يجعله معاصر لهاشم بن عبد مناف.

إذن السبب في نشوب هذا النزاع هو محاولة بني عبد مناف وبني عبد العزى استرجاع حقوقهم من بني عبد الدار، بعد أن بلغوا مبالغ الرجال وشرفوا في قومهم وظهر تميزهم[٢].

أما التساؤل الثاني فقد أجبنا عن جزء منه فيما قدمناه من أن حقوق بني عبد العزى قد انتزعها أبناء عبد الدار، علاوة على أن صلة القربى التي أشرنا إليها في زواج عبد العزى من خالدة بنت هاشم وإنجابها له عدة أبناء نوفل وحبيب وصيفي[٣]. ويمكن أن نضيف إلى ذلك أن أسد بن عبد العزى لم يكن له إخوان لذلك فضل أن يلجأ إلى هاشم وحلفائه ليقوي نفسه في قريش، ويدخل في ائتلاف من البيوت القرشية ليحول دون استبداد أبناء عبد الدار بالأمور، فينشأ نتيجة لذلك نوع من توازن

---

(١) ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب (ت٢٠٤هـ)، جمهرة النسب. تحقيق ناجي حسن ط١، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٦، ص ٦٨.

(٢) حاول بعض الباحثين مناقشة هذا النزاع، لكنهم اعتمدوا على رواية ابن إسحق فقط دون الرجوع إلى بقية الروايات، ينظر العلي، صالح أحمد، محاضرات في تاريخ العرب. جامعة الموصل، ١٩٨٧ ،ص ٢٨٣، العسلي، دور أجداد الرسول، ص ٣٩ ـ ٤١، الملاح، الوسيط في تاريخ العرب، ص٢٥٧ ـ ١٥٨.

(٣) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص ٦٨.

القوة في مكة وهذا ما حدث بالفعل حيث بقي المجتمع القرشي مستقراً طيلة الفترة الممتدة من وفاة قصي حتى قيام الدعوة الإسلامية.

وكما رأينا أن هذا النزاع انتهى بعد أن حصل هاشم بن عبد مناف على السقاية والرفادة، ولم يحصل أسد بن عبد العزى وحلفاء هاشم على شيء، والذي يبدو من خلال الروايات إنهم لم يعترضوا على هذه النتيجة وهذا يقودنا إلى الإستنتاج أنهم رأوا أن المستقبل مع هاشم وذلك، لأنه قام مع أخوانه عبد شمس والمطلب ونوفل بعقد معاهدات تجارية سميت بالإيلاف[1] مع الدولة البيزنطية والساسانية والحبشة ومصر ومع القبائل القاطنة على الطرق التجارية مقابل بعض الامتيازات[2]، وبذلك أخذت قريش تبعث قوافلها إلى أماكن مختلفة بعد أن كانت تجارتهم داخلية لا تعدو مكة والمناطق القريبة منها حيث يقدم عليهم التجار بالسلع فيشترون منهم ثم يتبايعوا فيما بينهم[3].

يبدو أن النزاع حول وظائف الكعبة جعل أسد بن عبد العزى يتنبه إلى ضعف موقفه في قريش، لذلك تزوج العديد من النساء وصل

---

(١) أشار القرآن الكريم إلى هذه المعاهدات بقوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ﴾.

(٢) ابن هشام، السيرة، ١/ ١٢٥. ابن سعد، الطبقات، ١/ ٧٨. ابن حبيب، المنمق، ص٣٣. ولمزيد من المعلومات عن الإيلاف راجع كستر. أ. ج، الحيرة ومكة وصلتها بالقبائل العربية، ترجمة يحيى الجبوري، جامعة بغداد، ١٩٦٧. ص٥٣ وما بعدها.

(٣) ابن حبيب، المنمق، ص ٣١. أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم البغدادي (ت٣٥٦هـ) ذيل الأمالي، فهرست محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الفكر، د.م.د.ت، ص ١٩٩. الكلاعي، سليمان بن موسى الأندلسي (ت٦٣٤هـ)، الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء. تحقيق مصطفى عبد الواحد، مكتبة الهلال، بيروت ١٩٦٨، ١/ ١٤٧.

عددهن إلى ست نساء أولهن زهرة بنت عمرو من بني مازن أنجبت له خويلد بن أسد، ثم تزوج خالدة بنت هاشم بن عبد مناف فولدت له نوفل وحبيب وصيفي، ثم تزوج ريطة بنت الحويرث من قبيلة ثقيف فأنجبت له الحويرث، ثم تزوج الصعبة بنت خالد من قبيلة الأوس فأنجبت له طالب وطليب، ثم تزوج بره بنت عوف العدوية من عدي خزاعة فأنجبت له المطلب والحارث وعبد وعثمان[١].

وهذه الزيجات حققت لأسد ما أراد حيث أنجب عدداً كبيراً من الأبناء تجاوز العشرة استطاعوا أن يثبتوا مكانة هذه الأسرة في مجتمع مكة قبل الإسلام، لذلك نجدهم حاضرين في كل أحداث مكة.

لو عدنا مرة أخرى إلى النزاع حول وظائف الكعبة نجد أن هذا الحلف تجدد مرة أخرى في أيام أبناء أسد، فتذكر الروايات أن المرأة التي أخرجت الجفنة المملوءة طيباً كانت إحدى بنات عبد المطلب أما عاتكة[٢]، أو أم حكيم البيضاء[٣]، وهذا يعني أن حلف المطيبين تجدد مرة أخرى، لأن الحلف الأول كان في عهد هاشم وإخوانه أما هذه الروايات فتدل على أنه حدث في عهد عبد المطلب وذلك، لأن هاشماً توفي وعبد المطلب لا يزال صغيراً[٤].

---

(١) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص ٦٨ ـ ٦٩ . مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ٢٠٦ وما بعدها.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ١/ ٧٩. ابن حبيب المحبر، ص١٦٦. المنمق، ص ٢٠. السهيلي، الروض الأنف، ١/ ١٥٤.

(٣) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ٣٨٣. ابن حبيب، المنمق، ص ٤٢. اليعقوبي، تاريخ ١/ ٢١٩.

(٤) ابن هشام، السيرة، ١/ ١٢٧. ابن سعد، الطبقات، ١/ ٧٩.

وهذا الأمر يجعلنا نفترض أن حلف المطيبين قد ضعف بعد وفاة هاشم وصغر عبد المطلب، لذلك أرادوا تجديده مرة أخرى حتى يواجهوا حلف لعقة الدم، بعد عودة عبد المطلب من يثرب وبروز شأنه في قريش، ويعزز هذا الرواية التي أوردها اليعقوبي: «ولما رأت قريش أن عبد المطلب قد حاز الفخر طلبت أن يحالف بعضها بعضاً ليعزوا وكان أول من طلب ذلك بنو عبد الدار لما رأت حال عبد المطلب فمشت إلى بني سهم فقالوا أمنعونا من بني عبد مناف، فلما رأى ذلك بنو عبد مناف اجتمعوا خلا بني عبد شمس فأخرجت لهم أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب طيباً في جفنة ثم وضعته في الحجر فتطيب بنو عبد مناف وأسد وزهرة وبنوتيم وبنو الحارث الفهر فسموا المطيبين»[1].

وفي هذه المرحلة التي نحن بصددها يبدو أن خويلد بن أسد كان زعيم قومه، لأن الروايات تذكر أنه كان عزيزاً في قومه منيعاً شأنه شأن بقية رؤوساء العوائل القريشية تميز على أبناء عمومته فكان المقدم فيهم ورأس هذه العائلة. وربما حاز الزعامة بوصية من والده، أو لأنه أكبر من أبنائه أو نتيجة لصفات شخصية تميز بها.

وقد تزوج عدة نساء أولهن امرأة من حلفاء بني نوفل بن عبد مناف إسمها منية بنت الحارث من بني مازن بن منصور، فولدت له ابنه البكر عدي وحزام والعوام ورقيقة، ثم تزوج امرأة من بني عدي الخزاعيين لم تذكر المصادر اسمها وهي عمة بديل بن ورقاء الخزاعي فولدت له نوفل بن خويلد، ثم تزوج فاطمة بنت زائدة العامرية القرشية فولدت له خديجة وهالة[2]، وأضافت بعض المصادر بنتاً لخويلد اسمها

---

(١) تاريخ اليعقوبي، ١/٢١٨ ـ ٢١٩.

(٢) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٢٨ ـ ٢٣١.

خالدة دون أن تشير إلى اسم أمها أو أي معلومات عنها[١].

وفي أيام خويلد بن أسد حصلت أسرته على وظيفة تسمى وظيفة المشورة وهي: أن صاحبها إن اجتمعت قريش على أمر عرضته عليه فإن وافق رأيهم رأيه سكت أو يعترض على ذلك أو يتخير[٢]، وهي مع وظائف أخرى «العقاب راية قريش والعمارة، وحلوان النفق، والأيسار، والديات، والمغارم، والقبة، والأعنة، والسفارة، والحكومة، والأموال المحجوزة»[٣]، كانت بمنزلة ثانوية بعد وظائف الكعبة الرئيسية الستة «الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء والقيادة»، ويبدو أنها كانت تشريف أعطي لبقية البطون القرشية التي لم تشارك في هذه الوظائف الرئيسية وإرضاء لها بعد تنامي قوة هذه البطون وزيادة مكانتها الاجتماعية في مكة، الأمر الذي جعلها تحاول المشاركة في إدارة شؤون مكة الدينية والسياسية.

أما وظيفة المشورة فيبدو أنها أهم الوظائف الثانوية التي ذكرناها، لأن صاحبها كالمستشار الذي تعرض عليه القرارات التي يتوصل إليها الملأ المكي ولا يستطيع أن يصل إلى هذه المكانة، إلا من كان له أساس عائلي متين في قريش أي ينتسب إلى قصي والحالة موافقة لمكانة خويلد.

---

(١) ابن حبيب المحبر ص ١٠٠ . البلاذري، أنساب الأشراف، ١/٤٠٦.

(٢) ابن إسحق، السير المغازي ص ٥٤ . ابن بكار، جمهرة نسب قريش، ١/٤٧١ . ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت٣٥٦هـ) العقد الفريد، تصحيح أحمد أمين وآخرون، القاهرة ١٩٤٩، ٣/٣١٣.

(٣) ينظر ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣/٣١٣ ـ ٣١٥.

وأورد ابن إسحاق رواية حول تولي خويلد بن أسد لهذه الوظيفة وهي أن تبع اليمني أراد أن يأخذ الحجر الأسود من الكعبة فاجتمعت قريش إلى خويلد فسألتهم عن الأمر فأخبروه فلم يرض وجمع قريش وخرج بهم لمواجهته وأحبط محاولته في أخذ الحجر[١].

وهذه الرواية تبدو عليها المسحة الأسطورية حيث أن تبع الذي أشارت إليه الرواية هو أبو كرب تبان أسعد، وهو الذي كسا الكعبة ثم أعتق اليهودية على يد حبرين يهوديين وأراد فرضها على أهل اليمن الذين كانوا أهل أوثان[٢]، وقد عاصر هذا التبع ولاية جرهم للبيت[٣]، ومن المعروف أن جرهم تولت البيت قبل خزاعة التي بدورها تولته قبل قصي بثلاثمائة عام[٤]، وهذه الدلائل تشير إلى أن هذه الرواية لا أساس لها وخصوصاً أن ابن هشام والأزرقي ذكرا أخبار تبع وزيارته إلى مكة[٥]، ولم يذكرا هذه الرواية لكن هذا لا يعني أن المشورة لم تكن لبني أسد بل فيهم حيث أن هذه الرواية تدل على أن المشورة كانت لخويلد بن أسد لذلك نسب إبن إسحق هذه الرواية له.

وقد عاصر خويلد بن أسد أحداث أخرى إضافة إلى ما قدمناه، وأهم هذه الأحداث انتصار سيف بن ذي يزن على الأحباش وطردهم من اليمن ووقوع حرب الفجار وعقد حلف الفضول، أما الحدث الأول فقد

---

(١) ابن إسحق، السير والمغازي، ص٥٤ . السهيلي، الروض الأنف، ١/ ٣١٣.

(٢) ابن هشام، السيرة، ١/ ١٧ ـ ٢٢.

(٣) ابن إسحق، السير والمغازي، ص٥٤.

(٤) الأزرقي، أخبار مكة، ١/ ١٠٣.

(٥) السيرة ١/ ١٧ ـ ٢٤ . أخبار مكة، ١/ ٣٢.

خرج وفد من مكة مكون من ثلاثة شخصيات لتهنئة سيف على الانتصار وكان هذا الوفد يضم عبد المطلب بن هاشم، وخويلد بن أسد وأمية بن عبد شمس[1].

والشخصيات الثلاثة تنتمي إلى حلف المطيبين علاوة على أنها من أبناء قصي، وهذا يدل على أن أعضاء هذا الحلف كانوا يحاولون تحسين علاقتهم بالدول المجاورة لمكة من أجل ضمان استمرار العمل التجاري معها، ويؤكد أيضاً بقاء خويلد بن أسد إلى جانب بني هاشم في خط الأحلاف وكونه أحد زعماء مكة المعروفين في تلك الفترة.

وقد يقودنا هذا الوفد إلى معرفة الدوافع الحقيقية لانعقاد حلف الفضول، فتذكر الروايات أن أحد التجار اليمنيين قدم بسلعة فاشتراها منه العاص بن وائل السهمي فظلمه بثمنها فأخذ التاجر يشتكي أمره فتوجه إلى الأحلاف «لعقة الدم»، فلم يجد أحد يرد عليه حقه فأخذ يصيح وينادي في مكة فسمع ذلك المطيبون فاجتمعوا في دار عبد الله بن جدعان التيمي وقالوا: «لنكونن مع المظلوم حتى يؤدي إليه حقه»[2]، وبالرغم من النواحي الأخلاقية التي يشير إليها هذا الحلف وضرورة

---

(١) الأصمعي، عبد الملك بن قريب (ت٢١٧هـ)، تاريخ العرب قبل الإسلام، تحقيق محمد حسن آل ياسي ط١، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٩، ص٥٢ . أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين (ت٣٥٦)، الأغاني تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الشعب مصر، ١٩٧٠، ١٩/ ٦٦٣١ . أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، تحقيق محمد رواس قلعجي. ط١، حلب ١٩٧٠ ١/ ١١٤. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (ت٥٩٧هـ)، الوفا بأحوال المصطفى، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة، مطبعة السعادة، مصر ١٩٦٦ . ابن كثير، البداية والنهاية ٢/ ٣٢٩.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ١ج/ ١٢٩.

حماية الغريب الذي يدخل إلى مكة فإن هناك دوافع مهمة جعلت هذه البيوت «بني هاشم وبني المطلب بن عبد مناف وبني أسد بن عبد العزى وبني زهرة وبني تيم بن مرة»[١] تعقد هذا الحلف وهي تقريباً نفس قبائل حلف المطيبين.

وهذه الدوافع تكمن في أن الذين عقدوا حلف الفضول كانوا منتفعين من دخول التجار اليمنيين إلى مكة «على عكس البيوت القرشية الأخرى مخزوم وسهم وجمح وعبد الدار التي لم تكن بحاجة إلى هذه التجارة»، حيث شعروا أن هذا الاعتداء سوف يؤدي إلى عزوف التجار عن دخول مكة وبالتالي تتضرر مصالحهم الاقتصادية[٢]، وذلك لأن معاهدات الإيلاف التي عقدها هاشم وإخوته ابتعدت عن الهدف الذي عقدت من أجله حيث كان الهدف منها تسيير تجارة تعود بالنفع على جميع القرشيين «أصحاب الإيلاف من قريش الذين رفع الله بهم قريش ونعش فقراءها»[٣]، وقال فيهم الشاعر مطرود بن كعب الخزاعي:

والخالطين غنيهم بفقيرهم حتى يكون فقيرهم كالكافي[٤]

---

(١) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ)، رسائل الجاحظ (الرسائل السياسية) تقديم علي أبو محلم ط١، مكتبة الهلال، بيروت لبنان د.ت. ص٤١٤ . البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق محمد باقر المحمودي ط ١ بيروت ١٩٧٤، ١٢/٢ . أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني ٦٦٠٣/١٩ . ابن الجوزي، الوفا ١٣١/١، الكلاعي، الاكتفاء ٨٩/١.

(٢) ينظر واط، مونتجمري، محمد في مكة، ترجمة شعبان بركات، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٥٢ ص٣٨ ـ ٣٩ . الملاح الوسيط في تاريخ العرب، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥.

(٣) ابن حبيب، المنمق، ص ٣٢.

(٤) الحلبي، برهان الدين الشافعي (ت١٠٤٤هـ). السيرة الحلبية، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٩٦٢، ٦/١.

ولكن الذي حدث لم يكن هذا الأمر، فبالرغم من انتفاع الفقراء الذين كانوا يرسلون أموالهم القليلة مع القوافل الذاهبة إلى التجارة أدى الإيلاف في نفس الوقت إلى تركز الثروات في أيدي قلة من القريشيين سيطرت على موارد الاقتصاد في مكة، لذلك قامت البيوت الأخرى «المطيبين» بمواجهة هذا الأمر وإنشاء هذا الحلف، لكن هذا لا يعني أن أعضاء حلف الفضول كانوا فقراء جداً، فقد ظهرت من بينهم شخصيات تميزت بالغنى مثل الأسود بن المطلب بن أسد الذي كان يسمى «زاد الركب»، لأن الذي يسافر معه لا يحتاج إلى أن يأخذ معه طعام[١] وحكيم بن حزام بن خويلد الذي كان من تجار مكة المعروفين[٢]، وأبو البختري العاص بن هاشم بن الحارث بن أسد الذي نحر هو ونوفل بن خويلد كل واحد عشراً من الإبل في معركة بدر[٣]، وعبد الله بن جدعان التيمي وغيرهم لكنهم لم يصلوا إلى المستوى المادي الذي وصلت إليه البيوت القرشيَّة التي ذكرناها.

ولو تعرضنا إلى الرواية التي ذكرت محاولة عثمان بن الحويرث بن أسد في التملك على قريش لتعزز لدينا ما قدمناه، حيث اعتنق هو وورقة بن نوفل النصرانية[٤]، ووفد على قيصر البيزنطيين وحصل على لقب«البطريق» وعرض عليه ان يجعل مكة تابعة له مقابل ان يجعله ملكا عليها فاعطاه ما اراد وجاء عثمان الى مكة واخبر قريش بالامر وكادت ان

---

(١) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص ٧٢ . ابن حبيب المحبر، ص ١٣٧.

(٢) ابن بكار، جمهرة نسب قريش ١/ ٣٥٦، وكان يبيع البر وهو نوع من الأقمشة.

(٣) الواقدي، محمد بن عمر (ت٣٠٧هـ)، المغازي، تحقيق ماردسن جونس، دار المعارف، مصر ١٩٦٤ ، ١/ ١٤٤.

(٤) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص١١٥.

ترضى، لكن الاسود بن المطلب ابن عمه افسد الامر واخذ ينادي «ان قريش لقاح لا تملك فرفضوا امره وخرج الى الشام ومات فيها»[١].

هذه الرواية تؤيد ما ذهبنا اليه في قبائل المطيبين تخاف من سيطرة البيزنطين على التجارة وبالتالي تتضرر مصالحم الاقتصادية، لذلك نشطوا في افشال امر عثمان بن الحويرث، لان هذا معناه عدم وصول تجار اليمن الى مكة نتيجة للعداء بين الفرس المسيطرين على اليمن وبين البيزنطيّن

ولو انتقلنا إلى حرب الفجار ومشاركة بني أسد بن عبد العزى فيها نجد أن جميع البطون القرشية قد شاركت فيها بدون استثناء. وسبب هذه الحرب هو أن أحد أفراد قبيلة كنانة اعتدى على قافلة للنعمان بن المنذر ملك الحيرة كانت قادمة إلى سوق عكاظ وقتل ضامن هذه القافلة الذي ينتمي إلى قبيلة هوازن، والذي تعهد للنعمان في إيصالها دون أن يتعرض لها أحد فلجأ القاتل إلى قومه وهاجت الحرب بين قريش وكنانة من جهة وبين هوازن من جهة أخرى[٢].

وسبب مساندة قريش لقبيلة كنانة في هذه الحرب هو خوف قريش من أن تخرج التجارة من يدها[٣]، حيث أن إيصال قبيلة هوازن القوافل التجارية إلى الأسواق المحيطة بمكة يعني عدم حصول قريش على أي عوائد مادية من هذه التجارة. وقد ذكر أحد الباحثين أن الهجوم على القافلة كان متعمداً حيث أن القرشيين حاولوا إغلاق هذا الطريق التجاري

---

(١) ابن بكار، جمهرة نسب قريش، ١/ ٤٢٥ ـ ٤٣٠.

(٢) ابن هشام، السيرة، ١/ ١٦٨ ـ ١٧٠.

(٣) العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ص٢٣٤.

الذي يربط الحيرة باليمن مروراً بالطائف أو السيطرة عليها[١] وبالرغم من أننا لا نؤيد تعمد الاعتداء على القافلة، لأن ذلك لم يكن وفق تخطيط مسبق، لكننا لا نستبعد كون قريش ساعدت كنانة من أجل الحفاظ على مواردها الاقتصادية التي قد يضرها وصول تجارة من الحيرة دون أن يكون لها يد فيها.

ولعل مشاركة جميع البطون القرشية بما فيها قبائل المطيبين في هذه الحرب يدل على أن الجميع كان يشعر بالخطر المحدق بمصالحهم التجارية، حتى أن بني أسد بن عبد العزى تحملوا دوراً كبيراً في هذه الحرب، فقد قتل فيها نوفل بن أسد وحبيب بن أسد وطالب بن أسد وطليب بن أسد[٢]، والعوام بن خويلد[٣]، وحزام بن خويلد[٤]، وكان زعيم هذه العائلة في الحرب هو خويلد بن أسد كما ذكرت الروايات المختلفة[٥] وذكرت بعض المصادر أنه قتل فيها[٦]، في حين ذهبت

---

(١) واط، محمد في مكة، ص ٣٨ ـ ٣٩.

(٢) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص ٦٩.

(٣) ابن حبيب المحبر، ص ١٨٨ . ابن قتيبة، المعارف ص ٥٨٩ . ابن أبي الحديد المعتزلي، عز الدين عبد الحميد المدائني (ت٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط٢، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ٩٥٨، ١٥/٢٤٨.

(٤) ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت٣٢١هـ). الاشتقاق، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٢، مكتبة المثنى، بغداد ١٩٧٩، ١/١٩٣.

(٥) ابن حبيب، المنمق، ص ١٩٩ . البلاذري، أنساب الأشراف، ١/١٠٢ . ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٢٠ . السهيلي، الروض الأنف، ١/٢١٣.

(٦) اليعقوبي، تاريخ ٢/١٦ . الطبري، تاريخ ٢/٢٨٢. ابن سيد الناس، عيون الأثر ١/٥٠ . المقريزي، أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ)، أمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والحفدة والمتاع، شرح محمود محمد شاكر، القاهرة ١٩٤١، ١/١١.

أخرى أنه قتل بعدها[1]، وعلى أية حال فإنه كان زعيماً لقومه في هذه الحرب ولا نستبعد كونه قتل فيها.

وإلى جانب ما ذكرناه عن هذه العائلة فإن هناك إتجاهاً دينياً ظهر فيها من خلال اعتناق اثنين من أفرادها للنصرانية هما عثمان وورقة[2]، وهذا الاتجاه لا يأتي من فراغ فربما كان هناك توجه ديني في العائلة أثر في هذين عن طريق التربية، لا سيما إذا أضفنا إلى ذلك الرواية التي أوردها الزبير بن بكار والتي تدل على توجه خويلد بن أسد الديني ونصها: «لما حفرت زمزم وأدرك عبد المطلب ما أدرك وجدت قريش في نفسها مما أعطى عبد المطلب فلقيه خويلد بن أسد فقال: يا بن سلمى لقد سقيت ماء رغداً ونثلت عادية حسداً، فقال: يا بن أسد أما أنك تشرك في فضلها، والله لا يساعدني أحد عليها ببر ولا يقوم معي إلا بذلت له خير الصهر فقال خويلد:

أقول وما قولي عليك بسبة ... إليك ابن سلمى أنت حافر زمزم

حفيرة إبراهيم يوم ابن هاجر ... وركضة جبريل على عهد آدم

فقال عبد المطلب: ما وجدت أحد ورث العلم إلا قدم غير خويلد بن أسد»[3].

وبالرغم من هذه الرواية لم نجدها في مصادر أخرى غير ابن أبي الحديد، لكن هذا لا يعني أنها لا أساس لها ربما حصل عليها من مصادر

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ٨/١٦.

(٢) سنعرض لمناقشة مسألة ورقة في الفصل السادس، ص ١٤٤ ـ ١٤٩.

(٣) ابن أبي الحديد، شرح النهج ١٥/٢١٧ . وأورد البلاذري، أبيات الشعر فقط، أنساب الأشراف، ١/ ٨٢.

متقدمة لم تقع بين أيدينا، وهي تدلل على معرفة بالدين فما هو العلم الذي ورثه خويلد غير الدين، وإذا جمعنا هذه الرواية مع تنصر اثنان من أبناء هذه العائلة نعرف أن هناك توجه ديني ويتضح هذا بجلاء في المستوى الديني الذي تمتعت فيه السيدة عليها السلام واختيار رسول الله صلى الله عليه وآله لها وموقفها في بداية البعثة النبوية[1].

(١) ستتعرض للتوجهات الروحية للسيدة خديجة(ع) عند الحديث عن دورها في البعثة، ص١٣٨ ـ ١٤٣.

ولادة ونشأة السيدة خديجة عليها السلام

لم تحدد الروايات العام الذي ولدت فيه السيدة خديجة عليها السلام، بل تعرضت لعمرها عند زواجها من رسول الله صلى الله عليه وآله والرواية التي اعتمدت عليها معظم المصادر هي الرواية التي تحدد عمرها بأربعين سنة[1]، وهذه الرواية أوردها الواقدي بسندين عن حكيم بن حزام الأول: «سئل حكيم بن حزام أيهما كان أسن رسول الله صلى الله عليه وآله أو خديجة فقال: كانت خديجة أسن منه بخمس عشرة سنة، لقد حرمت على عمتي الصلاة قبل أن يولد رسول الله[2]. والثاني: عن موسى بن عقبة عن أبي حبيبة أحد

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ١٧ . البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٩٨ . الطبري، تاريخ، ٢/ ٢٠٨ . المسعودي، التنبيه والإشراف، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨١، ص٢١٥ ـ ٢١٦ . المقدسي، مطهر بن طاهر، (ت بعد ٣٥٥هـ). البدء والتاريخ، مكتبة المثنى، بغداد د.ت، ٤/ ١٣٨ . ابن الجوزي، صفة الصفوة، تحقيق محمد فاخوري، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٩، ٢/ ٧ . ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد (ت٦٣٠هـ). الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت ١٩٦٥، ٢/ ٣٩ . الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف، مصر ١٩٥٧، ٢/ ٨٢ . المقريزي، إمتاع الأسماع، ١/ ٩ . ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ط١، مكتبة المثنى، بغداد. د. ت ٤/ ٢٨٢.

(٢) ابن سعد الطبقات، ٨/ ١٥، ومعنى حرمت على عمتي الصلاة أي حاضت، وتكلم بما تكلم به أهل الإسلام.

موالي آل الزبير، أنه سمع حكيم بن حزام يقول «تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة وهي ابنة أربعين سنة ورسول الله ابن خمس وعشرين سنة، وكانت أسن مني بسنتين، ولدت قبل الفيل بخمس عشرة سنة وولدت أنا قبل الفيل بثلاث عشرة سنة»[1].

وهناك روايات أخرى ذكرت أن عُمرُها قبل الزواج أقل من أربعين عاماً وهي:

١ ـ الرواية التي أوردتها المصادر عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي بسنده عن ابن عباس تذكر أن عمرها عند زواجها من الرسول ﷺ كان ثمانية وعشرين عاماً[2].

٢ ـ أوردت بعض المصادر رواية عن الزبير بن بكار أن عمرها كان ثلاثين سنة عند الزواج[3].

---

(١) المصدر نفسه، ٨/ ١٧.

(٢) المصدر نفسه، ٨/ ١٧ . ابن حبيب المحبر، ص ٧٩ . أنساب الأشراف، ١/ ٩٨ . النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة ١٩٥٩م، ١٦/ ٩٩ . الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/ ٨٢ . مغلطاي، مغلطاي بن فليج (ت٧٦٢هـ). سيرة مغلطاي، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٦هـ، ص ١٢ . العامري، عماد الدين يحيى بن أبي بكر (ت٨٩٣هـ)، بهجة المحافل وبغية الأماثل، المكتبة العلمية، مصر ١٣٣١هـ ١/ ٤٨ . الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (ت٩٦٦هـ). تاريخ الخميس، مؤسسة شعبان بيروت ١٣٨٣هـ ، ١/ ٢٩٤ . ابن العماد، أبو الفلاح عبد الحي (ت١٠٨٩هـ). شذرات الذهب، المكتب التجاري، بيروت د. ت، ١/ ٤١.

(٣) مغلطاي، السيرة، ص ١٢ . الديار بكري، تاريخ الخميس ١/ ٢٦٤ . الحلبي، السيرة الحلبية، ١/ ١٤٠.

٣ ـ ذكرت بعض المصادر أن عمرها كان خمساً وعشرين سنة[١].

٤ ـ ذكرت بعض المصادر أن عمرها كان خمساً وثلاثين سنة[٢].

وذهبت بعض المصادر إلى أن عمرها كان أكثر من أربعين عاماً، حيث ذكر أحدها أن عمرها كان أربعاً وأربعين سنة[٣]، وبعضها خمساً وأربعين سنة[٤]، وأخرى ستاً وأربعين سنة[٥].

وهذه التحديدات المتقدمة هي مجمل ما جاء في المصادر عن عمر السيدة، وأكثر التحديدات شيوعاً رواية حكيم بن حزام التي قال فيها: أن عمرها أربعين سنة، ورواية ابن عباس التي قال فيها: أن عمرها ثمانية وعشرين سنة، وسوف نعتمد على هاتين الروايتين، لأنهما الروايتان الوحيدتان اللتان تتصلان بالصحابة وبإناس عاصروا الدعوة الإسلامية ولشيوعهما في المصادر وخصوصاً أن التحديدات التي ذكرت أن عمرها كان أكثر من أربعين سنة لا يناسبها الواقع على ما سيأتي بيانه.

نبدأ برواية حكيم بن حزام أولاً: حيث تذكر الروايات أن عمره

---

(١) البيهقي، أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ)، دلائل النبوة، تحقيق عبد المعطي قلعجي ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥، ٢/ ٧ . ابن كثير، البداية والنهاية ٢/ ٩٤ . الحلبي، السيرة الحلبية، ١/ ١٤٠.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية ٢/ ٢٩٥ . الحلبي، السيرة الحلبية ١/ ١٤٠.

(٣) ابن بدران، عبد القادر، تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر (ت٥٧١هـ) دار السيرة، بيروت ١٩٧٩م، ١/ ٣٠٣.

(٤) مغلطاي، السيرة، ص ١٢ . الديار بكري، تاريخ الخميس، ١/ ٣٠١ . الحلبي، السيرة الحلبية، ١/ ١٤٠.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٩٨.

عندما توفي كان مائة وعشرين عاماً عاش ستين منها في الجاهلية وستين في الإسلام[1] وتوفي سنة خمس وخمسين[2]، فإذا كان قد ولد قبل عام الفيل بثلاث عشرة سنة ـ حسب روايته ـ فإن عمره إلى البعثة النبوية ثلاث وخمسين سنة، لأن بعثة الرسول ﷺ كانت بعد أربعين عاماً من عام الفيل[3]، الذي ولد فيه الرسول ﷺ فيكون عمره عند الهجرة إلى المدينة المنورة ستاً وستين سنة على اعتبار بقاء رسول الله ﷺ في مكة ثلاث عشرة عام[4]، ويكون عمره عند فتح مكة أربع وسبعين عاماً، لأن بقاء رسول الله ﷺ في المدينة ثمان سنين وفي فتح مكة أسلم حكيم بن حزام فحياته قبل الإسلام ليست ستين سنة ـ كما رأينا ـ إذن هذا يخالف.

وأورد بعض الباحثين رأياً دقيقاً ملخصة أن النضج في البلاد الحارة يكون مبكراً، ولذلك فإن المرأة تهرم بسرعة فتكون عجوزاً أو قريبة من ذلك في هذا العصر[5].

ونضيف إلى ذلك أن السيدة خديجة عليها السلام لم تكن قد أنجبت أحد أبناءها بمعجزة ولو كان الأمر كذلك لأخبرتنا به كتب السيرة وذلك، لأن

---

(١) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ٢٣١ . ابن قتيبة، المعارف، ص ٣١١ . البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٩٩ . ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ١٢١ . ابن الجوزي، الوفا، ١/ ٩٣ . ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، مطبعة الشعب، بغداد ١٩٧٠، ٢/ ٤٦ . ابن حجر، الإصابة، ١/ ٣٤٩.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٩٩.

(٣) ابن إسحق، السير والمغازي ص١٣٠ . ابن هشام، السيرة ١/ ٢١٦ . ابن سعد، الطبقات، ١/ ١٩٠.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥ . الطبري، تاريخ، ٢/ ٣٨٤ ـ ٣٨٧.

(٥) بودلي، ر.ف. الرسول حياة محمد، ترجمة محمد محمد فرج وآخر، مكتبة مصر، د.ت، ص ١٢٩ . العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ص٢٦٩.

الإنجاب وكما هو معروف يتوقف عند المرأة في نهاية العقد الخامس من عمرها، وإذا كان هناك شواذ واستمر الإنجاب إلى الستين فهذا لا يتلاءم مع ولادة بعض أولادها بعد السنة الخامسة للبعثة.

أما رواية ابن عباس فهي أقرب إلى المعقول وتناسب ولادة السيدة هذا العدد من الأبناء، وعليه تكون ولادتها قبل عام الفيل بثلاث سنوات.

إذن كانت خديجة عليها السلام وأختها هالة آخر أبناء خويلد بن أسد، لأن أمها كانت آخر أزواجه[1] وقد تزوجت هالة من الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس ثم أخوه ربيعة ثم تزوجها أحد بني ثقيف ثم تزوجت في بني خزاعة.

أما رقيقة فقد تزوجت في بني تيم بن مرة[2] وولدت بنتاً أسمها أميمة[3].

أما أخوانها فأكبرهم عدي لم نحصل على أية رواية عنه سوى أنه «انقرض عقبة»[4]، والعوام بن خويلد تزوج من صفية بنت عبد المطلب فولدت له الزبير والسائب وأم حبيب وعبد الكعبة الذي سماه

---

(١) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ٢٠٣.

(٢) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ٢٢٩ . ابن حبيب، المحبر، ص ٩٩ ـ ١٠٠ ـ ٤٥١ . البلاذري أنساب الأشراف، ٤٠٦/١ . ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٢٠.

(٣) ابن سعد الطبقات، ٢٥٥/٨ ـ ٢٥٦ . ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله (ت٤٦٣هـ)، الإستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر، مصر، د.ت، ١٧٩١/٤.

(٤) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ٢٣١.

الرسولﷺ عبد الرحمن[١] وقد قتل العوام في حرب الفجار[٢]، وحزام بن خويلد تزوج فاختة بنت زهير بن الحارث بن أسد فأنجبت له حكيماً وخالداً وهشاماً[٣]، وقد قتل حزام بن خويلد في حرب الفجار أيضاً[٤]، وأخوها الرابع نوفل بن خويلد ويقال له ابن العدوية نسبة إلى أمه، تزوج الفريعة بنت نوفل بن عبد مناف فأنجبت له الأسود بن نوفل الذي أسلم وهاجر إلى الحبشة[٥]، وبقي نوفل على شركه وكان شديداً على المسلمين، فعندما أسلم طلحة بن عبيد الله التيمي (رض) قام نوفل بربطه هو وأبو بكر(رض) بحبل لذلك سموا القرينين[٦]. ومن شدته على المسلمين قال فيه رسول اللهﷺ: «اللهم اكفني نوفل بن خويلد» فقتله الإمام علي بن أبي طالبعليه السلام وهو على الشرك[٧].

وقد تعرفنا على حياة والد السيدة خديجةعليها السلام ووفاته، لكن هناك رواية مفردة أوردها ابن حبيب ذكر فيها أن الذي قتله كعب بن عمرو من قبيلة خزاعة[٨] دون أن يحدد متى قتل، أما والدتها فلم نحصل على

---

(١) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦ . ابن عبد البر، الإستيعاب ٤/ ١٨٧٣.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص ١٨٩ . ابن قتيبة، المعارف، ص ٢١٩.

(٣) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ٢٣١.

(٤) ابن زيد، الإشتقاق، ١/ ٩٣.

(٥) مؤرخ، حذف من نسب قريش، ص ٥٢ . مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ٢٠٣ . ابن الأثير، أسد الغابة، ١/ ١٠٦.

(٦) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ٢٠٣ . الجاحظ، الرسائل السياسية، ص ٤٤ . الذهبي، تاريخ الإسلام، ١/ ٨٠ ـ ٨١.

(٧) الواقدي، المغازي ١/ ٩١ ـ ٩٢ . ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ١٢٠ . المقريزي، أمتاع الأسماع، ١/ ٩٢.

(٨) ابن حبيب، المحبر، ص٨٩.

روايات عنها سوى أنها من بني عامر القرشيين الذين سكنوا ظواهر مكة[1]، وأخوها قيس بن زائدة العامري وهو والد الصحابي عمرو، الذي عرف باسم ابن أم مكتوم (رض) وكان يخلفه الرسول ﷺ مرات متعددة على المدينة عند خروجه بالغزوات وهو ابن خال السيدة عليها السلام[2].

وفي ظل هذه العائلة عاشت السيدة خديجة عليها السلام حياة أبناء العوائل الشريفة الكبيرة منعمة مترفة، مع ما لأبيها من مكانة في قريش كونه أحد زعمائها ورجالها البارزين، ومما لا يقبل الشك أن قوة شخصيتها ومكانتها جاءت نتيجة لتأثير هذه العائلة فيها فضلاً عن مميزاتها الذاتية.

وعلى الرغم من عدم وجود روايات تشير إلى حياتها قبل عمل الرسول ﷺ في تجارتها نستطيع أن نعرف أن تأثير الأسرة كان كبيراً فيها لأنها خير قاعدة يبدأ منها الإنسان حياته وتقرر معالم شخصيته، لأن الجماعات الإنسانية مهما بلغت من التماسك والوحدة فلن يجد فيها الإنسان هذا اللون من العطف الخالص الذي يشعر به في حمى أسرته، لذلك نفترض أن نشأتها الأولى في أسرتها كانت مميزة جداً فقد أطلق عليها لقب «الطاهرة»[3] قبل أن تتزوج بالرسول ﷺ. ويتضح من هذا اللقب أنها نالت مكانة كبيرة في مجتمع مكة حتى استحقته فلقبت به دون

---

(١) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ٢٣٧ . المسعودي، مروج الذهب، ٢/ ٢٦٩.

(٢) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ٢٣٧.

(٣) ابن سعد، الطبقات ٨/ ١٥ . مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ٣٣٤ . البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٤٠٧.

باقي نساء قريش.

وليس من المستبعد أن يكون هذا اللقب قد أطلق عليها نتيجة لظروف أسرتها، حيث قتل اثنان من أخوتها في حرب الفجار، وربما قتل أبوها أيضاً فيها أو بعدها بقليل[1]، كذلك فإن أخاها عدياً ربما توفي في فترة مبكرة، لذلك لم يبقى لها سوى أخوها نوفل بن خويلد مما جعلها تتحمل مسؤولية نفسها، لأن علاقتها به كانت بعيدة وهذا ما نراه بوضوح في عدائه للإسلام وعدم مساعدته لأخته في المقاطعة التي فرضت على بني هاشم وعدم ورود أي رواية تدل على علاقته بها مما اضطرها إلى أن تعتمد على نفسها في إدارة شؤونها وإدارة أموالها التي ربما ورثتها عن عائلتها، ويتضح ذلك في مباشرتها للعمل التجاري الأمر الذي يؤكد استقلالها بنفسها وعدم وجود أشخاص يقومون به نيابة عنها.

---

(١) راجع ص ٦٣.

الفصل الثاني

زواج السيدة خديجة عليها السلام قبل النبي صلى الله عليه وآله

زواجها من رجل من بني مخزوم القرشيين وأبناؤها منه.

زواجها من رجل من قبيلة تميم العربية

أبناؤها من التميمي

- الحارث بن أبي هالة
- الزبير بن أبي هالة
- الطاهر بن أبي هالة
- هالة بن أبي هالة
- هند بن أبي هالة
- زينب بنت أبي هالة

أزواجها قبل الرسول«ص»

ذكرت الروايات أنها تزوجت رجلين قبل النبيﷺ، زوجها الأول من قبيلة تميم العربية والآخر مخزومي قرشي، لكن الروايات اختلفت اختلافاً كبيراً في أسميهما وأيهما تزوجها أولاً، وعدد أولادها منهما وأسمائهم، وسوف نستعرض هذه الروايات ونناقشها:

١ ـ ذكر بعض الرواة أن الذي تزوجها أولاً المخزومي ثم خلف عليها التميمي.

أ ـ وردت رواية عن قتادة بن دعامة أن الذي تزوجها أولاً عتيق بن عابد ثم أبو هالة هند بن زرارة[١].

ب ـ ذكر الزهري أن الذي تزوجها أولاً عتيق بن عابد ثم أبو هالة التميمي[٢].

---

(١) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص ٢٤٥ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١/ ٥٠ . محب الدين الطبري، أحمد بن عبد الله (ت٦٩٤هـ) السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، ط١، المكتبة العلمية، حلب ١٩٢٨، ص ١٢.

(٢) الأربلي، علي بن عيسى (ت٦٩٢هـ)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ط٣، مطبعة النجف، النجف الأشرف، ١٣٨٤هـ ، ٢/ ١٣٣ . النويري، نهاية الأرب، ١٨/ ١٧١ . ابن حجر، الإصابة، ٤/ ٢٨١ . المجلسي، محمد باقر (ت١١١١هـ). بحار الأنوار، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٥، ١٦/ ١.

ج ـ ذكر ابن إسحاق أن عتيق بن عائذ تزوجها أولاً ثم أبو هالة النباش بن زرارة[١]، وبعض المصادر ذكرت أن إسم أبو هالة مالك بن النباش بن زرارة، لكن يبدو أنه قول ابن هشام[٢].

د ـ ورد عن هشام بن محمد الكلبي أن الذي تزوجها أولاً عتيق بن عابد ثم أبو هالة بن زرارة بن النباش[٣].

هـ ـ ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن الذي تزوجها أولاً عتيق بن عابد ثم أبو هالة بن زرارة بن النباش[٤].

و ـ ورد عن الزبير بن بكار أن الذي تزوجها أولاً عتيق بن عابد ثم أبو هالة مالك بن النباش بن زرارة[٥]، وفي أحد المصادر إسم أبي هالة هند بن زرارة[٦].

---

(١) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص ٢٤٥ . ابن عساكر، تاريخ دمشق (السيرة النبوية) تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامسة العمروي، دار الفكر، بيروت ١٩٩٥، ٣/ ١٩٠.

(٢) ابن هشام، السيرة، ٤/ ٢١٤ . محب الدين الطبري، السمط الثمين، ص١١ . الذهبي، تاريخ الإسلام ١/ ١٠٤ . ابن حجر، الإصابة، ٤/ ٢٨١.

(٣) الطبري، تاريخ ٣/ ١٦١.

(٤) أبو عبيدة، معمر بن المثنى (ت٢٠٨هـ)، تسمية أزواج النبي(ص) وأولاده، تحقيق ناصر حلاوي، جامعة البصرة، ١٩٦٩، ص٢٠.

(٥) ابن بكار، الزبير (ت٢٥٦هـ) منتخب من كتاب أزواج النبي لمحمد بن الحسن بن زبالة (ت١٩٩هـ) تحقيق أكرم ضياء العمري، المملكة العربية السعودية، ١٩٨١، ص ٤٧ . ابن عساكر، تاريخ، ٣/ ١٩١ . الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٣هـ، ٩/ ٢١٩.

(٦) ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١/ ٥١.

٢ ـ أوردت بعض المصادر روايات عن الزهري وهشام بن محمد الكلبي تقول عكس ما تقدم.

أ ـ عن الزهري تزوجها أولاً أبو هالة التميمي ثم عتيق بن عائذ[١].

ب ـ عن ابن الكلبي تزوجها أولاً أبو هالة هند بن النباش بن زرارة ثم عتيق بن عابد[٢].

يبدو بعد هذا التقسيم الذي قدمناه أن أغلب الرواة ذهبوا إلى أن المخزومي هو أول أزواجها، لذلك سنعتمد قول الأغلب، ونبدأ بعرض الروايات الخاصة به وبأبنائه من السيدة خديجة عليها السلام.

ذكرت الروايات إن إسم المخزومي هو عتيق بن «عابد» بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة، وقع اختلاف في إسم أبيه بين عائذ وعابد وعايد وخالد وذكر أحد المصادر أن إسم أبيه عبد الله[٣]، ويبدو أن الاختلاف في إسم أبيه جاء عن طريق الخطأ في النقل، لا سيما أن هذه الأسماء متشابهة في الرسم، والصحيح هو عتيق بن عابد، لأن عائذ من أبناء عمران بن مخزوم، والدليل على ذلك أن حسان بن ثابت الأنصاري (رض) قال أبيات شعر في هجاء رفيع بن أمية بن عابد الذي قتل في معركة بدر كافراً وهو أخو صيفي بن أمية زوج هند، وابن

---

(١) ابن بكار، منتخب، ص ٤٦ . محب الدين الطبري، السمط الثمين، ص ١٢ . الهيثمي، مجمع الزوائد ٩/ ٢١٩.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ١٥ . ابن ماكولا، علي بن هبة الله (ت٤٧٥هـ) الإكمال، تصحيح عبد الرحمن بن يحيى اليماني، ط١، وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية الهند ١٩٦٢، ١/ ٥٢٣ . ابن عساكر، تاريخ، ٣/ ١٩٣.

(٣) المقدسي، البدء والتاريخ، ٤/ ١٣٨.

أخي عتيق بن عابد زوج السيدة الذي ذكرته الروايات، والأبيات هي:

فإن تصلح فإنك عابدي وصلح العابدي إلى فساد
وإن تفسد فما ألفيت إلا لئيماً تؤول إلى رشاد[1]

لكن الروايات لم تعطنا تحديداً دقيقاً واضحاً لزواجه من السيدة خديجة عليها السلام، ومن الذي زوجها منه، وما هي مكانته الاجتماعية وما علاقته ببني أسد بن عبد العزى، ولم تعطنا سوى إسمه فقط. لكن يمكن القول أنه ينتمي إلى بني مخزوم الأثرياء الذين يلتقون ببني أسد عند مرة بن كعب بن لؤي، لأن يقظة أبو مخزوم هو أخو لكلاب والد قصي، وكان لهم دور كبير في مواجهة الدعوة الإسلامية، وكانوا شديدين عليها وقادموها بكل الوسائل، وأبرز شخصياتهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل «عمرو بن هشام»، وفي النزاع الذي حدث حول وظائف الكعبة التزموا جانب بني عبد الدار ضد بني عبد مناف وبني أسد وحلفاءهم.

وإذا كنا قد رجحنا الرواية التي تقول أن السيدة خديجة عليها السلام ولدت قبل عام الفيل بثلاث سنوات، أي أن زواجها منه بعد ست أو سبع سنوات على اعتبار سرعة النضج في البلاد الحارة، أي أن زواجها منه كان في حياة أبيها خويلد بن أسد.

تذكر الروايات أنها أنجبت منه بنتاً إسمها هند[2]، تزوجت من

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٤٤، ٣٠١.

(٢) ابن هشام، السيرة ٤/ ٢١٤ . ابن سعد، الطبقات، ٨/ ١٥ . ابن حبيب، المحبر، ص ٧٨ ـ ٧٩ . ابن بكار، منتخب ص ٤٧ . البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧ . ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ١٤٢ ـ ١٤٣ . ابن عساكر، تاريخ ٣/ ١٩٠ . السهيلي، =

ابن عمها صيفي بن أمية بن عابد، وأنجبت منه ابناً سمته محمد له عقب في المدينة المنورة، لكنهم انقرضوا بعد ذلك[1]. وذكر ابن حزم أن إبناء محمد بن صيفي تولوا القضاء في المدينة[2]، لكن هذه الرواية ليست دقيقة، لأن الذي تولى القضاء في المدينة هو «عبد الرحمن بن يزيد بن محمد بن حنظلة بن محمد بن عباد بن جعفر بن رفاعة بن أمية بن عابد»[3]، وهؤلاء أبناء عمومة محمد بن صيفي.

وقد ذكرت الروايات أن أبناء محمد بن صيفي لقبوا بـ «أبناء الطاهرة» نسبة إلى خديجة بنت خويلد عليها السلام[4]، في حين ذكر أبو هلال العسكري أنهم لقبوا بذلك نسبة إلى هند بنت عتيق[5]، ووردت روايات أخرى تقول أن السيدة خديجة عليها السلام أنجبت لعتيق ابن يسمى عبد الله[6]

= الروض الأنف، ١/٢١٦ . ابن الجوزي، الوفا، ١/١٤٥ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١/٥٠ . النويري، نهاية الأرب ١٨/١٧ . العامري، بهجة المحافل، ٢/١٣٩ . الديار بكري، تاريخ الخميس، ١/٢٦٣ . المكي، عبد الملك بن حبيب العصامي (ت١١١١هـ) سمط النجوم العوالي، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٨٠هـ، ١/٣٦٥.

(١) ابن سعد، الطبقات، ٨/١٥ . ابن حبيب المحبر، ص ٧٨ . ابن بكار، منتخب، ص ٤٧ . ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ١٤٢ ـ ١٤٣ . ابن عساكر، تاريخ، ٣/١٩١.

(٢) جمهرة أنساب العرب، ص١٤٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٣.

(٤) ابن سعد، الطبقات ٨/١٥ . ابن حبيب المحبر، ص ٧٩ . البلاذري، أنساب الأشراف، ١/٤٠٦ ـ ٤٠٧.

(٥) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت٣٩٥هـ)، الأوائل، تحقيق محمد السيد الوكيل، نشر أسعد طرابزوني، المدينة المنورة ١٩٦٦، ص٩٠.

(٦) ابن حزم، جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى، تحقيق إحسان عباس وأخر، دار المعارف، مصر، د.ت، ص٣١ . النويري، نهاية الأرب، ١٨/١٧١ . الديار بكري، تاريخ الخميس، ١/٢٦٣.

وآخر اسمه عبد مناف[1].

ذكرت عامة الروايات أن عتيقاً توفي عن السيدة خديجة عليها السلام[2]، بينما ذكر البلاذري أن عتيق طلقها[3].

لقد افترضنا فيما سبق أن عتيق بن عابد تزوج من السيدة خديجة عليها السلام بعد سنوات قليلة من عام الفيل، وتبعاً لذلك تكون ولادة هند بنت عتيق وزواجها من ابن عمها صيفي بن أمية وولادتها لابنها محمد بن صيفي قبل البعثة النبوية بسنوات عديدة. وحتى لو ذهبنا مع الرواة الذين ذكروا أن السيدة خديجة تزوجت من التميمي أولاً، فإن ولادة هند تكون قبل زواج رسول الله صلى الله عليه وآله من السيدة خديجة عليها السلام، أي يكون عمر هند عند البعثة كبيراً وزواجها وإنجابها أيضاً، وخصوصاً أن هذه الزيجات التي ذكرتها الروايات للسيدة خديجة عليها السلام كانت قبل عدة سنوات من زواجها بالرسول صلى الله عليه وآله، لأنه عمل معها بالتجارة عندما بلغ عمره إحدى وعشرين سنة[4]. وعليه تكون كلا الزيجتين قبل عام عشرين من عمر النبي صلى الله عليه وآله، فيكون أعمار أبنائها من هؤلاء الأزواج أكثر من عشرين سنة عند البعثة، فأي افتراض نفترضه بعد ذلك من أعمار أبنائها يكون صحيحاً.

---

(١) السهيلي، الروض الأنف، ١/ ٢١٦ . الديار بكري، تاريخ الخميس، ١/ ٢٦٣ . المكي، سمط النجوم، ١/ ٣٦٥.

(٢) ابن بكار، منتخب، ص ٤٧ . الطبري، تاريخ ٣/ ١٦١ . ابن عساكر، تاريخ ٣/ ١٩٠ . ابن الأثير، الكامل، ٢/ ٣٠٧ . النويري، نهاية الأرب، ١٨/ ١٧١ . العامري، بهجة المحافل، ٢/ ١٣٩.

(٣) أنساب الأشراف، ١/ ٤٠٧.

(٤) سنناقش هذه المسألة بالفصل الثالث، انظر ص٧٣.

إذا أخذنا الافتراض الأول أي أن السيدة خديجة عليها السلام تزوجت من عتيق أولاً يكون عمر ابنتها هند أكثر من خمس وعشرين سنة عند البعثة، وعليه تكون ولادة محمد بن صيفي «ابن هند» قبل البعثة بعدة سنوات إن لم يكن شاباً عند البعثة، لذلك سوف نحدد تساؤلاتنا بالنقاط التالية:

١ ـ لقد أحصى بعض المؤرخين جماعة تسموا بمحمد قبل البعثة رجاء أن تدركهم النبوة بعد أن عرفوا أن هناك نبياً يبعث اسمه محمد لكنهم لم يذكروا اسم محمد بن صيفي بينهم[١].

٢ ـ إذا كان محمد بن صيفي ولد بعد البعثة ـ وهذا احتمال بعيد جداً تبعاً لعمر أمه لهند ـ فليس من المعقول أن يُسمي صيفي بن أمية ابنه محمد وهو مشرك أسر في معركة بدر[٢]، ولم يذكر أحد المصادر التي اهتمت بأسماء الصحابة أنه أسلم، وهذا يقودنا إلى الإفتراض على أنه بقي على شركه ثم توفي قبل فتح مكة.

٣ ـ إذن كيف يقال لأبناء صيفي بن أمية «بنو الطاهرة» وهو مشرك؟ فإذا كان المقصود أبناء محمد بن صيفي فهذا يعني أنه أسلم، لكن متى أسلم؟ إذا كان أسلم في مكة وأبوه على الشرك، فهذا يعني أنه من الصحابة! وإن كان أسلم بعد موت أبيه أي بعد معركة بدر، فهذا يعني أنه من الصحابة أيضاً لكننا لم نجد في كتب السيرة أو الكتب

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ١/ ١٦٩ . البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٥٣٨، حتى أنهم أحصوا الذين تسموا بمحمد بعد البعثة.

(٢) الواقدي، المغازي ١/ ١٤١ . ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ١٤٣ . ابن كثير، البداية والنهاية، ٣/ ٣١٢.

التي اهتمت بأسماء الصحابة أي ذكر له، وقال ابن الأثير فيه «لا رواية له وفي صحبته نظر»[1].

٤ ـ إذا قلنا أنه توفي وهو صغير فهذا الاحتمال ليس صحيح، لأن الرواية تذكر أن له عقب في المدينة.

وإذا أخذنا الاحتمال الثاني في أن السيدة خديجة عليها السلام تزوجت بالتميمي أولاً فإن نفس التساؤلات التي طرحناها في الاحتمال الأول تبقى قائمة وذلك، لأن عمر هند يؤهلها للزواج قبل البعثة بسنوات وحتى أن تزوجت في البعثة فنفس التساؤلات تتكرر عندنا.

وهناك أيضاً تساؤلات تخص هند نفسها فعندما توفي أبوها هل بقيت مع السيدة خديجة عليها السلام أم أخذها أهلها؟ وما هي علاقتها بأمها؟

إن الذي يبدو أن هند ليست لها أي علاقة بأمها لعدم ورود أي رواية تدل على ذلك، كذلك لا توجد أي رواية تدل على علاقة لها بالرسول صلى الله عليه وآله ثم إننا لم نحصل على رواية تدل على إسلامها ولم تذكرها كتب السيرة من الصحابيات.

أما الأبناء الآخرين الذين ذكرتهم المصادر عبد مناف وعبد الله يبدو أن هناك خلط فيها خصوصاً أن نفس الأسماء نسبوها للرسول صلى الله عليه وآله[2].

---

(١) أسد الغابة، ٥/ ١٩٦.

(٢) ينظر الفصل الخامس الخاص بأبناء الرسول(ص) منها.

أبو هالة التميمي زوج السيدة خديجة «عليها السلام»

ينتسب أبو هالة التميمي إلى قبيلة تميم العربية، وذكر هشام بن محمد الكلبي نسبه بالشكل الآتي «أبو هالة هند بن النباش بن زرارة بن وقدان بن حبيب بن سلامة بن غوي بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم»[١]. جاء إلى مكة في ظروف غير معروفة وحالف بها بني عبد الدار[٢]، لكن ابن قتيبة ذكر أنه حالف بني نوفل بن عبد مناف[٣]، وهذا قول مفرد لا تؤيده الروايات.

ذكرت الروايات أنه كان ذا شرف في قومه، وحتى بعد أن نزل في مكة[٤]، ووردت رواية عن الزبير بن بكار أنه كان يقال في الجاهلية «والله لأنت أعز من آل النباش وأشار بيده إلى دور حول المسجد فقال كانت هذه رباعهم»[٥]، وقد توفي بمكة قبل الإسلام[٦].

---

(١) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص ٢٦٩ . البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار وأخر، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٦، ٧/١٣، ٦٥، ٨٦ . أبو الفرج الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، تحقيق أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت، ص٤٨.

(٢) ابن هشام، السيرة ٤/ ٢١٤ . مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ٢٢ . الطبري، تاريخ ٣/ ١٦١ . ابن ماكولا، الإكمال، ١/ ٥٢٣ . ابن عساكر، تاريخ، ٣/ ١٩٠ . ابن الأثير، أسد الغابة، ٥/ ٤١٧.

(٣) المعارف، ص١٣٣.

(٤) ابن عساكر، تاريخ، ٣/ ٩٣.

(٥) ابن ماكولا، الإكمال، ١/ ٥٢٣ . الفاسي، شفاء الغرام، ٢/ ٢٩.

(٦) ابن قتيبة، المعارف ص١٣٣ . البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ١٣/ ٦٦ . الطبري، تاريخ ٣/ ١٦١ . ابن دريد، الاشتقاق، ١/ ٢٠٨ . العامري، بهجة المحافل، ٢/ ١٣٩.

لم نحصل على شيء يخص أبا هالة سوى هذه المعلومات، فلم تبين لنا الروايات أين كان منزله قبل مجيئه إلى مكة، وما هي الظروف التي أجبرته على ذلك، ومتى تزوج بالسيدة ومن زوجه منها، ولماذا تزوج في بني أسد بن عبد العزى ولم يتزوج في حلفائه بني عبد الدار وكم بقي مع السيدة؟

إذا أتينا لأبنائه الذين ذكرتهم الروايات فالذكور منهم الحارث والزبير والطاهر وهالة وهند أما الإناث فهن هالة وزينب وسوف نذكر الروايات الخاصة بكل واحد منهم ونناقشها.

١ ـ الحارث بن أبي هالة

ذكرت الروايات «إنه أول من استشهد في سبيل الله تحت ركن الكعبة اليماني، وذلك عندما أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يصدع بأمره بعد ثلاث سنوات من البعثة قام في المسجد الحرام فقال: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، فقاموا إليه فأتى الصريخ أهله فأدركه الحارث بن أبي هالة فضرب فيهم فعطفوا عليه فكان أول شهيد في الإسلام»[١].

وفي رواية: «أن الحارث بن أبي هالة هند بن النباش كان في حجر خديجة بنت خويلد فأسلم، وكان يظهر إسلامه وينادي به فجلس يوماً مع جماعة من قريش وغيرها وذكروا النبي صلى الله عليه وسلم بما كره فغضب ووقع بينه وبين رجل من سفهائهم شر فوثب به فلم يزل يطأ بطنه حتى حمل وقيذا فمات»[٢].

---

(١) العسكري، الأوائل، ص١٧٤ . ابن حجر، الإصابة، ١/ ٢٩٣.

(٢) البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ١٣/ ٦٦.

وهاتان الروايتان كما يبدو لا تدلان على كونه ابن السيدة خديجة عليها السلام، رغم وجود مصادر تذكر ذلك «فولدت له ابنين ذكرين هما هند والحارث»[1]، وأول ذكر ورد لهذا الإبن وجدناه عند البلاذري ذكر أنه أخذه عن عباس بن هشام بن محمد الكلبي[2].

لكن لو دققنا النظر في الروايات المتقدمة في أنه أول شهيد في الإسلام استشهد وهو يدافع عن الرسول صلى الله عليه وآله عند إعلان الدعوة، نجدها مخالفة لروايات السيرة التي ذكرت أن سمية بنت خياط أم عمار بن ياسر (رض) كانت أول شهيدة في الإسلام[3]، ودفاعه عن الرسول صلى الله عليه وآله عندما صدع بأمره أمر غريب، حيث أنه لم يتعرض لضغوط عندما أعلن دعوته ففي بداية الأمر كانت قريش لا تتعرض لرسول الله صلى الله عليه وآله حتى ذكر آلهتهم وآباءهم الذين ماتوا على الكفر[4]، وهذا الأمر بعد سنة أو سنتين من إعلان الدعوة، ثم إن المشركين ما كانوا ليجرؤا على رسول الله صلى الله عليه وآله وعمه أبو طالب يدافع عنه ويحميه، وحتى عندما توفي أبو طالب وأردوا قتله عند الهجرة إلى المدينة جمعوا فتياناً من كل بطون قريش خوفاً من

---

(١) العسكري، الأوائل ص ١٧٤ . ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ١٤٤ . جوامع السيرة، ص٣١.

(٢) البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ١٣/ ٦٦.

(٣) ابن إسحق، السير والمغازي، ص ١٩٢ . المنقري، نصر بن مزاحم (ت٢١٢هـ) وقعة صفين، تحقيق عبد السلام هارون ط٢، المؤسسة العربية الحديثة، مصر، ١٣٨٢هـ، ص٣٢٥ . ابن هشام، السيرة، ١/ ٢٧٩ . ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٢٦٤ . البلاذري أنساب الأشراف، ١/ ١٥٨ . اليعقوبي، تاريخ، ٢/ ٢٢ . ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤/ ١٨٤٠ . ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢٠/ ٣٧.

(٤) ابن هشام، السيرة، ٢/ ٢٢٨ . ابن سعد، الطبقات، ١/ ١٩٨ . الطبري، تاريخ، ٢/ ٣٢٢.

أن ينفرد بنو هاشم بأحد بطون قريش وأرادوا أن يتوزع دمه بين القبائل ولا تستطيع بنو هاشم معاداة كل قريش[1].

والحارث بن أبي هالة لم تذكره كتب السيرة، مع أنه أول شهيد في الإسلام، ولم تذكره الكتب التي فصلت في أخبار الصحابة، حيث لم يرد له ذكر عند ابن سعد أو ابن عبد البر أو ابن الأثير وغيرهم.

ولو عدنا إلى سند هذه الروايات لنعرف من أين جاء ذكره وأخباره، نجد ذلك عند ابن حجر العسقلاني: «ذكر ابن الكلبي وابن حزم أنه أول من قتل في سبيل الله تحت الركن اليماني، وقال العسكري في الأوائل، لما أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصدع بأمره..، وفي الفتوح لسيف بن عمر عن سهل بن يوسف عن أبيه قال عثمان بن مظعون: أول وصية أوصانا بها النبي صلى الله عليه وسلم لما قتل الحارث بن أبي هالة ونحن أربعون رجلاً ليس بمكة أحد مثل ما نحن عليه فذكر الحديث ـ أي لما صدع بأمره .....»[2].

إذن المصدر الأساس الذي نقلت عنه هذه الرواية وأخبار الحارث بن أبي هالة هو كتاب الفتوح لسيف بن عمر وهو الراوي الأصلي لكل ما يتعلق به. فمن هو سيف بن عمر؟

سيف بن عمر التميمي البرجمي ويقال: السعدي الضبيعي ويقال: الأسيدي الكوفي من بني أسيد بن عمرو بن تميمي وهو صاحب كتاب الردة والفتوح[3].

---

(١) ابن هشام، السيرة، ٢/ ٩١ . ابن سعد، الطبقات، ١/ ٢٢٧.

(٢) الإصابة، ١/ ٢٩٣.

(٣) الذهبي، ميزان الاعتدال، ٢/ ٢٥٥ . ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٤/ ٢٩٥.

قال فيه:

ابن معين ضعيف الحديث.

ابن عدي بعض أحاديثه مشهورة وعاملها منكرة لم يتابع عليها.

ابن حبان يروي الموضوعات عن الإثبات.

الحاكم اتهم بالزندقة وهو في الرواية ساقط[1].

إذن سيف بن عمر التميمي ينتمي إلى نفس البطن الذي ينتمي إليه زوج السيدة خديجة عليها السلام أبو هالة. لذلك أراد وضع مكرمة لقبيلته فاختلق هذا الإبن لأبي هالة ونسبه إليه، وجعله أول شهيد في الإسلام استشهد وهو يدافع عن الرسول صلى الله عليه وآله. رواية بهذه المواصفات لا يمكن الوثوق به أو الركون إلى روايته.

والسند الذي اعتمد عليه سيف في روايته ـ الذي ذكره ابن حجر في الإصابة ـ سهل بن يوسف عن أبيه يوسف بن سهل، قال فيه ابن عبد البر: «سهل بن يوسف لا يعرف ولا أبوه»[2] وهو من الذين نقل عنهم سيف ولا يعرف عنهم شيء سوى في رواياته وقال الذهبي في ذلك: «يروي عن خلق كثير من المجهولين»[3].

---

(١) ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس الرازي، (ت٣٢٧هـ)، الجرح والتعديل، ط١ . مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند ١٩٥٢، ٢/ق١ ٢٧٨ . الذهبي، ميزان الاعتدال، ٢/ ٢٥٥ ـ ٢٥٦ . ابن حجر، تهذيب التهذيب ٤/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦، تقريب التهذيب، ص ٣٤٤.

(٢) ابن حجر، لسان الميزان ط١، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند ١٣٣٠هـ، ٣/ ١٢٢.

(٣) ميزان الاعتدال، ٢/ ٢٥٥.

٢ ـ الزبير بن أبي هالة

لم نحصل على روايات خاصة بالزبير بن أبي هالة، إلا على حديث واحد نقلته بعض المصادر، ذكره ابن الأثير بالصيغة الآتية «روى عيسى بن يونس عن وائل بن داود عن البهي عن الزبير قال: قتل النبي ﷺ رجلاً من قريش صبراً يوم بدر ثم قال: لا يقتلن بعد اليوم رجل من قريش صبراً»[١] ليس في هذا النص ما يدلل على كون الزبير ابن السيدة خديجة عليها السلام، لكن اسمه يوحي بذلك، خصوصاً وإن الروايات لا تذكر زوجات أُخر لأبي هالة غير السيدة عليها السلام، ويظهر من السند الذي ذكره ابن الأثير «المتوفي سنة ٦٣٠هـ» إنه لم يعين مصدره الذي نقل عنه، لأن عيسى بن يونس بن أبي إسحق السبيعي «ت ١٨٧هـ» فكيف أخذ عنه ابن الأثير؟ وقد وجدنا المصدر الأساس الذي أخذ منه هذا النص ذكره ابن أبي حاتم «من رواية سيف بن عمر وهو متروك الحديث فلم كتب ما روى ومن روى عنه؟»[٢] وعند ابن حجر «روى ابن منده من طريق عيسى بن يونس عن وائل بن داود عن البهي عن الزبير بن أبي هالة قال: روى سيف في الفتوح عن وائل بن داود عن البهي عن الزبير..»[٣] وفيه قال الذهبي: «روى وائل بن داود عن البهي عنه، لا يصح عنه»[٤].

إذن مصدر هذا الحديث سيف بن عمر الذي أوجد هذا الربيب ليضيف مكرمة لقبيلته.

---

(١) أسد الغابة، ١/ ٢٥٢.

(٢) الجرح والتعديل، ١/ ق٢/ ٥٧٩.

(٣) الإصابة، ١/ ٥٤٦.

(٤) تجريد أسماء الصحابة، دار المعرفة، بيروت لبنان د.ت، ١/ ١٨٩.

٣ ـ الطاهر بن أبي هالة

ذكرت المصادر الطاهر بن أبي هالة ونسبته إلى أبي هالة التميمي والسيدة خديجة عليها السلام، فذكر ابن عبد البر «الطاهر بن أبي هالة أخو هند وهالة بنو أبي هالة الأسيدي التميمي حليف بني عبد الدار أمه خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بعثه رسول الله عاملاً على بعض اليمن، ذكر سيف بن عمر قال: أخبرنا جرير بن يزيد الجحفي عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبي موسى، قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم خامس خمسة على أخلاف اليمن أنا ومعاذ بن جبل وخالد بن سعيد بن العاص، والطاهر بن أبي هالة وعكاشة بن ثور فبعثنا متساندين، وأمرنا أن نتياسر وأن نيسر ولا نعسر ونبشر ولا ننفر وإذا قدم معاذ طاوعناه ولم نخالفه»[١].

هذا النص يشير إلى أن الطاهر ابن أبي هالة والسيدة خديجة عليها السلام وأنه كان أحد عمال النبي صلى الله عليه وآله على اليمن، وقد ذكر ابن الأثير نسبه إلى أسيد بن عمرو بن تميم «طاهر بن أبي هالة أخو هند بن أبي هالة التميمي، واسم أبي هالة النباش بن زرارة بن وقدان بن حبيب بن سلامة بن غوي بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم حليف بني عبد الدار بن قصي بن كلاب، أمه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم»[٢].

وأورد الطبري ستة نصوص عن الطاهر بن أبي هالة وهي:

---

(١) الاستيعاب، ٢/ ٧٧٥ ـ ٧٧٦ . ابن حجر، الإصابة، ٢/ ٢٢٢.

(٢) أسد الغابة، ٣/ ٧٣.

أ ـ تعيينه على أحد جهات اليمن بعد موت عاملها باذام من الأبناء الباقين في اليمن «وهم الذين أرسلهم كسرى لكي يساعدوا سيف بن ذي يزين على طرد الأحباش من اليمن» «حدثني عبيد الله بن سعد الزهري قال: حدثنا عمي قال: حدثنا سيف ـ وحدثني السري بن يحيى قال: حدثنا شعيب بن إبراهيم عن سيف ـ قال: حدثنا سهل بن يوسف عن أبيه عن عبيد بن صخر بن لوذان الأنصاري السلمي وكان فيمن بعث النبي صلى الله عليه وسلم مع عمال اليمن في سنة عشر بعد ما حج التمام وقد مات باذام، فلذلك فرق عملها بين شهر بن باذام وعامر بن شهر الهمداني وعبد الله بن قيس أبو موسى الأشعري وخالد بن سعيد بن العاص والطاهر بن أبي هالة ويعلى بن أمية وعمرو بن حزم»[1].

ب ـ تعيينه على منطقتين في اليمن إسمهما عك والأشعريين «حدثني عبد الله قال: أخبرني عمي قال: أخبرني سيف ـ يعني ابن عمر ـ عن أبي عمرو مولى ابراهيم بن طلحة عن عبادة بن قرص بن عبادة عن قرص الليثي إن النبي صلى الله عليه وسلم رجع إلى المدينة، بعد ما قضى حجة التمام وقد وجه إمارة اليمن وفرقها بين الرجال وأفرد كل رجل بحيزة واستعمل عمرو بن حزم على نجران وخالد بن سعيد بن العاص على ما بين نجران ورمع وزبيد وعامر بن شهر على همدان وعلى صنعاء ابن باذام وعلى عك والأشعريين الطاهر بن أبي هالة..»[2].

---

(١) تاريخ الطبري، ٣/٢٢٨.

(٢) المصدر نفسه، ٣/٢٢٨.

ج ـ ولاية الطاهر لعك والأشعريين آخر أيام الرسول ﷺ وخروج الأسود العنسي وموقف الرسول ﷺ منه «قال أبو جعفر: كتب إلى السري بن يحيى عن شعيب عن سيف عن طلحة عن عكرمة وسهل عن القاسم بن محمد قال: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى مكة وأرضها عتاب بن أسيد والطاهر بن أبي هالة، عتاب على بني كنانة والطاهر على عك، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اجعلوا عمالة عك في بني أبيها معد بن عدنان، وعلى الطائف وأرضها عثمان بن أبي العاص، ومالك بن عوف النصري عثمان على أهل المدر، ومالك على أهل الوبر إعجاز هوازن، وعلى نجران وأرضها عمرو بن حزم، وعمرو بن حزم على الصلاة وأبو سفيان بن حرب على الصدقات، وعلى ما بين رمع وزبيد إلى حد نجران خالد بن سعيد بن العاص، وعلى همدان كلها عامر بن شهر، وعلى صنعاء فيروز الديلمي يسانده داذويه وقيس بن المكشوح، وعلى الجند يعلى بن أمية وعلى مأرب أبو موسى الأشعري، وعلى الأشعريين مع عك الطاهر بن أبي هالة ومعاذ بن جبل يعلم القوم ينتقل في عمل كل عامل، فنزا بهم الأسود في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فحاربه ﷺ بالرسل والكتب حتى قتله الله وعاد الأمر كما كان قبل وفاة النبي ﷺ بليلة، إلا أن مجيئهم لم يحرك الناس، والناس مستعدون له»[1].

د ـ خروج الأسود العنسي وهروب عمال اليمن إلى الطاهر بن أبي هالة حدثنا عبيد الله بن سعد قال: أخبرنا عمي قال: أخبرني سيف قال:

---

(١) المصدر نفسه، ٣/ ٣١٨.

وحدثنا السري قال: حدثنا شعيب قال: حدثنا سيف عن سهل بن يوسف عن أبيه عن عبيد بن صخر قال: يذكر خبر خروج الأسود العنسي في اليمن وخروج معاذ بن جبل وأبي موسى من المناطق التي كانوا عليها وهروب جميع عمال اليمن إلى الطاهر بن أبي هالة، سوى عمر وخالد فإنهما رجعا إلى المدينة، أما المنطقة التي سيطر عليها الأسود العنسي فهي «وغلب الأسود على ما بين صيهد مفازة حضرموت إلى عمل الطائف إلى البحرين قبل عدن وطابقت عليه اليمن وعك بتهامة معترضون عليه وجعل خبره يستطير استطارة الحريق وكان معه سبعمائة فارس يوم لقى شهراً سوى الركبان»[1].

هـ ـ دور الطاهر في عهد أبي بكر وقتاله للمرتدين، يذكر الطبري رواية عن ردة أهل اليمن بعد موت النبيﷺ فكتب الطاهر بن أبي هالة إلى أبي بكر وسار إلى حربهم فانتصر عليهم في منطقة تسمى الأعلاب، فأجاب أبي بكر على كتاب الطاهر قبل الفتح يحثهم على قتال المرتدين[2].

و ـ كتابة أبي بكر إلى الطاهر بن أبي هالة وإلى مسروق العكي بالمسير إلى صنعاء وإعانة الإبناء[3].

وهذهِ النصوص المتقدمة تبين دور الطاهر بن أبي هالة في أواخر حياة الرسولﷺ وحروب الردة، لكن لا تعطينا صورة واضحة عن هذه الشخصية وحضورها في الإسلام فهي لا تبين لنا متى أسلم الطاهر وما

---

(١) المصدر نفسه، ٣/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٢) المصدر نفسه، ٣/ ٢٣٠ ـ ٢٣١.

(٣) المصدر نفسه، ٣/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩.

علاقته بالرسول ﷺ؟ وهل كان من المهاجرين؟ أم أسلم بعد الفتح؟ فدوره في الأحداث ظهر بعد السنة العاشرة للهجرة.

وأول ذكر ورد له كما رأينا في تاريخ الطبري والنصوص الستة التي ذكرناها مصدرها سيف بن عمر التميمي، وهي أربعة روايات، عند الطبري وواحدة عند ابن عبد البر ومصدرها سيف بن عمر أيضاً وسوف نستعرض أسانيد هذه الروايات.

ورد عن ابن عبد البر أن سيف بن عمر نقل عن جرير بن يزيد الجعفي وهذه الشخصية لم نجد لها ذكر في كتب الرجال، ولا نعرف من أين أتى بها سيف لعله وضعها حتى يعطي روايته قبولاً، ومثل هذا الراوي أشار إليه الذهبي بقوله: «يروي عن خلق كثير من المجهولين»[1].

أما الأسانيد التي وردت عند الطبري ففي اثنتين من رواياته سهل بن يوسف عن أبيه يوسف بن سهل، وسبق القول إنهم لا يعرفون إلا في مرويات سيف بن عمر، وواحد عن سهل بن يوسف واثنين عن عبيد بن صخر بن لوذان السلمي، وبنو سليم من الأنصار من قبيلة الأوس وليس في جمهرة أنساب العرب لابن حزم[2] ذكر لهذه الشخصية بل وردت عند سيف بن عمر فقط، فليس في كتب الصحابة، صحابي بهذا الإسم، إلا عند ابن عبد البر ومن جاء بعده إستناداً إلى رواية سيف.

ولو أخذنا قائمة عمال رسول الله ﷺ التي ذكرها ابن إسحق نجدها خالية من أي ذكر للطاهر بن أبي هالة، ومخالفة لرواية سيف بن

---

(١) ميزان الاعتدال ٢/ ٢٥٥.

(٢) ينظر نسب الأوس، جمهرة أنساب العرب ص ٣٣٢ ـ ٣٤٦.

عمر: «وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث إمراءه وعماله على الصدقات إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان، فبعث المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء فخرج عليه العنسي وهو بها، وبعث زياد بن لبيد أخا بني بياضة الأنصاري إلى حضرموت وعلى صدقاتها، وبعث عدي بن حاتم على طيء وصدقاتها وعلى بني اسد وبعث مالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة، وفرق صدقة بني سعد على رجلين منهم فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية، وقيس بن عاصم على ناحية وكان قد بعث العلاء بن الحضرمي على البحرين، وبعث علي بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى أهل نجران لجمع صدقاتهم ويقدم عليه بجزيتهم»[1].

وهذا القائمة مختلفة تماماً مع قائمة العمال التي ذكرها سيف في رواياته حيث حدد أكثر من ستة عشر عاملاً للرسول مختلفين عن قائمة ابن إسحق ـ سنقدم في الصفحة الثانية جدولاً يبين عمال الرسول ﷺ من روايات ابن إسحق وهشام الكلبي والواقدي ـ والأخبار التي ذكرها سيف في مروياته عن خروج الأسود العنسي وبطولات الطاهر بن هالة هي محل شك أيضاً، حيث يذكر في رواية أنه خرج في حياة الرسول ﷺ وقتل قبل وفاته[2] ثم يعود مرة أخرى ويذكر أن أول ردة كانت في اليمن ردة الأسود العنسي في خلافة أبي بكر(رض)[3].

وقد ذكر البلاذري أمر الأسود العنسي وخروجه باليمن، لكنه لم

---

(١) ابن هشام، السيرة، ٤/ ٦٠٠.
(٢) الطبري، تاريخ، ٣/ ٣١٨.
(٣) المصدر نفسه، ٣/ ٣٢٨.

يذكر أنه أسلم أصلاً حتى يرتد عن الإسلام، وإنما بعث إليه الرسول ﷺ جرير بن عبد الله البجلي يدعوه إلى الإسلام، فلما توفي الرسول ﷺ أتى الأسود صنعاء فغلب عليها وأخرج خالد بن سعيد بن العاص عنها ويقال: أنه إنما أخرج المهاجر بن أبي أمية، وانحاز إلى ناحية زياد بن لبيد البياضي، وكان عنده حتى أتاه كتاب أبي بكر يأمره بمعاونة زياد»، ثم ذكر مقتل الأسود على يد مجموعة من الأبناء[1]، وقال في رواية أخرى «ذكر بعض الرواة أن الذي قتل الأسود العنسي فيروز الديلمي، وإن قيساً أجهز عليه واحتز رأسه، وذكر بعض أهل العلم أن قتل الأسود كان قبل وفاة النبي ﷺ بخمسة أيام»[2].

وهذه النصوص التي أوردها البلاذري لم يرد فيها ذكر للطاهر بن أبي هالة، أو الأحداث التي ذكرها سيف في رواياته.

ولو أمعنا النظر في المنطقة التي سيطر عليها الأسود «ما بين صيهد مفازة حضرموت إلى عمل الطائف إلى البحرين قبل عدن وطابقت عليه اليمن ودانت له سواحل من السواحل ثم صنعاء ونجران»[3]، وهذه المنطقة كما يبدو منطقة كبيرة جداً تشكل ثلث الجزيرة العربية تقريباً وهي تدور على الحجاز كالطوق، وهو مركز الدولة العربية الإسلامية فيكون هذا الخطر أكبر من كل خطر، لكن سيفا يذكر أن النبي ﷺ يحاربه بالرسل والكتب فكيف نتصور أن الدولة العربية الإسلامية مهددة بهذا الخطر الكبير الذي يكاد ينهي كيانها ورسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، دار الهلال، بيروت لبنان، ١٩٨٣، ١٠٩ ـ ١١٠.

(٢) البلاذري، فتوح، ١٠٩ ـ ١١٠.

(٣) المصدر نفسه، ٣/ ٢٣٠.

يحاربه بالكتب الجيوش؟ مع ما عرف عن الرسول ﷺ من عبقرية عسكرية، ثم يقوم بعد ذلك بإرسال أسامة بن زيد(رض) إلى حرب الروم في شمال الجزيرة العربية مع أن خطرهم بعيد عن الدولة، أليس الأولى أن يحارب الخطر الكبير المحيط بمركز الدولة؟

وخلاصة القول أن هذه الروايات لا أساس لها من الصحة وهذا الابن لا وجود له إلا في مرويات سيف.

٤ ـ هالة بن أبي هالة

ذكر بعض الرواة أن السيدة خديجة عليها السلام أنجبت لأبي هالة ولداً إسمه هالة[١]، في حين ذكرت مصادر أخرى أنها أنجبت له بنتاً إسمها هالة[٢] وهذا الابن لم يرد إسمه، إلا عند هشام بن محمد الكلبي والزبير بن بكار[٣]، أما عامة الرواة كـ«قتادة بن دعامة والزهري وابن إسحق والواقدي وأبي عبيدة ومصعب الزبيري» لم يذكروا لها سوى هند[٤]، بينما أوردت مصادر أخرى عن هشام الكلبي والزبير روايات تقول إنها لم

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ١٥ . ابن حبيب، المنمق، ص٢٩٩ . ابن بكار المنتخب ص٤٩ . العسكري، الأوائل، ص٩٩ . ابن عساكر، تاريخ، ٣/ ١٩٣ . ابن الجوزي، الوفا، ١/ ١٤٥ . الذهبي، تجريد أسماء الصحابة، ٢/ ١٢٣ . القسطلاني أحمد بن محمد، (ت٩٢٣هـ)، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، المطبعة الشرقية، طنطا، ١٩٠٧، ١/ ٢٠٢ . الحلبي، السيرة، ١/ ١٥٦.

(٢) الديار بكري، تاريخ الخميس، ١/ ٢٦٣ . المكي، سمط النجوم، ١/ ٣٦٥.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ١٥ . ابن بكار، المنتخب، ص٤٧.

(٤) أبو عبيدة، أزواج النبي، ص٢٠ . ابن هشام، السيرة، ٤/ ٢١٤ . مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٢ . الطبري، تاريخ، ٣/ ١٦١ . ابن عبد البر، الاستيعاب، ١/ ١٨١٧ . ابن عساكر، تاريخ، ٣/ ١٩٠.

تلد له سوى هند[1].

ولم ترد أي رواية عن هذا الابن سوى رواية واحدة فقط ذكرها ابن الأثير «أخبرنا أبو موسى إجازة، أخبرنا أبو عدنان محمد بن أحمد بن أبي نزار وغيره قال: أخبرنا محمد بن عبد الله الضبي، أخبرنا سليمان بن أحمد الطبراني حدثنا علي بن محمد بن عمرو بن تميم بن زيد بن هالة بن أبي هالة التميمي بن مضر حدثني أبي محمد عن أبي تميم عن أبيه زيد عن أبيه هالة بن أبي هالة التميمي إنه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو راقد فاستيقظ فضم هالة إلى صدره وقال: هالة! هالة! هالة!»[2].

وهذا الحديث لم يرد إلا عند الطبراني وقال عنه الذهبي: «هالة بن أبي هالة التميمي الأسيدي أخو هند له حديث في معجم الطبراني عن مجاهيل من أولاده»[3]، والحديث لا يثبت وجود هالة وانتسابه لأبي هالة والسيدة خديجة عليها السلام، ولعل هالة التي ذكروها هي هالة بنت خويلد أخت السيدة خديجة عليها السلام، ويؤيد هذا الرأي ما أورده ابن الأثير «قال أبو موسى: هالة بن أبي هالة ترجم له الحافظ أبو عبد الله وأورد في ترجمة حديثه قال: وهو ابن خديجة قال: والصحيح عندي هالة أخت خديجة بنت خويلد وهي هالة بنت خويلد أم أبي العاص بن الربيع»[4].

---

(١) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص٦٩ . ابن عبد البر، الاستيعاب، ١/ ١٧ ـ ١٨ . السهيلي، الروض الأنف، ١/ ٢١٦.

(٢) أسد الغابة، ٥/ ٣٧٩.

(٣) تجريد أسماء الصحابة، ٢/ ١٢٣.

(٤) أسد الغابة، ٥/ ٣٧٩.

٥ ـ هند بن أبي هالة

ورد ذكر هند أكثر من بقية الأبناء الذين قدمناهم حيث وجدنا أخباره في المصادر المختلفة، ففي رواية أنه تربى في حجر الرسول ﷺ[١]، وذكر أحد المصادر المتأخرة رواية عن أبي عبيدة في الهجرة للمدينة ذكر فيها أن عمار بن ياسر وأبا رافع مولى الرسول ﷺ وهند بن أبي هالة جلسوا يتحدثون عن هجرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فتذاكروا حماية أبي طالب للرسول ﷺ وأمره لعلي عليه السلام بالمبيت على فراشه، ثم بعد ذلك قالوا: «استتبع رسول الله ﷺ أبا بكر بن أبي قحافة وهند بن أبي هالة وأمرهما أن ينتظراه بمكان عينه لهما في طريقه إلى الغار، ولبث رسول الله يوصي علياً» ثم خرج رسول الله ﷺ ولحق بصاحبيه فساروا معاً حتى وصلوا إلى الغار فرجع هند إلى مكة لما أمره النبي ﷺ ودخل الرسول وأبو بكر إلى الغار[٢].

وذكر ابن الكلبي أنه شارك في معركة بدر[٣]، ومعركة أحد ونزل في قبر حمزة بن عبد المطلب[٤]، وأورد ابن حبيب رواية تشير إلى أن

---

(١) ابن قتيبة، المعارف، ص١٣٣ . البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ٦٦/١٣ . ابن أبي الحديد، شرح النهج، ١٣١/١٥.

(٢) الشيرازي، صدر الدين علي خادم الحسيني، (ت١١٢٠هـ). الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، تقديم السيد محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦٢، ص٤٠٩ ـ ٤١٠. المامقاني، عبد الله، تنقيح المقال، المطبعة المرتضوية، النجف الأشرف، ١٣٥٢هـ ، ٣/ ٣٥٠.

(٣) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص٢٦٩ . البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ٦٦/١٣ . ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢١٠.

(٤) البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ٦٦/١٣ . ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢١٠.

الرسول ﷺ بعثه لتحطيم أحد الأصنام الذي كانت تعبده قبائل ضبه وتميم وعدي وعكل وثور، واسمه شمس وكانت سدنته بني أوس بن مخاشن من قبيلة تميم فكسره هند بن أبي هالة وصفوان بن الحلاحل بن أوس بن مخاشن[١].

أما وفاته فقد اختلف فيها فلم يذكر ابن الكلبي شيئاً عنها، وقال إن ابنه هند بن هند بن أبي هالة قتل مع مصعب بن الزبير في حربه مع المختار سنة سبع وستين[٢]، وذكر أبو عبيدة والزبير بن بكار أنه مات في البصرة بالطاعون الجارف[٣]، «وذلك أنه مر بالبصرة مجتازاً فمات بها ولم يقم سوق البصرة يومئذ وقالوا: مات أخو فاطمة بنت رسول الله»[٤]، وفي ذلك اليوم مات ناس كثير فشغل الناس بجنائزهم عن جنازة هند ولم يحملها أحد فصاحت نادبته «وا هند بن هنداه وا ربيب رسول الله فلم تبقى جنازة إلا تركت واحتملت جنازته على أطراف الأصابع إعظاماً لربيب بن رسول الله»[٥] بينما وردت عن الزبير بن بكار رواية تخالف ما تقدم مفادها أن ابنه هو الذي مات في الطاعون وليس هو[٦]، في حين ذكرت مصادر أخرى عنه أنه قال إن هند قتل في

---

(١) المحبر، ص ٣١٦.

(٢) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص ٢٦٩ . البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ١٣/ ٦٦ . ابن ماكولا الإكمال، ١/ ٥٢٣.

(٣) أبو عبيدة، أزواج النبي، ص٢٠ . ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤/ ١٥٤٥ . الديار بكري تاريخ الخميس، ١/ ٢٦٣ . المكي، سمط النجوم، ١/ ٣٦٥.

(٤) أبو عبيدة، أزواج النبي، ص٢٠ . ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤/ ١٥٤٥.

(٥) السهيلي، الروض الأنف، ١/ ٢١٦ . الحلبي، السيرة الحلبية، ١/ ١٥٦.

(٦) ابن قتيبة، المعارف، ص١٣٣ . ابن دريد، الاشتقاق، ١/ ٢٠٨ . ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤/ ١٥٤٥ . ابن لأثير، أسد الغابة، ٥/ ٤١٩.

الجمل وكان مع الإمام علي عليه السلام وإن ابنه قتل مع مصعب بن الزبير في حربه مع المختار[1].

وذكر ابن الكلبي والزبير بن بكار أنه بعد وفاة هند بن أبي هالة انقرض عقبهم ولم يبق منهم أحد[2]، ونقلت بعض المصادر عنه قوله: «أنا أكرم الناس بأربعة أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمي خديجة وأختي فاطمة وأخي القاسم»[3].

وروي عنه حديثاً طويلاً في وصف رسول الله صلى الله عليه وآله[4].

أما أحاديثه التي نقلها عن رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يرد عنه إلا حديثين، أولهما عن سيف بن عمر «قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤/ ١٥٤٥ . ابن الأثير، أسد الغابة، ٥/ ٤١٩.

(٢) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص٦٩ .البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ١٣/ ٦٦ . ابن الأثير، أسد الغابة، ٥/ ٤١٧.

(٣) البلاذري، جمل من أنساب الأشراف، ١٣/ ٦٦ . الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، (٤٢٩هـ)، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، ١٩٦٥ . ابن أبي الحديد، شرح النهج، ٥/ ١٣١ ـ ١٣٢ . الحلبي، السيرة الحلبية، ١/ ١٥٦.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٣٨٦ . أبو الفرج الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص ٤٨ . أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد (ت٣٦٤هـ). البصائر والذخائر، تعليق إبراهيم الكيلاني، مكتبة أطلس، دمشق، ١٩٦٦، ٣/ ٦٠٥ ـ ٦٠٩ . أبو الشيخ، عبد الله بن محمد بن جعفر الأصبهاني، (ت٣٦٩هـ)، أخلاق النبي وآدابه، تحقيق أحمد محمد مرسي، ط٢، مصر، ١٩٧٢ . ص٢٢، ٢٣، ٨٩، ٩١، ٩٥، ١٩٠ . البيهقي، دلائل النبوة، ١/ ٢٨٥ ، وما بعدها. ابن الأثير، أسد الغابة، ٥/ ٤١٧ . الزرندي، محمد بن يوسف الحنفي، (ت٧٥٠هـ) نظم درر السمطين، مطبعة القضاء، النجف الأشرف، ١٩٥٨، ص٦٢ ـ ٦٨.

وسلم: إن الله أبي لي أن أتزوج أو أزوج إلا أهل الجنة»[1]، والحديث الثاني عن مالك بن دينار «قال: حدثني هند بن خديجة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قال: مر النبي بالحكم أبي مروان فجعل يغمزه فالتفت إلية النبي فقال: اللهم اجعل به وزغاً فرجع مكانه، والوزغ الارتعاش»[2].

وهذه الروايات التي قدمناها هي مجمل ما حصلنا عليه من أخبار هند بن أبي هالة التي ذكرتها المصادر المختلفة وسنحاول مناقشة هذه الروايات.

وردت روايات هند ـ كما رأينا ـ عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي، وأبي عبيدة معمر بن المثنى والزبير بن بكار واختص كل واحد منهم بخبر معين دون الآخرين واشتركوا في بعضها مما قد يوحي إلى أنهم أخذوا من بعضهم البعض، أو نقلوا من نفس المصادر، لكننا لم نستطع أن نتوصل إلى معرفة المصدر الأصلي لهذه الروايات، لأن معظمها جاءت بدون سند.

أما بقية الرواة فقد ذكروا إسمه فقد دون أي تفصيل في أخباره مثل قتادة بن دعامة والزهري وموسى بن عقبة وابن إسحق والواقدي ومصعب بن عبد الله الزبيري[3].

---

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢١٠ . المتقي الهندي، علاء الدين علي، (ت٩٧٥هـ) كنز العمال، ط١ حيدر أباد الدكن، الهند، ١٩٦٧، ١٢/٤٨.

(٢) ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٥٤٦/٤ . ابن الأثير، أسد الغابة، ٤١٩/٥.

(٣) ابن هشام، السيرة، ٢١٤/٤ . مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ٢٢ . الطبري، تاريخ، ١٦١/٣ . المقدسي، البدء والتاريخ، ١٣٨/٤ . ابن عبد البر، الاستيعاب، ١٨١٧/٤ . الأربلي، كشف الغمة، ١٣١/٢.

والرواية التي أوردها ابن حبيب عن كسره لصنم تميم لم يبين لنا من أين أخذها كما أننا لن نجدها في مصدر آخر، أما قوله: «أنا أكرم الناس...»، فلم تبين لنا المصادر من أين أخذت هذا القول. وحديث الوصف الذي ذكرته المصادر بأكمله ذكرت له سنداً ينتهي عند الإمام الحسن بن علي عليه السلام «عن جميع بن عمر العجلي حدثني رجل بمكة من بني تميم من ولد أبي هالة زوج خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها عن الحسن بن علي قال: سألت خالي هند بن أبي هالة وكان وصافاً عن حلية النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أشتهي أن يصف لي منها شيئاً أتعلق به»[1]، وبهذه الصيغة أوردت المصادر المختلفة هذا الحديث فإذا كان أبناء أبي هالة قد انقرض عقبهم بعد وفاة هند بن هند بن أبي هالة، فمن هذا الذي نقل عنه الحديث؟

والأحاديث التي رويت عنه لم نجدها في كتب الحديث، الأول أورده سيف بن عمر وقد بينا الصورة التامة لسيف ومروياته. وقال البخاري عن الأحاديث التي رويت عن هند «روى عنه قوم مجهولون لذلك لم يؤخذ بأحاديثه وأدخله في كتاب الضعفاء»[2].

في بداية الأمر نحاول أن نحدد عمره عند زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بأمه وهل بقي معها أم لا، وما هو موقفه من البعثة النبوية هل أسلم أم بقي على الشرك، وهل هاجر إلى المدينة؟ وتساؤلات كثيرة تثار حوله.

تذكر الروايات أنه تربى في حجر الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا يعني أنه كان صغيراً عند زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمه، فإذا كان التميمي تزوجها

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٣٨٦ . أبو الشيخ أخلاق النبي، ص ١٩٠.

(٢) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ٤/ق٢/ ١١٦.

أو لا فإن عمر هند يكون كبيراً، أما إذا كان قد تزوجها بعد المخزومي، فالفترة التي يمكن أن نفترضها لزواج أبيه من السيدة خديجة بين خمس إلى عشر سنوات قبل زواج الرسول ﷺ منها، أي أن عمره إلى البعثة تجاوز العشرين سنة، لكن لم نجد له وجود في أسماء المسلمين الأوائل كذلك لم نجد في أي قائمة من قوائم الذين أسلموا في السنوات الثلاث الأولى، أو أسماء المهاجرين إلى الحبشة، أو من دخل إلى الشعب أو من هاجر إلى المدينة وغير ذلك.

ولو كانت الروايات قد ذكرت لنا أنه التحق لأهله لكان الأمر أكثر قبولاً حيث أنه بقي بعيداً عن الرسول ﷺ، لكنها ذكرت أنه تربى في حجره، وكل المدة التي مكثها رسول الله ﷺ في مكة لم ترد رواية واحدة عنه، فضلاً عن أن الرواية التي تذكر حديثه في الهجرة والتي نقلها أحد المصادر المتأخرة عن أبي عبيدة لم يرد لها ذكر في المصادر المتقدمة.

وحتى المصادر التي ذكرت هند بن أبي هالة ليس على أساس دوره في الأحداث بل على ضوء ما ورد في الروايات التي قدمناها، فمثلاً ابن خياط ذكره في طبقاته استناداً إلى حديث الوصف أو الحديث الذي ذكرناه عن مالك بن دينار، وعده من أصحاب الحديث الواحد كذلك ابن حزم[1].

أما اشتراكه في معركتي بدر واحد فلم نجد في أي مصدر متقدم اهتم بهاتين المعركتين ذكراً له، حيث عددت المصادر أسماء المسلمين

---

(١) ابن خياط، خليفة بن خياط (ت٢٤٠هـ)، كتاب الطبقات، تحقيق سهيل زكار، مطابع وزارة الثقافة والسياحة، دمشق ١٩٦٦، ١/ ٩٧ . ابن حزم، جوامع السيرة، ص٣٠٠.

الذين اشتركوا فيهما وأسماء الشهداء وقبائل المسلمين وغير ذلك، ولم تشير إليه ولو إشارة بسيطة[1]، ولم يذكره من المصادر المتقدمة سوى مؤرخ السدوسي حيث قال، «يقول بعض أهل العلم أنه شهد بدراً مع النبي صلى الله عليه وسلم وليس بالمجتمع عليه»[2].

أما وفاته في معركة الجمل، فهي رواية لم ترد إلا عن الزبير بن بكار لم يذكر مصدره الذي نقلها منه ولم يذكرها راوٍ غيره، وعندما تتبعنا كتب التاريخ العام التي اعتمدت على الحوليات لم نجد له ذكراً، كذلك الكتب التي اهتمت بهذه المعركة خاصة[3].

---

(١) ابن الزبير، مغازي رسول الله، ص١٤٧ ـ ١٥٩ . ابن هشام، السيرة، ٢/ ٢٣٢ ـ ٢٥١ ، من اشترك في معركة بدر من المسلمين، وينظر، ٣/ ١٤ ـ ٤٤ . من شهد معركة أحد من المسلمين. الواقدي، مغازي، ١/ ١٥٢ ـ ١٧٢ ، الذين اشتركوا في معركة بدر من قريش ومواليهم وحلفائهم والأنصار، ص١٩٩ ـ ٣٠٠ . الذين اشتركوا في معركة أحد. ابن كثير، البداية والنهاية، ٣/ ٣٢٥ وما بعدها.

(٢) حذف من نسب قريش، ص٥١.

(٣) ذكرت المصادر التي سندرجها أدناه أسماء من توفي سنتي، ٣٦، ٣٧هـ من الصحابة، ومن توفي منهم في خلافة الإمام علي عليه السلام، ينظر ابن خياط، تاريخ خليفة، تحقيق سهيل زكار، مطابع وزارة الثقافة والإرشاد، مصر ١٩٦٧، ١/ ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٦، ٢٢٠ . ابن حبيب، المحبر، ص٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣ . الغلابي، محمد بن زكريا بن دينار، (ت٢٩٨هـ). وقعة الجمل، تحقيق محمد حسن آل ياسين، ط١، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٠ . حيث لم يرد ذكر لهند في هذا الكتاب. الطبري، تاريخ، ٤/ ٥٤٦ ، من توفي من الصحابة، سنة ٣٦هـ، ٤/ ٥٧٦ ، من توفي من الصحابة سنة ٣٧هـ . المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، (ت٤١٣هـ)، الجمل، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، د.ت. ص٣٥ ـ ٣٦ . من شهد الجمل من المهاجرين والأنصار، سبط ابن الجوزي. أبي المظفر، يوسف، (ت٦٥٤هـ). تذكرة الخواص، المطبعة العلمية، النجف، د.ت. ص٨٤ . من قتل في الجمل مع الإمام علي(ع)، الذهبي، دول الإسلام، ط٢، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر أباد دكن=

ولم يذكره إلا ابن الأثير في كتابه الكامل[1]، مع أن الطبري لم يذكره والروايات الواردة عند ابن الأثير نقلها عن الطبري بإضافات قليلة، لكنه ذكر هذا الخبر إستناداً إلى ما ذكره في كتابه أسد الغابة، ويبدو ذلك واضحاً من خلال قوله «وفيها قتل هند بن أبي هالة الأسيدي وأمه خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه وسلم مع علي وقيل مات بالبصرة والأول أصح»[2].

والرواية الثانية التي وردت عن الزبير بن بكار في أنه توفي بالبصرة في الطاعون الجارف أيضاً لم نجد له ذكراً لا هو ولا ابنه عندما تتبعنا خبر الطاعون الذي وقع في البصرة سنة سبع وستين للهجرة[3]، وكذلك الطاعون الذي وقع سنة ست وثمانين للهجرة، لم نجد له ذكر من بين

= ١٣٦٤هـ ، ١/ ١٦ ـ ١٧ . الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق محمد بن سعيد، دار الكتب العلمية بيروت، ٥/ ١٩ ، من شهد صفين من البدريين مع الإمام علي(ع). الديار بكري، تاريخ الخميس، ٢/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩ ، من توفي في خلافة الإمام علي(ع) من الصحابة. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ١/ ٤٣ ـ ٤٤ ، من توفي سنة ٣٦هـ من الصحابة. عمروش، أحمد راتب، الفتنة ووقعة الجمل، من روايات سيف بن عمر ط١، دار النفائس، بيروت ١٩٧٢ . لم يرد له ذكر في هذا الكتاب.

(١) ينظر، ٣/ ٢٦٣.

(٢) المصدر نفسه، ٣/ ٢٦٣.

(٣) تتبعنا العديد من المصادر التي ذكرت الطاعون فلم نجد له ولابنه ذكر، ينظر ابن خياط، تاريخ، ١/ ٣٣٦ ـ ٣٤٠ . الطبري، تاريخ، ٦/ ١٨٠. الذهبي، دول الإسلام، ١/ ٣٤ . العبر، ٥٥ ـ ٥٦ . من توفي من الصحابة في هذه السنة. السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت١١١هـ). تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ط١، مصر، ١٩٥٢، ص٢١٤ . من توفي من الصحابة في هذه السنة. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ١/ ٧٥ . من توفي في هذه السنة من الصحابة.

الصحابة المتوفين فيهما[1].

قد يتبادر إلى الذهن أن الرواة الأوائل اهتموا بأخبار الرسول ﷺ وغزواته دون أن يهتموا بالكثير من التفاصيل، أو أن الكثير من الكتب فقدت ولم تصل إلينا، لكن هذه الأمور لا تنطبق على ربيب الرسول ﷺ وابن أول أزواجه والتي عاش معها خمساً وعشرين سنة، وهي المرأة الأكثر أهمية في حياة الرسول ﷺ وعاشت معه في أحلك الظروف وأقساها، وهو ربيب رسول الله ﷺ وأخو فاطمة عليها السلام لأمها فهو في مكان يجعله قريب من رسول الله ﷺ، وإذا أخذنا غيره ممن تربوا عند الرسول ﷺ لوجدنا أن الأمر مختلف تماماً، فمثلاً زيد بن حارثة (رض) لم يكن ابن إحدى أزواجه، بل اشترته السيدة وأعطته له فأعتقه وتبناه، ولو تفحصنا أي كتاب من كتب السيرة لوجدنا ما ادخره له من أخبار.

ولو أخذنا أبناء أم سلمة(رض) مثلاً، وبحثنا عن أخبار أولادها من زوجها أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي زينب وسلمة وعمر ودرة بعد أن تزوج الرسول ﷺ منها، نجد أن أخبار هؤلاء الأبناء منتشرة في كتب السيرة والتاريخ العام وغيرها، فعمر بن أبي سلمة فصلت المصادر

---

(١) ابن خياط، تاريخ ١/ ٣٨٢، من توفي سنة ٨٦هـ من الصحابة. ابن الكازروني، ظهير الدين، علي بن محمد البغدادي (ت٦٩٧هـ) مختصر التاريخ، تحقيق، مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، بغداد ١٩٧٠، ص٩٢، أخبار طاعون البصرة. الأربلي، عبد الرحمن سنبط قينتو، (ت٧١٧هـ)، خلاصة الذهب المسبوك، المكتب التجاري، بيروت د.ت، ص١، أخبار طاعون البصرة. الذهبي، دول الإسلام، ١/ ٤٠، العبر، ١/ ٧٥، ٧٦ من توفي من الصحابة في هذه السنة. إبن كثير، البداية والنهاية، ٩/ ٦٠، طاعون البصرة. السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص٢١٥، من توفي من الصحابة في هذه السنة. الديار بكري، تاريخ الخميس، ٢/ ٣١١ . من توفي من الصحابة في هذه السنة.

في أخباره وذكرت ولادته في السنة الثانية للهجرة إلى الحبشة[١]، وخطبة الرسول ﷺ لأمه منه[٢]، وعطاء عمر بن الخطاب له في خلافته[٣]، وروايته للحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[٤]، وتولية الإمام علي عليه السلام له على البحرين[٥]، ووفاته في سنة ثلاث وثمانين في المدينة في عهد عبد الملك بن مروان[٦].

وهذه الأخبار المتقدمة ليست سوى أمثلة أردنا من خلالها توضيح اهتمام الرواة بالأشخاص الذين لهم ارتباط برسول الله ﷺ، فلماذا لم تكن الحالة كذلك مع هند؟.

وإذا أخذنا حديث الوصف المتقدم والذي روي عن الإمام الحسن عليه السلام، فهو أشد غرابة مما تقدم، فسند الحديث مجهول وفيه أمور لا يمكن قبولها. حيث أنه نقل عن رجل من ولد أبي هالة، لكن لا نعرف من هو هذا الولد، هل هو ابن السيدة خديجة عليها السلام أم أنه ابن لأبي هالة من امرأة أخرى؟.

وسؤال الحسن عليه السلام لهند أمر يدعو للعجب حيث أنه عاش مع جده ثمان سنين، وهي مدة كافية ليعرف صفات جده ثم إن كان نسي هذه الصفات، فلماذا لم يسأل أباه علياً عليه السلام وهو أقرب من أي شخص

---

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣/ ١١٦٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٩٢.

(٣) الواقدي، المغازي، ٢/ ٧٢١، ابن سعد، الطبقات، ٣/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧.

(٤) ابن خياط، الطبقات، ١/ ٣ ـ ٤ . ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣/ ١١٦٠.

(٥) الطبري، تاريخ، ٤/ ٤٥٢ . ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣/ ١١٦٠.

(٦) ابن عبد البر، الاستيعاب، ٣/ ١١٦٠.

آخر للرسول ﷺ؟ وقد ورد عنه حديث في وصف الرسول ﷺ[1].

ولو قرأنا حديث الوصف الذي نقلته المصادر عن هند نجده دقيقاً جمع كل صفات الرسول ﷺ في مجلسه وكلامه وقيامه وقعوده وغير ذلك، وهذا لا يصدر إلا عن شخص وثيق الصلة بالرسول ﷺ والحال هذا لم تكن موافقة لحياة هند، لأننا لم نحصل على رواية واحدة تشير على علاقته بالرسول ﷺ.

٦ ـ زينب بنت أبي هالة

ذكر ابن هشام في السيرة أنها أنجبت لأبي هالة بنتاً إسمها زينب[2]، لكن هذه البنت لم يذكرها ابن إسحق، لأنه ذكر أنها أنجبت لأبي هالة رجلاً وامرأة دون أن يذكر أسماء[3]، والذي يبدو أن إسمها جاء من ابن هشام وليس من ابن إسحق ومن المحتمل أن هذه التسمية جاءت نتيجة خلط مع زينب بنت الرسول ﷺ، فالتبست الصورة عند ابن هشام وذكرها لأبي هالة، خصوصاً أننا لم نجدها عند غيره ولا نعرف من أخبارها شيئاً.

وخلاصة القول في أزواجها قبل الرسول ﷺ، وأبنائها من هؤلاء الأزواج أننا لا نستطيع أن نؤكد أنها كانت متزوجة قبله، وذلك لكثرة

---

(١) المقدسي، البدء والتاريخ، ٥/ ١ ـ ٢.

(٢) ابن هشام، السيرة، ٤/ ٢١٤ . ابن حزم، جوامع السيرة، ص٣٢ . النويري، نهاية الأرب، ١٨/ ١٧١.

(٣) ابن إسحق، السير والمغازي، ص٢٤٥ . المقدسي، البدء والتاريخ، ٥/ ١٠ ـ ١١ . محب الدين، الطبري، السمط الثمين، ص١١.

التناقضات والروايات الضعيفة حول هذا الأمر مما يجعلنا في شك منه.

ويؤيد ما ذهبنا إليه ما ورد في أحد المصادر من كون السيدة خديجة عليها السلام كانت غير متزوجة قبل الرسول صلى الله عليه وآله «روى أحمد البلاذري وأبو القاسم الكوفي في كتابيهما والمرتضى في الشافي وأبو جعفر في التلخيص أن النبي صلى الله عليه وآله تزوج بها وكانت عذراء»[1].

ووجدنا كتاب الإستغاثة لأبي القاسم الكوفي وفيه «أن الإجماع من الخاص والعام من أهل الأنام ونقلت الأخبار على أنه لم يبق من أشراف قريش ومن ساداتهم وذوي النجدة منهم إلا من خطبها ورام تزويجها، فامتنعت على جميعهم، فلما تزوجت رسول الله صلى الله عليه وآله غضبن عليها نساء قريش وهجرنها وقلن لها: خطبك أشراف قريش وأمراؤها ولم تتزوجي أحداً منهم وتزوجتي محمداً يتيم أبي طالب فقيراً لا مال له، فكيف يجوز في نظر أهل الفهم أن تكون خديجة يتزوجها أعرابي من تميم وتمتنع من سادات قريش وأشرافها على ما وصفناه، ألا يعلم ذوي التمييز والنظر أنه من أبين المجال وأفضح المقال ولما وجب هذا عند ذوي التحصين ثبت أن خديجة لم تتزوج غير رسول الله صلى الله عليه وآله»[2].

إن هذا النص المتقدم تؤيده الكثير من الشواهد، فقد ذكرت الروايات أن كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليها[3]،

---

(١) ابن شهر آشوب، محمد بن علي المازندراني (ت٥٨٨هـ) مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية النجف الأشرف د.ت، ١/ ١٣٨.

(٢) أبو القاسم الكوفي، علي بن أحمد بن موسى، (ت٣٥٢هـ). الإستغاثة، النجف الأشرف د.ت، ص٨٣.

(٣) ابن هشام، السيرة، ١/ ١٧٣ . الكلاعي، الإكتفاء، ١/ ١٩٩ . ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/ ٢٩١.

وكان ممن خطبها وامتنعت عليه «أبو جهل عمرو بن هشام وعقبة بن أبي معيط والصلت بن أبي إيهاب وأبو سفيان بن حرب»[1].

فكيف يعقل أن تترك هؤلاء وتتزوج من تميمي نكرة، ليس له أي شأن في قريش وكان مجرد حليف لبني عبد الدار وليس لبني أسد بن عبد العزى؟

ولقد ذكرنا فيما سبق أن السيدة خديجة عليها السلام عندما تزوجها الرسول صلى الله عليه وآله كان عمرها ثمانية وعشرين عاماً، فإذا أيدنا القول المتقدم في أنها لم تتزوج قبل الرسول صلى الله عليه وآله يبرز لنا تساؤل مهم، كيف بقيت إلى هذه السن المتأخرة دون زواج؟

إن هذا الأمر ليس مستحيلاً لا سيما أن أباها مات في حرب الفجار أو بعد ذلك بقليل، فلم يبق أحد له تأثير فيها وأولياءها ليس لهم يد عليها، ويؤيد هذا عملها بالتجارة وقوة شخصيتها ومكانتها في قريش مما يجعلنا نستبعد سيطرة أي شخص على شؤونها.

ولا مانع من أنها كانت تنتظر الرجل الذي رسمته في مخيلتها والذي يندر وجوده في ذلك المجتمع ولم تجد صورته إلا في رسول الله صلى الله عليه وآله.

ووجود هند بن أبي هالة واتفاق المصادر عليه لا يؤيد كونها متزوجة، فربما كان ربيباً لخديجة عليها السلام من أحد أقاربها فنسب إليها وهذا ليس أمراً مستبعداً، وقد ذكر أبو القاسم الكوفي ما يؤيد هذا حيث أنه التقى بجماعة ممن انتسب إلى هند بن أبي هالة ـ وهذا يعني أنه لم

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ١٦/ ٢٣.

ينقرض عقبهم كما ذكرت الروايات ودليل على كون الرواة غير متأكدين من هند وأبنائه ـ وجادلهم في أنهم ينتسبون إلى هالة بنت خويلد وليس للسيدة خديجة عليها السلام ، وذكر لهم أنهم يجهلون نسبهم الصحيح حيث أن هالة تزوجت برجل من تميم ثم توفي عنها وقد بلغ هند مبالغ الرجال فالتحق بأهله بالبادية[1].

إن هذا الرأي رغم عدم دقته في كثير من الجوانب، لكنه يفسر لنا غياب دور هند في الإسلام. وإن كل ما قدمناه مجرد آراء لا تعني أننا ننفي زواج السيدة خديجة عليها السلام من هؤلاء، في نفس الوقت لا نستطيع أن نؤيده وتبقى المسألة مفتوحة عسى أن تظهر نصوص جديدة تلقي الضوء على الحقيقة.

(١) أبو القاسم الكوفي، الاستغاثة، ص٨٠ ـ ٨٢.

الفصل الثالث

الوضع المالي للسيدة خديجة عليها السلام

١ ـ مصادر أموالها
٢ ـ عمل الرسول «ص» في تجارتها
٣ ـ موارد إنفاق أموالها

إن الطابع المميز لسيرة السيدة خديجة عليها السلام قبل تعرفها بالرسول صلى الله عليه وآله هو عملها بالتجارة، حتى كانت هذه الميزة الموضوع الرئيس الذي نقلته لنا الروايات في حياتها السابقة للرسول صلى الله عليه وآله، لذلك فإن دراسة حياة السيدة خديجة عليها السلام تتطلب منا أن نبحث هذا الجانب من حياتها، لأنه يرتبط بتاريخ حياة الرسول صلى الله عليه وآله والمسلمين، لما وفره مالها من خدمات كبيرة للإسلام.

لم يكن نشاط السيدة خديجة عليها السلام التجاري بعيداً عن الطابع العام للحياة الاقتصادية في مكة، حيث تمثل التجارة العمود الفقري لها، والتي ابتدأت منذ فترة طويلة متزامنة مع جمع قصي قريشاً وإسكانها في مكة قرب الكعبة واضعاً لهم كياناً سياسياً، فحافظ أولاده من بعده على هذا الكيان فزادوا في خدمة الكعبة والوافدين عليها، وأولوهم عناية كبيرة مما رفع من نجم قريش عند بقية قبائل الجزيرة العربية.

والخطوة المهمة في الحياة الاقتصادية لمكة، هو ما قام به هاشم بن عبد مناف وأخوانه من عقد المعاهدات التجارية التي تسمى الإيلاف، فاستطاعوا أن يؤمنوا تجارة قريش من أخطار الطريق من خلال هذه المعاهدات فتطورت تجارتها من تجارة داخلية إلى تجارة خارجية.

فأصبح لقريش صلات مع العراق والشام واليمن والحبشة على السواء، وأخذت رحلات الإيلاف تتوالى في كل سنة فكونت جماعات من التجار تتقاسم ما يعود عليها من الربح[١]، فكان الإيلاف خيراً ونماءاً لكل القريشيين، حتى من يملك مالاً قليلاً بإمكانه أن يرسل به مع القوافل الذاهبة للتجارة حتى بلغت تجارة قريش الذروة، فعمل القريشيون كتجار أو وسطاء أو كناقلين للتجارة فازداد ثراءها، وتبع هذا النشاط استقرار في مجتمع مكة، وحمل إليه أنواعاً متعددة من الثقافات التي كانت تفد مع التجار الأجانب، فنشأ تبعاً لذلك مجتمع متحضر يختلف اختلافاً كلياً عن مجتمعات الجزيرة العربية، وتبعاً لذلك تطورت مكانة المرأة في هذا المجتمع فاشتركت النساء في كثير من نشاطاته وأهم هذه النشاطات هي التجارة التي لم تبق حكراً على الرجال، لأن القوافل مشتركة يقودها وكلاء وبإمكان أي شخص أن يشترك بها.

وقد ذكرت الروايات أسماء بعض النساء اللواتي عملن بالتجارة، فكانت أسماء بنت مخربة «أم أبي جهل»[٢] تعمل ببيع العطور التي يجلبها لها ابنها عبد الله بن أبي ربيعة من اليمن[٣]، وكانت قيله أم أنمار تعمل بالتجارة[٤]. وهالة بنت خويلد أخت السيدة خديجة عليها السلام كانت

---

(١) جيوم، الفريد، الإسلام، ترجمة مصطفى هذارة وآخر، ط١ القاهرة ١٩٦٦، ص٦٠.

(٢) وهي أم أبي جهل (عمرو بن هشام) وكانت عند هشام بن المغيرة ثم طلقها فتزوجها أخوه أبو ربيعة فأنجبت له عبد الله وعياشا أخوان أبي جهل لأمه وقد أسلموا في عام فتح مكة سنة ثمان هجرية.

(٣) الواقدي، المغازي، ١/ ٧٩ . ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٣٠٠ ـ ٣٠١ . مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ٣١٧ ـ ٣١٨.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ١/ ٣١٧.

تبيع الأدم في أسواق مكة[1].

وهذه الحالات التي ذكرناها وإن كانت قليلة لكنها تعني أن النساء عملن بالتجارة، ولا أدل على ذلك من عمل السيدة خديجة عليها السلام فيها، حيث ذكرت الروايات إنها كانت تمتلك كمية من الأموال وترسل الرجال ليتاجروا لها في مالها فتجعل لهم حصصاً من الأرباح. وهذه الأموال والتجارة تثير تساؤلات كثيرة نلخصها بما يلي:

من أين جاءت هذه الأموال؟

كيف تمكنت من إدارتها؟ ومن ساعدها في ذلك؟

كيف عمل رسول الله صلى الله عليه وآله في تجارتها، هل اختارته هي أم هو طلب ذلك؟

هل كان له عمل تجاري قبل أن يعمل معها جعلها تختاره ليعمل في تجارتها؟

مصادر أموال السيدة خديجة«ع»

لم نحصل على رواية تبين لنا مصادر هذه الأموال، لأن الروايات اهتمت بحياتها عند ارتباطها بالرسول صلى الله عليه وآله دون أن تتعرض لحياتها قبله بتفاصيل تجعلنا نعرف المصدر الذي حصلت منه على هذه الأموال.

لقد حاول بعض الباحثين تحديد هذا المصدر فافترضوا إنها حصلت عليها من أزواجها قبل الرسول صلى الله عليه وآله، يقول دور منغم مثلاً:

---

(١) ابن بكار، منتخب، ص ٣٩ . الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/ ٢١٢.

«وكانت خديجة الأسدية القرشية الأيم ذات الثراء بعد أن تزوجت مرتين في بني مخزوم الأغنياء»[1]، ويقول بودلي: «وقد مات عن خديجة زوجان ترك كل منهما ثروة»[2]، ولا يخفى أن قول دور منغم فيه خطأ وهو ظنه أنها تزوجت مرتين في بني مخزوم بينما لم تتزوج إلا مرة واحدة فقط، وهذا الافتراض لا تؤيده الروايات، لأننا لم نحصل على رواية واحدة تذكر أن أزواجها كانوا يمتلكون أموالاً، أو كانوا تجاراً أو أن السيدة خديجة عليها السلام ورثت منهم وإذا كان أحدهم من بني مخزوم، هذا لا يعني أنه كان غنياً لأن بني مخزوم كانوا أثرياء ففي رواية الواقدي عن اسرى بدر أن «صيفي بن أبي رفاعة «أمية» بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم لم يكن له مال فمكث عند الذي أسره ثم أطلقه»[3]، وصيفي هذا زوج هند بنت عتيق وهذا يدلل على مدى فقر هذه العائلة.

أما كون أبي جهل والوليد بن المغيرة أغنياء لا يعني أن يكون كل بني مخزوم يمتلكون أموالاً فيكون عتيق بن عابد غنياً.

ولو عدنا لقوانين الوراثة في تلك الفترة لوجدنا أن الزوجة كانت لا ترث حيث يأخذ أهل الزوج المال الذي تركه زوجها، وقد روي أن امرأة عبد الرحمن بن ثابت أخو حسان بن ثابت الشاعر(رض) عندما توفي زوجها أخذ أبناء عمه ميراثه ولم يتركا لامرأته شيئاً، وكانوا لا يورثون النساء ولا الصغير فجاءت زوجته «أم كحة» إلى النبي صلى الله عليه وآله

(١) دور منغم، أميل، حياة محمد، ترجمة محمد عادل زعيتر، دار الكتب العربية، مصر د.ت، ص٤١.

(٢) بودلي، الرسول، ص ٤١.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٣٠٢.

واشتكت الأمر فطلب من الورثة أن ينتظروا فانصرفوا وفي ذلك نزلت آيات المواريث بقوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾[1]، ونزلت بعدها آيات أخرى تفصل في الإرث ثم نزلت ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ﴾[2]، ونزول آيات المواريث دلالة على أنهم كان لا يعطون المرأة شيء من ميراث زوجها، بل كانت الحالة أسوأ من ذلك فإذا كان الرجل له أبناء من غيرها ملكوا زوجة أبيهم، فكان للإبن الأكبر الحق في أن يتزوج امرأة أبيه[3]، أو تفتدي نفسها منه بأن تعطيه كمية من الأموال، فقد ورد عن ابن عباس رواية نصها «كانوا إذا مات الرجل كان أولياءه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاؤوا زوجوها وإن شاؤوا لم يزوجوها فهم أحق بها من أهلها، فنزلت الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ﴾[4].

إذن لا يمكن أن نتصور أن السيدة خديجة عليها السلام ورثت أموالها من هؤلاء الأزواج الذين لا نعرف عنهم شيء سوى أسماءهم، وحتى لو افترضنا جدلاً ورثت هذا المال من الأزواج فإن أولادها لهم حصة في

---

(١) سورة النساء، آية ٧.

(٢) سورة النساء، آية ١١.

(٣) ابن حبيب، المحبر، ص ٢٢٦ ـ ٣٢٧ . الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود (ت١٢٧٠هـ). روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ط٢، دار إحياء التراث العربي، لبنان د.ت. ٤/ ٢٤٢.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، (ت٢٥٦هـ) صحيح البخاري، دار إحيار التراث العربي، بيروت د.ت، تفسير سورة النساء، الآية ١٩.

هذه الأموال ولا يحق لها أن تستأثر بالأموال دونهم، فضلاً عن أن تعمل بها ما تشاء أو تعطيها للرسول ﷺ وتنفقها على الدعوة الإسلامية وهي ليست أموالها ولأبنائها فيها حصة، وكيف نتصور أن النبي ﷺ قبل هذه الأموال منها وهي ليست لها، وإن كانت قد أعطت لهؤلاء الأبناء حصصهم لكان بإمكان هند بنت عتيق إرسال فداء زوجها عندما أسر في معركة بدر بدلاً من بقائه في الأسر، لأنه لا يمتلك ما يفدي به نفسه.

ونحن بدورنا نفترض أن السيدة خديجة عليها السلام ورثت هذا المال من عائلتها حيث أن أباها واثنين من أخوانها قتلوا في حرب الفجار، فنالت جزء من هذه الأموال مع بقية الورثة، وهذا الأمر يؤيده أن الروايات لم تذكر لنا أن أحد أخوانها أو أخواتها كان موجوداً عند زواج الرسول بها سوى هالة، أي أن خويلد عندما توفي لم يبق له أحد يرثه سوى السيدة خديجة عليها السلام ونوفل بن خويلد، والحالة الاقتصادية لحكيم بن خزام تفسر لنا هذا الأمر فقد كان من التجار المعروفين في المجتمع المكي[1]. وهذا الإفتراض الذي قدمناه أقرب للمنطق والواقع من أي إفتراض آخر، لأنه لا يوجد لدينا دلائل أخرى تؤيد أن مصدر الأموال جاء من أي طريق آخر.

ويعزز هذا الافتراض أن السيدة خديجة عليها السلام قامت بنفسها على إدارة هذه الأموال، فلو كان عندها من يديرها لما باشرت هذا العمل بنفسها، مما يدل على عدم وجود أشخاص في العائلة يساعدونها في هذه التجارة.

---

(١) ابن بكار، جمهرة نسب قريش، ١/ ٣٧١.

إدارة السيدة خديجة«ع» للتجارة

ذكرت الروايات أن السيدة خديجة عليها السلام كانت ترسل الأمناء في تجارتها[1]، لكنها لم تبين لنا أسماء من عمل معها في هذه التجارة سوى حكيم بن حزام ابن أخيها حيث ذكرت الروايات أنه اشترى زيد بن حارثة لعمته خديجة عليها السلام بأربعمائة درهم من سوق عكاظ[2]، وربما كان يعمل معها في تجارة منظمة ومستمرة، لا سيما أنه كان يذهب إلى سوق تهامة القريب من مكة ليشتري لها بعض السلع[3].

ويبدو أن السيدة خديجة عليها السلام كانت تعتمد على عدة رجال في إدارة هذه الأموال ومن هؤلاء الذين ذكرتهم الروايات ميسرة غلامها[4]، الذي كان يذهب مع القوافل التجارية، لكنه لم يكن وكيلاً على تجارة السيدة عليها السلام، بل كان يذهب لخدمة أموالها ودليل ذلك أنه ذهب مع الرسول صلى الله عليه وآله في الرحلة التجارية إلى الشام[5]، وهناك شخص آخر ذكرته الروايات هو خزيمة بن حكيم البهزي[6]. وهو قريب لها لكن الروايات لم تذكر هذه القرابة واكتفت بذكر اسمه فقط، الأمر الذي يقودنا إلى

---

(١) ابن إسحق، السير والمغازي، ص ٨١ . ابن هشام. السيرة، ١/ ١٧٠ . ابن سعد، الطبقات، ١/ ١٦.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٤٦٧.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ٣/ ٤١ . ابن بكار، الزبير، الأخبار الموفقيات، تحقيق سامي مكي العاني، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٢، ص٣١٨.

(٤) لم تذكر الروايات عنه أي شيء فقط جاء ذكره في الرحلة التجارية التي خرج بها مع الرسول (ص) إلى سوقي حباشة وبصرى.

(٥) ابن هشام، السيرة، ١/ ١٧٢.

(٦) ابن الأثير، أسد الغابة، ٢/ ١٣٤.

القول أنه صهر السيدة خديجة عليها السلام من إحدى أخواتها أو من أقارب أمها، وعلى كل حال فإن ذكر اسمه في تجارتها دليل على أنها كانت تستخدم كثير من الرجال في هذه الأموال.

ومهما كانت الحال فإن السيدة خديجة عليها السلام وجدت بين يديها ثروة ومال بحاجة إلى عمل وتنمية، فكان بنضوجها العقلي وقوة شخصيتها ومكانتها الاجتماعية وانفتاحها على الناس، إن حفزها ودفعها لتحريك هذا المال في المجال الاقتصادي الذي عرف عن قريش وهو التجارة، ولكنها بحكم أنوثتها لا تستطيع أن تباشر ذلك بنفسها[1]، فاستعانت ببعض الأشخاص للعمل في هذه التجارة فساعدها في ذلك خروج قوافل مشتركة من مكة إلى الأسواق التجارية تسير مجتمعة وكل شخص يستطيع أن يضع أمواله فيها ويتاجر مع الآخرين، وقد يدير هذه القافلة كما هو حال قافلة أبي سفيان التي اعترضها المسلمون وكانت سبباً في معركة بدر في السنة الثانية للهجرة، حيث تذكر الروايات أنها قافلة كبيرة كان لجميع القريشيين أموال فيها[2].

عمل رسول الله«ص» في تجارة السيدة«ع»

وردت عدة روايات تتحدث عن عمل الرسول صلى الله عليه وآله في هذه التجارة، وأولها رواية عن الزهري «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما استوى وبلغ أشده وليس له كثير مال، فاستأجرته خديجة بنت خويلد

---

(١) قطب، محمد علي، خديجة بنت خويلد (رض)، ط١، دار القلم، لبنان ١٩٨٨، ص١٨.

(٢) الواقدي، المغازي، ١/ ٢٧ . ابن هشام، السيرة، ٢/ ١٨٢ . اليعقوبي، تاريخ، ٢/ ٣٦.

إلى سوق حباشة[1] واستأجرت معه رجلاً من قريش، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت صاحبة خير من خديجة ما كنا لنرجع أنا وصاحبي إلا وعندها تحفة من طعام تخبئه لنا. واستأجرته بسقب[2] يدفعه إليه غلامها ميسرة فرأى ميسرة إذا رجع من سفره من يمينه وخلفه البركة في سفره والزيادة في الربح وما رآه من رسول الله ﷺ قالت: فارنيه، فلما أقبلت العير أشار إليه وإذا سحابة تظله وتسير معه، فأمرت له بسقب آخر»[3].

وردت رواية ثانية عن الزهري نصها «كان خزيمة بن حكيم يأتي خديجة في كل عام وكان بينهما قرابة فأتاها فبعثته مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشام»[4].

---

(١) حباشة، بضم أوله وبالشين المعجمة على وزن فعالة ويقال حباشة دون ألف ولام، سوق للعرب معروف بناحية مكة، وهي أكبر أسواق تهامة، كانت تقوم ثمانية أيام في السنة، البكري، أبي عبيد الله بن عبد العزيز، (ت٤٨٧هـ) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا ط١، القاهرة، ١٩٤٥، ٢/ ٤١٨.

(٢) السقب، ولد الناقة ساعة يولد. ابن منظور، جمال الدين بن مكرم (ت٧١١هـ) لسان العرب المحيط، تقديم عبد الله العلايلي، دار اللسان العربي، بيروت د.ت. مادة سقب، ٢/ ١٦٢.

(٣) الطبري، تاريخ، ٢/ ٤٢١

(٤) الصنعاني أبو بكر عبد الرزاق بن هما (ت٢١١هـ) المصنف، تحقيق عبد الرحمن الأعظمي، بيروت، ١٩٧٢، ٥/ ٣٢٠ . ابن بكار، المنتخب، ص٣٦ . الطبري، تاريخ ٢/ ٢٨٢ . البيهقي، دلائل النبوة، ١/ ٩٠ . الطبرسي، الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ) أعلام الورى بأعلام الهدى، تعليق علي أكبر الغفاري، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، ١٣٣٨هـ، ص٣٩ . ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله الحموي، (ت٦٢٦هـ). معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦، ٢/ ٢١٠ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١/ ٥٠ . الأربلي، كشف الغمة، ٢/ ١٣٢ . محب الدين الطبري، السمط الثمين، ص٤ ـ ١٥ . مغلطاي، السيرة ص١٢ . المقريزي، أمتاع الأسماع. القسطلاني، المواهب اللدنية، ١/ ٣٨ . المجلسي، بحار الأنوار، ١٦/ ٩ ـ ١٠.

الرواية الأخرى جاءت عن محمد بن إسحق «كانت خديجة بنت خويلدعليها السلام امرأة ذات شرف ومال تستأجر الرجال في مالها، وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم وكانت قريش قوم تجار، فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه، بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة، فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وخرج في مالها ذلك وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام»[1].

أورد الزبير بن بكار رواية عن الواقدي عن بعض ولد حكيم بن حزام تشبه رواية الزهري في ذهابه إلى سوق حباشة«كان حكيم بن حزام رجلاً تاجراً لا يدع سوقاً بمكة ولا تهامة إلا حضره وكان يقول: كان بتهامة أسواق أعظمها سوق حباشة وكنت أحضره، وقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حضر فاشترت منه بزاً من بز تهامة «ثياب» وقدمت به مكة، فذلك حين أرسلت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تدعوه إلى أن يخرج لها في تجارة إلى سوق حباشة، وبعثت معه غلامها ميسرة فخرجا فابتاع بزاً من بز الجند وغيره مما فيه من التجارة ورجع إلى مكة فربحا ربحاً حسناً وكانت تقوم ثمانية أيام»[2].

---

(١) ابن الأثير، أسد الغابة، ٤/ ١٣٤ . ابن حجر، الإصابة، ١/ ٤٢٧ . الديار بكري، تاريخ الخميس، ١/ ٣٦٢ . المجلسي، بحار الأنوار، ١٦/ ١٧.

(٢) ابن إسحق، السير والمغازي، ص٨١ . ابن هشام، السيرة، ١/ ١٧٨ . الطبري، التاريخ، ٢/ ٢٨٠ . ابن الأثير، الكامل، ٢/ ٣٩ . محب الدين الطبري، السمط الثمين، ص١٢ ـ ١٣، الأربلي، كشف الغمة ٢/ ١٣٢. الكلاعي، الإكتفاء، ١/ ١٩٦ . الذهبي، =

أورد ابن سعد رواية عن الواقدي بسنده عن نفيسة بنت منية[1].
«لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة وليس له بمكة إسم إلا الأمين، لما تكامل فيه من خصال الخير فقال له أبو طالب: يا بن أخي أنا رجل لا مال لي وقد اشتد الزمان علينا وألحت علينا سنون منكرة وليست لنا مادة ولا تجارة وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى الشام وخديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك في عِيرَها فلو تعرضت لها، وبلغ خديجة ذلك فأرسلت إليه وأضعفت له ما كانت تعطي غيره، فخرج مع غلامها ميسرة حتى قدم بصرى من الشام»[2].

وفي رواية ثانية عن الواقدي بسنده عن نفيسة بنت منية «كانت خديجة ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث بها إلى الشام، فيكون عِيرَها

= تاريخ الإسلام ١/ ٤١ . ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤ . السيوطي، الخصائص الكبرى، تحقيق محمد خلي مهراس، دار الكتب، مصر ١٩٦٧ ، ١/ ٢٦.

(١) هي نفيسة بنت أمية بن أبي عبيدة بن همام بن الحرث التميمي، أخت يعلى بن أمية حليف قريش، ومنية هو إسم أمها منية بنت الحارث المازنية التي تزوجت بعد ذلك خويلد بن أسد والد السيدة خديجة (ع)، وأنجبت له العوام وعدي وحزام ورقيقة، ينظر ابن الأثير، أسد الغابة، ٧/ ٢٨٣ . ابن حجر، الإصابة ٣/ ٦٦٨، لكن ابن حزم ذكر إن أمها هي منية بنت جابر عمة عتبة بن غزوان بن جابر من بني مازن بن منصور، وهم حلفاء بني نوفل بن عبد مناف ولم يشر إلى أنها هي التي تزوجها خويلد أو هي أم العوام وأخوانه، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٢٩، لكن الرواية التي أوردها ابن الأثير بما تكون هي الصحيحة وذلك تبعاً للصلة الوثيقة بين نفيسة والسيدة خديجة (ع)، ذكرت المصادر أن نفيسة أسلمت وروت أحاديث عن الرسول(ص)، ينظر ابن الأثير، أسد الغابة، ٧٠/ ٢٨٣.

(٢) ابن بكار، نسب قريش، ١/ ٣٧١ .

كعامة عير قريش، وكانت تستأجر الرجال وتدفع المال مضاربة فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة وليس له إسم بمكة إلا الأمين، أرسلت إليه خديجة بنت خويلد تسأله الخروج إلى الشام في تجارتها مع غلامها ميسرة، وقالت: أنا أعطيك ضعف ما أعطى قومك ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج إلى سوق بصرى فباع سلعته التي خرج بها واشترى غيرها وقدم بها فربحت ضعف ما كانت تربح، أضعفت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ضعف ما سمت»[1]. وفي رواية أوردها ابن سعد عن عبد الله بن محمد بن عقيل قال: «وقال أبو طالب: يا بن أخي قد بلغني أن خديجة استأجرت فلاناً ببكرين[2] ولسنا نرضى لك بمثل ما أعطت فهل لك أن تكلمها، قال: ما أحببت، فخرج إليها فقال: هل لك أن تستأجري محمداً فقد بلغنا أنك استأجرت فلاناً ببكرين ولسنا نرضى لمحمد دون أربع أبكار، قال: فقالت خديجة: لو سألت ذلك لبعيد بغيض فعلنا فكيف وقد سألت لحبيب قريب»[3].

وأوردت بعض المصادر المتأخرة أن السيدة خديجة عليها السلام بعثت

---

(١) ابن سعد، الطبقات ١/١٢٩ . البلاذري، أنساب الأشراف، ١/٩٧ . المقدسي، البدء والتاريخ، ٤/١٣٧ ـ ١٣٨ . أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، ١/٢٢١ . ابن عساكر، تاريخ، ٣/١٤ ـ ١٥ . ابن الجوزي، الوفا، ١/١٤٣ . صفة الصفوة، ١/٧١ ـ ٧٢ . الكلاعي، الإكتفاء، ١/١٩٥ ـ ١٩٦ . الدميري، كمال الدين (ت٨٠٨هـ) حياة الحيوان الكبرى، دار الفكر، بيروت د.ت، ٢/٢٥٧ . الديار بكري، تاريخ الخميس، ١/٣٦٣ . الحلبي، السيرة الحلبية، ١/١٤٧ . المكي، سمط النجوم، ١/٣٦٥.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ٨/١٦.

(٣) البكر، ولد الناقة وهو في الإبل بمنزلة الفتى في الناس والبكرة بمنزلة الفتاة، ابن منظور، لسان العرب، مادة بكر، ١/٢٥٠.

الرسول ﷺ في تجارة لها إلى سوق جرش[1].

إن هذه الروايات بمجمها تتحدث عن ذهاب الرسول ﷺ بتجارة السيدة خديجة عليها السلام إلى سوق بصرى في الشام، عدا رواية الزهري ورواية الزبير بن بكار عن الواقدي، التي ذكرت ذهابه إلى سوق حباشة والرواية التي أوردتها المصادر المتأخرة عن ذهابه إلى سوق جرش، ورواية الزهري لم تحدد لنا عمر النبي ﷺ عندما ذهب بتجارة السيدة على عكس الروايات التي ذكرت أن عمره كان خمساً وعشرين سنة عندما ذهب إلى الشام.

ربما كان عمر الرسول ﷺ إحدى وعشرين سنة عندما ذهب إلى سوق حباشة، وذلك لأن الزهري ذكر أنه تزوجها وهو بهذا العمر بعد ما عاد من تجارتها[2]، وذكرت روايات أخرى أن عمر الرسول كان ثلاث وعشرين سنة عندما تزوج من السيدة[3]، وذكر غيرها أن عمره كان خمساً وعشرين[4]، وجاء الاختلاف في عمر الرسول ﷺ عند الزواج، نتيجة لأنه تزوج منها بعد عودته من إحدى سفراته التجارية بمالها، لذلك

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ١/ ١٣٠ . الدميري، حياة الحيوان، ٢/ ٢٥٧ . الديار بكري، تاريخ الخميس، ١/ ٣٦١ . المكي، سمط النجوم، ١/ ٣٦٥.

(٢) جرش، بضم أوله وفتح ثانية وبالشين المعجمة موضع باليمن، البكري، معجم ما استعجم، ٢/ ٣٧٦ . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢/ ١٢٦ . ينظر حول الرواية، الدميري، حياة الحيوان، ٢/ ٢٥٧ . ابن كثير، البداية والنهاية ٢/ ٢٩٥ . المقريزي، إمتاع الأسماع، ١/ ٩ . الحلبي، السيرة الحلبية، ١/ ١٥١.

(٣) ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤/ ٢٠٨ . السهيلي، الروض الأنف، ١/ ٢١٦ . ابن سيد الناس، عيون الأثر ١/ ٤٧ . مغلطاي، سيرة ص ١٢ . ابن كثير، البداية والنهاية، ١/ ٢٩٣.

(٤) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٩٨.

حسب الزهري أن عمره كان إحدى وعشرون سنة والسفرتان اللتان ذكرتهما المصادر إلى سوق جرش، أما قبل هذه السفرة أو بعدها وعلى كل حال فهي قبل سفرة الشام.

إن ذهاب رسول الله بتجارة السيدة خديجة عليها السلام تدعونا إلى التساؤل عن السبب الذي دفعها إلى أن تعرض على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الخروج بتجارتها؟ وهل عمل بالتجارة قبل عمله معها، أي هل كانت لديه خبرة تجارية؟

من الأمور المعروفة أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاة جده عبد المطلب اختار عمه أبو طالب ليعيش معه لما رأى عطفه عليه ورحمته به[1]، وتولى أبو طالب المهمة وقام بها خير قيام فأحبه حباً شديداً لم يحبه لأولاده[2]، وكان أبو طالب تاجراً كما هو شأن قومه فكان يبيع البُر والعطور[3]، علاوة على قيامه بمهام السقاية والرفادة التي ورثها عن أبيه بعد وفاته[4].

وذكرت بعض الروايات التاريخية أن أبا طالب كان فقيراً لا يمتلك أموال كثيرة[5]، لكن يجب أن لا نتصور أنه كان مملقاً لا يمتلك أي

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ١٧.

(٢) ابن إسحق، السير والمغازي، ص٦٩ . الصنعاني، المصنف، ٥/ ٣١٨ . ابن سعد، الطبقات، ١/ ١١٩.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ١/ ١٢٠ . أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، ١/ ٢٩٠ . ابن الجوزي، الوفا، ١/ ١٣٠.

(٤) ابن قتيبة، المعارف، ص٥٧٥ . ابن رستة، علي بن أحمد بن عمر (ت٤٩٠هـ) الإعلاق النفيسة، مطبعة بريل، ليدن، ١٨٩١، ٧/ ٢١٥.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، ٢/ ٢٣.

شيء ففي رواية عن الواقدي «أن أبا طالب كان مقلاً بالمال، وكان له قطعة من الإبل يستطيع أن يعيش منها»، وبقاء وظيفة الرفادة مع كثرة مؤونتها بيده حتى مجيء الإسلام دليل كاف على هذا الأمر[1].

وعندما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية عشرة من عمره هيأت له الظروف أن يخرج في إحدى السفرات التجارية إلى الشام برفقة عمه[2]، ومن الطبيعي أن تؤثر هذه الرحلة في نفس الرسول ﷺ، حيث شاهد مناطق مختلفة في رحلته، وتعرف على الحياة التجارية في مكة وخارجها منذ فترة مبكرة، ومع ما ذكرناه من قلة مال أبي طالب كان لا بد أن يجد عملاً يعيش منه والعمل الرئيسي في مكة كانت التجارة فلا بد من أن يعمل بها.

وبالرغم من أننا لا نعرف عن الوضع المالي للرسول ﷺ الشيء الكثير، سوى الرواية التي تقول أنه ورث عن أبيه جارية تدعى أم أيمن «بركة الحبشية» وخمسة جمال وقطعة من الغنم[3]، وهذا المال رغم قلته لكن من الممكن أن يزداد بمرور الأيام حيث أن الجمال والغنم تتوالد وتكثر، وربما كانت الغنم التي كان يرعاها لأهله كان جزء منها له، فقد روي عن الرسول ﷺ أنه قال «بعث موسى عليه السلام وهو راعي غنم وبعث داود عليه السلام وهو راع غنم وأنا أرعى غنم أهلي بأجياد»[4].

وهذا المال القليل ابتدأ به رسول الله ﷺ تجارة بسيطة تتناسب

---

(١) اليعقوبي، تاريخ، ٢/ ١١.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ٢/ ٢٣ . الفاسي، الغرام، ٢/ ٩٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ١/ ١٢١.

(٤) ابن قتيبة، المعارف، ١٤٤ . أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، ١/ ٢٠٦.

مع ما يملكه ويؤيد ذلك أنه كان يلقب بالأمين قبل عمله بتجارة السيدة خديجة عليها السلام، وهذا اللقب يتناسب مع العمل التجاري، كذلك الرواية التي تذكر لقاءه بقس بن ساعدة الأيادي في سوق عكاظ وسماعه لكلامه «وهو ممن كانوا يدينون بالحنفية ديانة إبراهيم الخليل»، وسؤال وفد قبيلة أياد عنه عندما قدموا إلى المدينة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكي يسلموا[1]، يدل على مداومته الذهاب إلى الأسواق التجارية.

وبقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع عائلة عمه كأحد أفرادها، لكنه كان لا بد أن يستقل بعمله عن هذه العائلة في يوم من الأيام، وربما ابتدأ بعمله عندما بلغ الخامسة عشر من عمره كما يتضح من الرواية التي أوردها ابن عبد البر في الاستيعاب «فصار في حجر عمه حتى بلغ خمس عشرة سنة وكان أبو طالب يحبه ثم انفرد بنفسه»[2].

ويبدو أنه كان يذهب إلى الأسواق القريبة من مكة ليشتري بعض السلع، كما يؤيد ذلك رواية الواقدي عن بعض ولد حكيم بن حزام في أنه التقى بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم في سوق حباشة واشترى منه نوع من أنواع الأقمشة[3]، وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أجر هالة بنت خويلد إبلاً تحمل عليها بضائعها «فكان في الإبل هو والشريك له فاكريا أخت خديجة فلما قضى السفر بقي لهم عليها شيء فجعل شريكه يأتيها فيتقاضى ويقول لمحمد: انطلق فيقول: إذهب أنت فإني أستحي»[4]، وهذا النص يدل

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ١/١٢٦.

(٢) أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، ١٥/ ٥٥٧٠ . المسعودي، مروج الذهب، ١/ ٨٢.

(٣) ينظر، ١/ ٣٤.

(٤) ابن بكار، جمهرة نسب قريش، ١/ ٣٧١، البكري، معجم من استعجم، ٢/ ٤١٨. المقريزي، إمتاع الأسماع، ١/ ٨ . الحلبي، السيرة الحلبية، ١/ ١٥٢.

على أن الرسول ﷺ يعمل بالتجارة قبل لقائه بالسيدة عليها السلام وعلى امتلاكه للإبل، أما شريكه فقد ذكرت الروايات أنه من بني مخزوم ولم تتفق على اسمه حيث دخل عليه عند فتح مكة فقال له الرسول ﷺ: «كنت شريكي لنعم الشريك كنت لا تداري ولا تماري»[1].

وذكرت بعض الروايات أن اسمه عبد الله بن السائب المخزومي[2]، وربما كان هو نفسه التي أرسلته السيدة عليها السلام معه إلى سوق حباشة.

وهذا العمل التجاري البسيط كان الخطوة الأولى في حياة

---

(١) الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/ ٢٢٢.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ٥/ ٤٤٥ . البخاري، التاريخ الكبير، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٦٧، ٥/ ٨ ـ ٩ . الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة «ت٢٧٩هـ». سنن الترمذي، مطبعة الفجالة، القاهرة د.ت، ٢/ ٣٤٣ . ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ١٤٣ . أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة ١/ ١٢٤ . ابن الأثير، أسد الغابة، ٣/ ٢٥٤ . ابن أبي الحديد، شرح النهج، ١٨/ ٣٠٨ . ابن حجر، الإصابة، ٢/ ٣١٤ . السيوطي، الخصائص الكبرى، ١/ ٢٢٥ . وذكرت مصادر أخرى أن اسمه السائب بن أبي السائب وعبد الله ابنه وروى عنه، أبي داود. سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ) سنن أبي داود، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد مصر د.ت، ٤/ ٢٦٠ . ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١١٨ . ابن الأثير، أسد الغابة، ٢/ ٣١٥ . وذهبت مصادر أخرى إلى أن اسمه السائب بن صيفي بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. ابن الجوزي، الوفا، ١/ ١٤٢ . المقريزي، إمتاع الأسماع، ١/ ٨ ـ ٩ . الحلبي، السيرة الحلبية، ١/ ١٥١ . وذكر الذهبي أنه صيفي بن عائذ، ويكنى أبي عبد الله، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق محمد سيد جاد الحق، ط١، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٧، ١/ ٤٠ ـ ٤١ . وذكرت مصادر أخرى أنه السائب بن عبد الله. ابن حنبل، المسند، ٣/ ٤٢٥ . ابن الأثير، أسد الغابة، ٢/ ٣١٦ .

النبيﷺ الاقتصادية، حيث أخذ يعمل في النشاط الذي كان يمارسه مجتمعه آنذاك وهو التجارة، فأصبح عنده رأس مال يستطيع أن يواصل به العمل التجاري، ويؤيد هذا ما جاء في رواية الزهري التي قدمناها ورواية الواقدي عن ولد حكيم بن حزام أنه التقى به في سوق حباشة واشترى منه بعض السلع فأخبر عمته بذلك فرغبت بالعمل معه فعرضت عليه أن يخرج مالها تاجراً إلى سوق حباشة ومعه شريكه الذي كان يعمل معه.

وإرسال النبيﷺ إلى ذلك السوق يعني أنها أرادت أن تتعامل معه في تجارة بسيطة خصوصاً أن هذه السوق كانت قريبة من مكة، وهي من الأسواق الموسمية حيث لا تستمر إلا ثمانية أيام[1]، وهذا معقول جداً لأن تعاملها معه أول أمره يحتاج إلى أن تجربه في تجارة بسيطة وقريبة، حتى تختبر مواهبه التجارية ومن ثم تتعامل معه في تجارة أكبر. ويدل على ذلك مسألة الحصة من الأرباح وهي «سقب». ولما رأت النجاح في عمله معها وكثرت الربح ضاعفت له الحصة وأعطته «سقباً آخر»، وهذا الربح كان عاملاً مهماً في أن يستمر التعامل بينهما، وساعدت مميزات الرسولﷺ الذاتية من أمانة وسمو أخلاق أن تزداد ثقة السيدة خديجةعليها السلام به وترسله مرة أخرى إلى الأسواق القريبة فذهب بتجارتهاإلى سوق جرش مرة أو مرتين[2]، وفي كل سفرة كانت تعطيه قلوص[3]، وهذا يدل على أن عمله التجاري معها كان منذ فترة مبكرة

---

(١) ذكر الفاسي إنها لم تكن من الأسواق الكبيرة حيث لا تقام في مواسم الحج بل كانت تقوم في شهر رجب، شفاء الغرام، ٢/ ٢٨٣.

(٢) الدميري، حياة الحيوان، ٢/ ٢٥٧.

(٣) القلوص، هي الشابة من الإبل بمنزلة الجارية الفتاة من النساء، ابن منظور، لسان العرب، مادة قلص، ٢/ ١٦٠.

قبل ذهابه إلى الشام ويعزز هذا الرأي ما ورد في رواية الزهري «ما رأيت من صاحبة خير من خديجة، ما كنا نرجع أنا وصاحبي إلا وجدنا عندها تحفة من طعام تخبئه لنا»[١].

فربما يكون قد سافر بتجارتها مرات متعددة لكن الروايات لم تشر إلى ذلك، على أن هذه السفرات كانت إلى الأسواق القريبة وليست إلى الشام، وقد حاول الباحثين أن يستدلوا برواية الزهري على عمل الرسول ﷺ معها قبل فترة طويلة من ذهابه إلى الشام، لكنهم ذكروا أن رواية الزهري لم ترد إلا في مصادر متأخرة[٢]، مع ورود هذه الرواية في المصادر المتقدمة كالمصنف للصنعاني وغيره[٣].

أما رحلة الرسول ﷺ التجارية إلى الشام، فقد وردت عنها خمس روايات، رواية الزهري التي ذكرت خروج خزيمة بن حكيم البهزي مع الرسول ﷺ إلى الشام «ربما كان هذا الشخص خرج بمالها أيضاً ورافق الرسول ﷺ في القافلة الذاهبة إلى الشام، خصوصاً أن هذه الرحلة كانت من الرحلات التجارية الكبيرة لأهل مكة». ورواية ابن إسحق، وروايتي الواقدي عن نفيسة بنت منية، ورواية ابن سعد عن عبد الله بن محمد بن عقيل.

إن موضوع الروايات واحد، لكن الاختلاف بينهما ناتج عن أمور كثيرة يمكن أن نستدل عليها من خلال استقراء هذه الروايات:

---

(١) ابن بكار، المنتخب، ص ٣٦.

(٢) الملاح، الوسيط في السيرة النبوية، ص٩٢.

(٣) ابن بكار، المنتخب، ص٣٦ . الطبري، تاريخ، ٢/ ٣٨٢.

رواية ابن إسحق هي استنتاج لما حدث وليست رواية مسندة إلى أحد الصحابة أو السيدة خديجة عليها السلام أو الذين كانوا في الرحلة كما هو شأن روايتي الواقدي وابن سعد، فقد تحدث في روايته عن مميزات السيدة خديجة عليها السلام التجارية «كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال..»، ثم عن الطريقة التي تعطي بها حصص الذين يعملون معها «تستأجر رجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجلعه لهم»، وهذا يعني أنها كانت تعطي مالها مضاربة، وقد ورد في الروايات أنها استأجرته وأرسلته أي أنه كان أجيراً في عمله معها، وقد أشار ابن قيم الجوزية إلى هذا المعنى حيث قال: «إنما يحفظ عنه أنه أجر نفسه قبل النبوة في رعاية الغنم وأجر نفسه من خديجة في سفره بمالها إلى الشام وإن كان العقد مضاربة، فالمضارب أمين أجير ووكيل وشريك فأمين إذا قبض المال ووكيل إذا تصرف به وأجير فيما يباشره من العمل وشريك إذا ظهر الربح»[1].

إن هذا الرأي غير دقيق، لأن قضية رعاية الغنم لم تكن أجرة بل كان يرعى غنم أهله، أما استئجاره للعمل في تجارة السيدة خديجة عليها السلام، فإن عمله لم يكن إجارة بل شراكة والدليل على ذلك أنها كانت تعطي المال مضاربة كما جاء في رواية إسحق المتقدمة، والمضاربة هي أن تعطي المال لغيرك يتجر به فيكون له سهم معلوم من الربح[2]، وقد يكون الربح مشتركاً[3]، أما قوله أن العمل إجارة لأنه

---

(١) ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت٧٥١هـ) زاد المعاد في هدى خير العباد، تقديم طه عبد الرؤوف طه، مصر، ١٩٧٠، ١/٥٧.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة ضرب، ٢/٥٢٠.

(٣) الصفوري الشافعي، عبد الرحمن بن عبد الله، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، مطبعة محمد صبيح علي، مصر، د.ت، ٢/١٦٧.

يباشره بنفسه فهو رأي ضعيف، إذ لو كان الأمر كذلك لما بعثت غلامها ميسرة معه ليقوم بأعمال خدمة القافلة، وربما أرسلت غيره إضافة إلى أن رواية ابن إسحق التي استند عليها ابن القيم والتي وردت فيها كلمة تستأجر أوردها الطبري بصيغة أخرى وهي «كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي إمرأة تاجرة ذات شرف ومال تستتجر الرجال في مالها. . .»[1]، والفرق بين تستأجر وتستتجر كبير، لأن الثانية تأتي من التجارة أي البيع والشراء وليس من الإستئجار[2].

ويؤيد ذلك الرواية التي وردت عن عمار بن ياسر(رض)، فقد أوردت المصادر عنه رواية في زواج رسول الله ﷺ من السيدة عليها السلام وهي «ويغضب إذا قيل له استأجرته وأرسلته»[3]، وفي رواية عنه أيضاً «وأنه ما كان مما يقول الناس إنها استأجرته بشيء ولا كان أجيراً لأحد قط»[4]، وقد يبدو من هذه الرواية أنها تعارض ذهاب الرسول ﷺ في تجارة السيدة عليها السلام، لكننا نرى أنها تزيد الصورة وضوحاً، حيث أنها تبين طبيعة عمل رسول الله ﷺ معها، حيث أن هذا العمل لم يكن استئجاراً بل كان شراكة.

ثم تذكر رواية ابن إسحق عرض السيدة على الرسول ﷺ «فلما بلغها عن رسول الله ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً. .»،

---

(١) الطبري، تاريخ، ٢/ ٢٨٠.

(٢) تجر. يتجر، تجراً، وتجارة، باع واشترى، وكذلك اتجر وهو افتعل، وقد غلب على الخمار، ابن منظور لسان العرب، مادة تجر، ١/ ٣١٢.

(٣) ابن بكار، منتخب، ص٤١.

(٤) اليعقوبي، تاريخ، ٢/ ١٦.

وهذا العرض يعني أنها لم تتعامل قبل ذلك على عكس ما قدمناه في رواية الزهري والرواية التي تذكر ذهابه إلى سوق جرش، لكن إذا عرفنا أن رواية ابن إسحق هي استنتاج خاص به وليس تعبيراً عن الواقع الذي يمثله ذهابه بتجارتها إلى الشام، فاجمل عمله معها بهذه الرواية وجمعه فيها وربطه بذهابه إلى سوق بصرى في الشام.

أما رواية الواقدي الأولى عن نفيسة بنت منية التي كانت وثيقة الصلة بالسيدة خديجة عليها السلام، لأنها أخت العوام بن خويلد لأمه، وربما كانت تعيش عندها[1]، فهي قريبة من الحدث وشاهدة عليه فتكون روايتها أخبار عن الواقع وليس إستنتاج، لما حدث فهي تنقل حديث أبي طالب مع الرسول صلى الله عليه وآله وحثه على الذهاب بتجارة السيدة خديجة عليها السلام وقوله له: «فلو جئتها فعرضت نفسك عليها لأسرعت إليك»، وهذا يعني أنها كانت قد تعاملت معه قبل ذلك وعرفت مواهبه التجارية وعلاوة على معرفتها بصفاته الذاتية كالصدق والأمانة، وربما كان حديث أبي طالب معه قبل مدة من خروج القوافل حتى يتهيأ النبي صلى الله عليه وآله للعمل معها، أما الذي أبلغها بقول أبي طالب فهو أبو طالب نفسه وهذا الأمر ذكره البلاذري عندما نقل رواية الواقدي عن نفيسة «فكلمها أبو طالب في رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجهته إلى الشام»[2]. وكذلك رواية ابن سعد عن عبد الله بن محمد بن عقيل والتي تعتبر مكملة لرواية الواقدي الأولى، حيث أن أبا طالب عندما كلم الرسول صلى الله عليه وآله في الخروج بتجارتها وافق على الأمر، فذهب أبو طالب إلى السيدة خديجة عليها السلام وطلب منها

---

(١) انظر ص١٢٥ . هامش ١.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٩٨.

أن تعطي محمد مالاً يتجر به واشترط عليها أن تعطيه أربعة أبكار، الأمر الذي يتناسب وكفاءته التي تعرفها السيدة عليها السلام لأنها تعاملت معه سابقاً.

أما ردها على أبي طالب «لو سالت لبغيض بعيد فعلنا فكيف وقد سالت لقريب حبيب»، يعني أنها على معرفة وثيقة بالرسول صلى الله عليه وآله والتي قد تكونت من خلال صلة القربه التي تربطها بالرسول صلى الله عليه وآله، وعمله معها لفترة طويلة، علاوة على أن بني هاشم الذين ينتسب لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وبني أسد بن عبد العزى الذين تنتسب إليهم السيدة خديجة عليها السلام كانوا معاً في حلف الفضول الذي كان من مبادئه «التأسي في المعاش»[1].

وبعد أن كلمها أبو طالب بالأمر واشترط عليها أن تعطيه ضعف ما تعطي رجل من قومه قبلت بالأمر وبعثت الرسول صلى الله عليه وآله في تجارتها وهذا ما تبينه رواية الواقدي الأولى[2]. أما روايته الثانية التي نقلها عن نفيسة بنت منية فهي تشبه رواية ابن إسحق في كونها استنتاج لما حدث، حيث أعطى صورة عامة من عمل رسول الله صلى الله عليه وآله معها، فيبين صفات السيدة عليها السلام أولاً، ثم انتقل إلى نوع العمل التجاري وهو المضاربة ثم عرضها على الرسول صلى الله عليه وآله أن يعمل معها وتعطيه حصة الأرباح وهذا إجمال لما حدث، وسؤالها له أن يخرج بمالها هو بناءاً على طلب أبو طالب منها الذي ذكرناه في رواية الواقدي الأولى ويبين هذا قولها له: «أنا أعطيك ضعف ما أعطي رجل من قومك»[3].

والشيء الذي نستخلصه من هذه الروايات هو أن الطرفين انتفع

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/ ٢٩٢.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ١/ ١٢٩، ١٥٦.

(٣) المصدر نفسه، ٨/ ١٦.

من هذا العمل، فقد انتفعت السيدة عليها السلام من أمانته للحفاظ على أموالها ومن خبرته في تنمية هذه الأموال، وانتفع الرسول صلى الله عليه وآله من الرزق الذي ساقه الله له والذي يفوق أرباح تجارته البسيطة قبل أن يعمل معها.

لذلك فإنها كانت بحاجة إلى شخص مثله يتمتع بالأمانة والصدق والأخلاق الرفيعة، علاوة على الخبرة التجارية فأقبلت عليه لكي يعمل معها من أجل المحافظة على مالها، لا سيما إنها كانت لا تباشر هذا العمل بنفسها خارج مكة وإنما تسنده لوكلاء يعملون معها فكان عمله حفاظ على مالها من الضياع، فأرسلته إلى أسواق قريبة أول الأمر فرأت الربح وزيادة البركة في مالها.

وهذا رد على كل من يحاول أن يلمح إلى أن زواج رسول الله صلى الله عليه وآله منها كان بدافع مادي، هذه الآراء التي تجد لها مبرراً عندما تلتقي بالرواية التي تذكر أن عمرها كان أربعين سنة عندما تزوج منها الرسول صلى الله عليه وآله، فافترضوا أن الذي جعله يقدم على هذه الخطوة هو إغراء المال، لأنهم لم يدر بخلدهم أن شاباً في الخامسة والعشرين من عمره يقدم على الزواج من امرأة أسن منه بخمسة عشر عاماً وقد تكون بعمر أمه، إلا إذا كان هناك سبب قوي يدفعه لذلك. ونأخذ مثالاً على هذا الأمر المستشرق بودلي الذي لمح لذلك بقوله: «دخل محمد في خدمة خديجة فوضع قدمه على الدرج الأول الذي سيوصله يوماً إلى بلاد العرب جميعاً»[1]، فجعل مال السيدة خديجة عليها السلام الشيء الأساس في انتصار الإسلام ونحن وإن كنا مع هذا الرأي من حيث أنه كان من

(١) بودلي، الرسول، ص٤٠.

الأركان الرئيسة التي ساعدت في انتصار الإسلام ووفرت للرسول ﷺ حياة هانئة هادئة مستقرة مكنته من التفرغ إلى التفكر والعبادة، لكننا في نفس الوقت نقف ضد الرأي الذي ألمح إليه ولم يفصح عنه بصراحة، فيما أفصح عنه غيره في أن الرسول ﷺ لو لم يحصل على هذا المال لم يكتب له ولدعوته هذا الانتصار الذي حققته، لأن أمر الله تعالى كان سيتم بمال السيدة خديجة عليها السلام أو بدونه. ومكانتها تأتي من حيث أنها أعطت هذا المال طائعة مختارة راضية غير آبهة به.

موارد إنفاق أموال السيدة خديجة«ع»

إن الروايات التي ذكرناها عن تجارة السيدة خديجة عليها السلام وما يتعلق بها لم تبين لنا حجم هذه التجارة، وكمية الأموال التي تمتلكها بل اكتفت بالقول أنها من التجار الذين يمتلكون الأموال.

وبالرغم من ذلك فإننا نستطيع أن نعطي تصوراً عاماً عن حجم هذه الأموال من خلال الروايات، ففي رواية الواقدي الثانية عن نفيسة بنت منية «كانت خديجة ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث إلى الشام فيكون عيرها كعامة عير قريش..»، يمكن أن نستخلص من هذا النص أنها كانت تمتلك أموال كثيرة، والإشارة الثانية «أن عيرها كان كعامة عير قريش» تعني أن عيرها كان مثل عير تجار قريش لا يختلف عنه، أي أن شأنها شأن بقية تجار مكة، وفي رواية أوردها الذهبي عن ابن إسحق أنها كانت «متمولة فعرضت على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخرج في مالها إلى الشام..»[1]، والمتمولة تعني كثيرة المال، لأن العرب تقول:

---

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/ ٨٤.

«رجل ملل إذا كان كثير المال»[1].

ومسألة الحصة التي أخذها رسول الله ﷺ من أرباح تجارة الشام والتي اشترطها أبو طالب عليها هي أربعة أبكار، وضاعفت للرسول ﷺ عندما رأت كثرة الأرباح حتى صارت ثمان أبكار، فإنها تبين لنا حجم هذه التجارة التي ذهب بها الرسول ﷺ. والثمان أبكار هي نسبة من الربح فقط، ومن الطبيعي أن يكون الربح أكثر من ذلك، وعليه يكون رأس المال ضعف ذلك بمرات متعددة، كذلك فإن هذه التجارة لم تكن كل أموال السيدة خديجة عليها السلام. إذن يكون حجم المال كبيراً على اعتبار هذه النسب.

ويمكن أن نعرف نوع المال الذي كانت تمتلكه وهو نقد وحيوانات وعبيد وغير ذلك فأما النقد فكان ضرورياً للتعامل التجاري، والحيوانات ضرورية لنقل البضائع، كما أن الحصص كانت تعطى بها وليس بالنقد كما رأينا من الروايات السابقة، وقد يكون ذلك ناتجاً عن قلة النقد في تلك الفترة.

وتذكر الروايات أنها كانت تمتلك بيوتاً في مكة، أولها البيت الذي تسكنه وكانت مستقلة فيه عن عائلتها والذي انتقل إليه الرسول ﷺ بعد زواجه منها[2]، والبيت الذي أعطته إلى أبي العاص بن الربيع ابن أختها هالة بعد زواجه من ابنتها زينب[3]. أما العبيد فقد كانت تمتلك

---

(١) مال الرجل، إذا صار ذا مال، وتمول كثر ماله ويقال رجل مال: أي كثير المال، وكأنه جعل نفسه مالاً، وما أموله أي ما أكثر ماله، ابن منظور، لسان العرب، مادة مول، ٢/ ٥٥٠.

(٢) الأزرقي، أخبار مكة، ٢/ ١٩٩ . الطبري، تاريخ، ٢/ ٢٨٢.

(٣) الأزرقي، أخبار مكة، ٢/ ٢٣٤.

ميسرة وربما امتلكت غيره لكن لم تصلنا أسماؤهم.

وعلى الرغم من عدم وجود تعيين لحجم هذا المال، لكن بقاءه لفترة طويلة يتصرف به الرسول ﷺ يدل على أنه كان كبيراً. والسؤال الملح هنا أين ذهبت هذه الأموال؟ لقد تساءل المستشرق لامنس وهو يتحدث عن زواج فاطمة الزهراء عليها السلام «كيف لم يكن باستطاعته أن يخص فاطمة بهدية سنية تحملها إلى بيت عريسها؟»، ثم يتساءل أين ذهبت أموال خديجة وهي شيء كبير؟[1].

رد أحد الباحثين عن هذا التساؤل بأن هذه الأموال ليست شيئاً كبيراً وصرفت في الدعوة الإسلامية، ثم انتقل بعد ذلك إلى القول أن بقاء رسول الله ﷺ وزوجته خمساً وعشرين سنة بدون عمل أدى إلى نفاد هذا المال[2].

إن هذا التساؤل يحتاج إلى تتبع موارد إنفاق هذا المال طيلة الدعوة الإسلامية، أما رأي الباحث الذي قدمناه فبالرغم من أننا نتفق معه في أنه أنفق في الدعوة الإسلامية، لكن لا نتفق معه في كونه قليلاً وفي بقاء رسول الله ﷺ وزوجته بدون عمل مما أدى إلى نفاده.

بعد أن تزوج النبي ﷺ من السيدة خديجة عليها السلام أصبح لديه رأس مال كاف ليبتدىء به تجارة تشبه تجارة أهل مكة وقتذاك، وبالرغم من عدم معرفتنا الشيء الكثير عن تجارة الرسول ﷺ بعد الزواج، لكن هذا لا يمنع أنه بقي يعمل في التجارة[3]، حيث لا نستطيع أن نتصور بقاءه

---

(١) نقلاً عن أبو النصر، عمر، فاطمة بنت رسول الله(ص)، ط٢، بيروت ١٩٣٨، ص ٧١ـ٧٢.

(٢) المرجع نفسه، ص ٧٢.

(٣) واط، محمد في مكة، ص ٧٦.

دون عمل، لأن هذا الأمر لا يتلاءم وسيرته فنراه يؤكد بصورة مستمرة على العمل ويحث عليه، وقد حصلنا على بعض الروايات التي تؤيد ذلك وتشير إلى نشاطه التجاري، ففي رواية أنه بايع أحد التجار سلعة ووعده في مكان معين لكن التاجر نسي الأمر، وبعد أن تذكره أتاه بعد ثلاثة أيام فوجد الرسول ﷺ ينتظره فقال له: «يا فتى لقد شققت علي أنا ها هنا مذ ثلاثة أيام أنتظرك»[1].

وبعد البعثة وردت رواية عن أبي سفيان أنه كان خارجاً إلى اليمن في تجارة ثم عاد إلى مكة فجاءه أهل مكة يسألون عن بضائعهم، ثم جاء النبي ﷺ فسلم عليه ولم يسأله عن بضاعته ثم قام، فقال أبو سفيان لزوجته: «إن هذا ليعجبني ما من أحد من قريش له معي بضاعة إلا وقد سألني عنها وما سألني هذا عن بضاعته فقالت لي هند: أو ما علمت شأنه، فقلت وأنا فزع: ما شأنه؟ قالت: يزعم أنه رسول الله»[2].

ويبدو أن رسول الله ﷺ كان مختصاً في بيع الأقمشة، فعندما التقاه حكيم بن حزام في سوق حباشة اشترى منه نوع من أنواع الأقمشة، وبعد البعثة حصلنا على روايتين تشيران إلى شراء رسول الله ﷺ هذا القماش من تجار قدموا إلى مكة[3].

وفي رواية أن أحد تجار قبيلة زبيد اليمنية قدم مكة بتجارة فأراد

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ٧/ ٥٩ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣ . الذهبي، تاريخ الإسلام، ١/ ٥١.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٣/ ٢٢٣.

(٣) الترمذي، السنن، ٣/ ٥٦٨ . أبو الشيخ، أخلاق النبي، ص١٢٠ . ابن الأثير، أسد الغابة، ٢/ ٤٩٣.

بيعها إلى أبي جهل بن هشام، لكنه ظلمه بثمنها فأخذ الرجل يقول: «يا معشر قريش كيف تدخل عليكم مادة أو جلب وأنتم تظلمون من دخل إليكم، وجعل يقف على الخَلْقْ حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ظلمك؟ قال: أبو الحكم طلب مني ثلاثة جمال وهي خيار إبلي فلم أبعه إياها بالوكس فليس يبتاعها أحد مني اتباعاً لمرضاته فقد أكسد سلعتي وظلمني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأين جمالك؟ قال: هي هذه بالحزورة، فابتاعها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فباع جملين منها بالثمن الذي التمسه وباع البعير الثالث وأعطى ثمنه أرامل بني عبد المطلب»[1].

قد يتصور البعض أن إنشغال رسول الله ﷺ بالتفكر والتعبد أبعده عن دائرة الأعمال، لأنه الجزء الغالب على مرويات السيرة، وبالرغم من أن هذا الرأي قريب من الواقع، لكن في نفس الوقت نقول أن التفكر والتعبد لم يأخذ كل وقت رسول الله ﷺ، لأنه كما تذكر الروايات كان في أوقات معينة من السنة، وهذه الروايات التي قدمناها تشير بوضوح إلى أنه استمر في العمل التجاري، لكن ليس فيها ما يدل على أنه خرج إلى خارج مكة للتجارة. ولا يستبعد أن تبقى السيدة خديجة عليها السلام تباشر إدارة أموالها وتجارتها، وإذا رجحنا هذا الاحتمال فهذا يعني أن زوجها رسول الله ﷺ لم يمنعها من ممارسة العمل التجاري والتصرف الحر بمالها باسم القوامة الزوجية أو السلطة الدينية وهو صاحب التشريع، أي

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ١٣٠.

أن الإسلام لم يحرم المرأة من حقها في العمل[1]، كما أننا ذكرنا أن القوافل المشتركة التي كانت تبعث بها قريش هيأت لها إرسال أموالها معها دون أن تخرج هي والرسول ﷺ إلى التجارة بأنفسهم، وهذا ما تشير إليه رواية أبي سفيان.

لكن بالرغم من هذا العمل التجاري فإن هذه الأموال أخذت تتناقص، لأن نسبة الصرف كانت أعلى من نسبة التجارة، فمنذ أن تزوج الرسول ﷺ بالسيدة خديجة عليها السلام وضعت أموالها تحت تصرفه، وأورد أحد المصادر المتأخرة رواية تؤيد هذا المعنى «أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما تزوج خديجة عليها السلام كثر كلام الحساد فيها، فقالوا: إن محمداً فقير وقد تزوج بأغنى النساء فكيف رضيت خديجة بفقره، فلما بلغها ذلك أخذتها الغيرة على محمد صلى الله عليه وسلم أن يعير بالفقر، فدعت رؤساء الحرم وأشهدتهم أن جميع ما تملكه لمحمد فإن رضي بفقري فذلك من كرم أصله، فتعجب الناس منها وانقلب القول فقالوا: إن محمداً أمسى من أغنى أهل مكة وخديجة أمست من أفقر أهل مكة فأعجبها ذلك»[2].

وهذه الرواية وإن لم يرد لها ذكر في المصادر المتقدمة وقد تكون تصوراً أو إستنتاجاً لما حدث لكنها تعبر عن الواقع تماماً، فأموال السيدة خديجة عليها السلام أصبحت ملكاً لرسول الله ﷺ يتصرف بها كيفما يشاء وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى بقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾

---

(١) طبارة، أمينة محمد، التحرر يبدأ في عقول الرجال والنساء، مجلة العربية، العدد٥٩، إبريل ٢٠٠١، ص ٦٩ ـ ٧٠.

(٢) الصفوي الشافعي، نزهة المجالس، ٢/١٦٨.

[الضحى: ٨] [(١)]، أي وجدك فقيراً فأغناك بمال السيدة خديجة عليها السلام [(٢)].

وعلاوة على وضعها الأموال تحت تصرفه فإنها كانت تتبع الناس الذين لهم علاقة بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم وتخصهم بالصلات، وهذه الصلات كانت كبيرة، فمثلاً زيد بن حارثة ذكرنا أن حكيم بن حزام اشتراه لعمته خديجة من سوق عكاظ، وذكرت روايات أخرى أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم رآه في أحد الأسواق فأخبر السيدة خديجة عليها السلام فطلبت منه أن يشتريه فاشتراه وأعتقه وتبناه [(٣)].

وأكرمت السيدة خديجة عليها السلام ثويبة مولاة أبي لهب التي أرضعت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عند ولادته بلبن ابنها مسروح، فكانت تأتي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عند زواجه من السيدة فيكرمها وتكرمها هي، وبقيت هذه الصلات طيلة حياة السيدة خديجة عليها السلام، وطلبت من أبي لهب أن تشتريها منه لكنه رفض ذلك [(٤)].

وفي رواية عن الواقدي أن حليمة بنت عبد الله بن الحارث السعدية مرضعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قدمت عليه بعد زواجه من السيدة تشكو

---

(١) سورة الضحى، آية ٧.

(٢) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، د.ت، ١٠/٥٠٦.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/٤٦٧ . المقدسي، البدء والتاريخ، ٥/٢١ . ابن الأثير، أسد الغابة، ٢/٢٨١ . الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١/١٦٢ . الحلبي، السيرة الحلبية، ١/٢٩٧.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ١/١٠٨ ـ ١٠٩ . البلاذري، أنساب الأشراف، ١/٩٦ . ابن عبد البر، الاستيعاب، ١/٢٨. ابن الجوزي، الوفا، ١/١٠٧ . النويري، نهاية الأرب، ١٦/٨٠ ـ ٨١.

إليه الفقر، فكلم رسول الله ﷺ خديجة عليها السلام فأعطتها أربعين شاة وبعيراً[1].

والتفتت السيدة خديجة إلى عائلة أبي طالب فأخذت ترسل لهم الصلات والعطايا[2]، ثم أخذ رسول الله ﷺ ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام ورباه في حجره وفي بيت السيدة خديجة عليها السلام[3]، وعندما رأت تعلق الرسول ﷺ به اهتمت به وكأنه ابنها فأخذت تلبسه فاخر الثياب وبالغت في إكرامه[4]. وكل هذه العطايا والصلات قبل أن يبعث رسول الله ﷺ وهي شيء كبير استمر خمس عشرة سنة من الزواج حتى البعثة مع قلة النشاط التجاري، وهذا يؤدي إلى تناقص هذه الأموال لكن بالرغم من هذا الاتفاق بقيت هذه الأموال إلى البعثة ولعبت دوراً كبيراً ـ كما سنرى ـ مما يقودنا إلى القول إن حجم هذه الأموال كان كبيراً.

وعندما بعث رسول الله ﷺ ركز كل جهوده على الدعوة فكانت أموال السيدة خديجة عليها السلام خير عون للإسلام والمسلمين، ومن المؤكد أن المسلمين الذين فقدوا أموالهم وامتيازاتهم التجارية نتيجة إعتناقهم الإسلام، حصلوا على مساعدات من هذا المال.

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ١/ ١١٤ . البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٩٥ . السهيلي، الروض الأنف، ١/ ١٩٢ . ابن الجوزي، صفة الصفوة، ١/ ١١٤ . البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٩٥ . ابن الجوزي صفة الصفوة، ١/ ٦١ ـ ٦٢ . أبو الفداء، المختصر، ١/ ١١٣.

(٢) المسعودي، إثبات الوصية، طهران، ١٣٢٠هـ، ص١٥٩.

(٣) ابن هشام، السيرة، ١/ ٢٢٨.

(٤) المسعودي، إثبات الوصية، ص١٥٩.

ولقد اتبع المشركون أساليب متعددة في حربهم مع الرسول ﷺ في مكة وكان يقف على رأس هذه الأساليب العامل الاقتصادي، وقد رأينا أن رسول الله ﷺ لم يخرج في تجارة خارج مكة، وهذا يعني أنه اعتمد على ما يرد إلى مكة من سلع سواء من تجار مكة أو التجار القادمين إليها، فكان المشركون في هذه المرحلة يجبرون من يفد إلى مكة أن لا يبيع المسلمين ومحمد ﷺ خاصة ويخوفوهم بأن كلامه فيه سحر وغير ذلك حتى لا يشتري منه ولا يبيعه أحد[1].

وكان أبو جهل «عمرو بن هشام» يشن حرباً اقتصادية على من أسلم، فكان يأتي الرجل المسلم فيقول له إذا أسلم: «أتترك دين أبيك وهو خير منك وتفيل شرفه؟ وإن كان تاجراً قال ستكسد تجارتك ويهلك مالك، وإن كان ضعيفاً أغرى به حتى يعذب»[2].

وهذا يعني أن التجار لا يستطيعون أن يبيعوا محمداً ﷺ وأتباعه خوفاً من وجهاء قريش، كما أن المسلمين عندما يأتون بتجارة إلى مكة لن يجدوا من يشتريها منهم خصوصاً وإن أكثر التجار كانوا مشركين.

هذا فضلاً عن أن الهجرة إلى الحبشة التي أمر بها الرسول ﷺ أصحابه بعد أن أصابهم العذاب الشديد من المشركين، كانت تحتاج إلى أموال وليس من المعقول أن يترك رسول الله ﷺ المحتاجين من أصحابه دون مساعدة، وليس كل المهاجرين كانوا يمتلكون الأموال، فلو أطلعنا على قائمة المهاجرين إلى الحبشة لوجدنا من بينهم فقراء مثل عمار بن

---

(١) ابن كثير، البداية والنهاية، ٣/ ٦١.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ١٩٨ . ابن كثير، البداية والنهاية، ٣/ ٥٩.

ياسر وعبد الله بن مسعود (رض) وغيرهم[1]، لا سيما وإن المسلمين خرجوا من مكة هاربين وقد تركوا أموالهم وما يملكون وكانوا بحاجة إلى نفقات الطعام والسفر.

ويؤيد هذا الرأي الرواية التي أوردتها المصادر عن أبي موسى الأشعري «دخل عمر بن الخطاب على حفصة وأسماء بنت عميس عندها، فقال حين رأى أسماء: من هذه؟، قالت: أسماء بنت عميس، قال عمر: الحبشية هذه، البحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم، قال: سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله منكم فغضبت أسماء وقالت: كلا والله كنتم مع رسول الله يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا في دار البعداء والبغضاء بالحبشة وذلك في الله وفي رسول الله، وايم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شَراباً حتى أذكر ما قلت للنبي وأسأله ووالله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد عليه، فلما جاء النبي قالت: يا نبي الله إن عمر قال: كذا وكذا، قالت: قال: «فما قلت له؟ قالت: كذا وكذا، قال: ليس بأحق بي منكم له ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم هجرتان»[2].

والمكان الرئيس الذي أنفقت فيه أموال السيدة خديجة عليها السلام كان شعب أبي طالب، حيث أن المشركين بعد أن يأسوا من رد رسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمين عن الدعوة الإسلامية أخذوا يذهبون إلى أبي طالب في محاولة للتأثير فيه كي يتخلى عن ابن أخيه، لكنه رفض هذا الأمر وخرج به إلى

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٢٠٤، وانظر أيضاً قائمة المهاجرين عنده، ١/ ١٩٨ ـ ٢٢٩.

(٢) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت٢٦١هـ) الجامع الصحيح، بيروت ١٣٢٧هـ، ٧/ ١٧٢ . ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٢٨١ . ابن حنبل، المسند، ٤/ ٣٩٥ . ابن كثير، البداية والنهاية، ٤/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

الشعب وخرجت معه بنو هاشم وبنو المطلب وقالوا: «نموت عن آخرنا قبل أن يوصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخلوا إلى الشعب مسلمهم ومشركهم المسلم لدينه والمشرك حمية»[١].

فلما رأت قريش ذلك كتبوا بينهم صحيفة تعاهدوا فيها على أن «لا يبايعوا بني هاشم ولا يناكحوهم ولا يعاملوهم حتى يدفعوا إليهم محمد فيقتلوه»[٢]. ويتضح من بنود الصحيفة إنها فرضت مقاطعة إقتصادية وإجتماعية على رسول الله ﷺ ومن معه وكان وقع هذه المقاطعة شديداً حيث أن التجارة هي المورد الرئيس للحياة في مكة. فعمل المشركون على قطع هذا المورد على المسلمين، فلم يكتفوا بأن لا يبايعوهم بل ذهبوا أبعد من ذلك، حيث أجبروهم على ألا يخرجوا إلى الأسواق إلا في مواسم الحج ليشتروا ما يحتاجون إليه[٣]، لكن هذه الخطوة كانت محفوفة بالصعوبات، لأن المشركين من كبار قريش كانوا يعملون على زيادة أسعار السلع التي تفد إلى مكة فالتاجر الذي يأتي مكة يدفعون إليه أعلى سعر مقابل سلعته حتى لا يبيعها إلى بني هاشم، وكان الوليد بن المغيرة المخزومي ينادي: «فمن رأيتموه عنده طعام يشتريه فزيدوا عليه وحولوا بينهم وبينه، ومن لم يكن عنده نقد فليشتر وعلي النقد»[٤]، وكذلك كان حال أبي جهل وعقبة بن أبي معيط والنضر بن الحارث فقد مارسوا شتى أنواع العروض والضغوط على التجار لئلا

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٢٣٠.

(٢) مؤرخ، حذف من نسب قريش، ص٢٥ . ابن سعد، الطبقات، ١/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩ . اليعقوبي، تاريخ، ٢/ ٢٥.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ١/ ٢٠٨ . المقريزي، إمتاع الأسماع، ١/ ٢٥.

(٤) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص١٥٩.

يبيعوا لبني هاشم شيئاً ثم يعودوا إليهم ليربحوهم على سلعهم، حتى أن بني هاشم وصلوا إلى درجة كبيرة من الجهد والبلاء «حتى كان يسمع أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من الجوع»[1].

وكان عدد المحصورين في الشعب كبيراً، وهذا العدد كان يحتاج إلى طعام ومؤونة فكان مال السيدة خديجة عليها السلام خير عون لهم في هذه الأزمة التي استمرت ثلاث سنوات، لكن صعوبة هذا الحصار أدت إلى نفاد هذا المال، حيث ذكرت الروايات أن السيدة خديجة عليها السلام كان لها مال كثير أنفقته في الشعب، وكذلك فعل أبو طالب والرسول صلى الله عليه وآله حتى وصلوا حد الفقر والفاقة[2].

وبعد أن خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وبنو هاشم من الشعب الذي حوصروا فيه كانت هذه الأموال قد شارفت على الفناء، لكن بقي منها ما مكن الرسول صلى الله عليه وآله من إدامة حياته حتى الهجرة إلى المدينة، ففي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وآله عندما أراد الهجرة اشترى أبو بكر (رض) بعيرين فقدم أحدهما إلى الرسول صلى الله عليه وآله، فقال له الرسول صلى الله عليه وآله: «لا، ولكن بالثمن الذي ابتعتها به، قال: أخذتها بكذا وكذا، قال: قد أخذتها بذلك، قال: هي لك. والحكمة في أنه صلى الله عليه وسلم أحب أن لا تكون هجرته إلا من مال نفسه»[3].

---

(١) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص١٥٠. ابن سعد، الطبقات، ١/ ٢٠٩ . المقريزي، النزاع والتخاصم، تقديم السيد محمد حسين آل بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦٦ ص٢٤.

(٢) اليعقوبي، تاريخ، ٢/ ٢٥ . الطبرسي، أعلام الورى، ص٦٠ . ابن شهر آشوب، المناقب، ١/ ٥٨.

(٣) الطبري، تاريخ، ٢/ ٣٧٥ . المسعودي، مروج الذهب، ٢/ ٢٧٩ . السمهودي علي بن=

ما اشتد به حبه إياه، فقدم وهو يهتف به، فسبق إلى خديجة فأخبرها ما أصاب من الظفر والربح، وما رآه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: فأرنيه، فلما أقبلت العير أشار لها إليه، وإذا بسحابة تظله، وتسير فوقه، فأمرت له بسقب آخر وعلق به قلبها لما أراد الله بها من السعادة»[1].

وفي رواية ابن إسحق أنه عندما خرج إلى الشام بتجارتها، نزل تحت ظل شجرة قرب مقر أحد الرهبان، اسمه «نسطورا»، فسأل الراهب عنه، فقالوا له إنه رجل من قريش، وعندها قال الراهب: «ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي»، ثم بعد أن باع النبيﷺ سلعته التي خرج بها إلى الشام عاد إلى مكة، ومعه ميسرة، فإذا كان وقت الظهر شاهد ميسرة «ملكين يظلانه من الشمس، وهو يسير على بعيره، فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فأضعفت أو قريباً، وحدثها ميسرة عن قول الراهب، وعما كان يراه من إظلال الملكين إياه»[2]، وذكر الواقدي في روايته نفس هذه الأمور[3].

كما هو واضح من هذه النصوص التي قدمناها، إنها ربطت أسباب زواج الرسولﷺ من السيدة خديجةعليها السلام بأمور غيبية بعيدة عن الواقع، وهذه الروايات وما يشبهها نجدها كثيراً في روايات السيرة النبوية، ففي كل حركة نجد أن أحد اليهود أو النصارى ويظهر له ويقول له أنت نبي، لكن إذا أتينا إلى هؤلاء لا نجد لهم أي ذكر آخر، وكأنهم

---

(١) ابن بكار، منتخب، ص ٣٦.

(٢) ابن هشام، السيرة، ١/ ١٧٢.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ١/ ١٥٦.

ظهروا ليخبروه بنبوته ويختفوا بعد ذلك.

فعندما سافر رسول الله ﷺ إلى الشام مع عمه أبي طالب، التقى في بصرى براهب اسمه بحيرا وبشره بالنبوة لمجرد أنه جلس تحت شجرة[1]، وظهرت في هذه الرواية الكثير من الأمور التي لا يقبلها العقل والمنطق، وبنى عليها المستشرقون فرضيات وآراء خرجت عن حدود المعقول، فقد ذكروا أن الرسول ﷺ تعلم منه الدين، وهو الذي نهاه عن عبادة الأصنام، وصوروا هذا الراهب بأنه المعلم الأول الذي أثر في أفكار النبي ﷺ، والتي نضجت في الأربعين من عمره، فأعلن دعوته الدينية[2].

وفي رحلته في تجارة السيدة خديجة يلتقي براهب اسمه نسطورا وهذا الراهب يبشره بالنبوة، وكان السبب أيضاً جلوسه تحت شجرة لم يجلس تحتها أحد بعد عيسى سواه، أي أنها بقيت قرابة

---

(١) ابن إسحق، السير والمغازي، ص ٧٤ ـ ٧٥ . ابن هشام، السيرة، ١/ ١٦٥ ـ ١٦٦ . الطبري، تاريخ ٢/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨، وقد وردت هذه الرواية بصيغ وألفاظ كثيرة مع مبالغات غير مقبولة، وقد أورد الزهري أنه يهودي وليس نصرانياً، ينظر، الصنعاني، المصنف، ٥/ ٣١٨، وفي رواية الواقدي أنه نصح أبا طالب بالعودة إلى مكة ثم توفي بعد ذلك، ينظر ابن سعد، الطبقات، ١/ ١٢٠.

(٢) ينظر المصادر التالية حول آراء المستشرقين عن لقاء الرسول(ص) بحيرا ونسطورا، دور منغم، حياة محمد، ص٤٨ . بودلي، الرسول، ص٣٤ ـ ٣٥. غوستاف لوبون، حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة ١٩٦٩، ص ١٠٢ ـ ١٠٣ . ولمزيد من الإطلاع راجع خواد بخش، الحضارة الإسلامية، ترجمة علي حسني الخربوطلي، دار الكتب الحديث، الجيزة، ١٩٦٠، ص ٥٠ ـ ٥١، حيث جمع الكثير من الآراء في كتابه ورد عليها، وكذلك حتي، صانعو التاريخ العربي، ترجمة أنيس فريحة، ط١، دار الثقافة. نيوجرسي، ١٩٦٩، ص١٦.

ستمائة عام، وتفاصيل هذا اللقاء تشبه إلى حد كبير لقاءه الأول مع بحيرا.

وهذه الروايات التي جعلوها السبب في زواج رسول الله ﷺ من السيدة خديجة عليها السلام، لا يمكن أن نأخذ بها ونجعلها الأساس الذي قامت عليه هذه الرابطة، ولو افترضنا أنها صحيحة، وأن اليهود والنصارى وجدوا ذكر النبي ﷺ في كتبهم، فكيف عرف هذا الراهب أنه هو من بين من قدموا معه في القافلة، وإذا كان ذلك لعلامات رؤوها من الرسول ﷺ مثل إظلال الملائكة وغير ذلك، لماذا لم يشاهد ذلك الناس الذاهبين معه في القافلة وهم من قريش هذا الأمر، ولماذا لم يرو أحد من هؤلاء هذه الرواية، ولم يتذكرها عندما بعث الرسول ﷺ ويؤمن بما جاء به، ولماذا لم يحتج بها الرسول ﷺ عليهم ولم يذكرهم بقول هؤلاء اليهود والنصارى.

إننا لم نجد في أحاديث الرسول ﷺ شيئاً من هذا القبيل، ولم يذكر ذلك فيما نقل عنه من أقوال كثيرة صنفت في عشرات أو مئات المجلدات التي تخصصت بأقواله.

والشيء الغريب في هذه الروايات أن الرهبان والنصارى يعلمون بنبوة محمد ﷺ وميسرة يرى الملائكة ويعرف بأنه النبي المبعوث من أقوال الرهبان، والسيدة خديجة عليها السلام تعلم أيضاً وترى ما رأى هؤلاء، لكن في كل ذلك نجد الرسول ﷺ الوحيد الذي لا يعلم بنبوته[1]، ونحن نتساءل لماذا لم تخبره السيدة عليها السلام برؤيتها للملائكة تظلله عندما

(١) سنناقش هذه المسألة في دور السيدة خديجة(ع) عند نزول الوحي على النبي ﷺ.

طلبته للزواج؟.

أما الرواية التي رويت عن ابن عباس فهي أكثر غرابة، فإذا كان بحيرا ونسطورا وميسرة شاهدوا تظليل الملائكة، ووجد اليهود والنصارى نبوة محمدﷺ في كتبهم، فما هو المستوى الفكري الذي تمتع به هذا الوثن الذي أصبح رجلاً وأخذ يتكلم فجأة!، ثم أنه نادى يا نساء تيماء وهو في مكة، هل نسي أنه في مكة أم أنه يسمي مكة تيماء؟، ثم أننا لا نجد في مرويات السيرة رواية غير هذه تشير إلى أن السيدة خديجةعليها السلام تؤمن بالأوثان أو تتقرب منها، وهذا الأمر سنعرفه عندما ندرس موقف السيدة خديجةعليها السلام من تعبد الرسولﷺ والبعثة النبوية.

وهذه الأسباب التي ذكرتها الروايات لا يمكن قبولها، ويجدر بنا أن نبحث عن أسباب أكثر واقعية، وهذه الأسباب تكمن في الصفات والمميزات الشخصية التي كان يتمتع بها الرسولﷺ والسيدة خديجةعليها السلام. حيث ذكرت الروايات أنها كانت امرأة «حازمة جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير، وهي يومئذ أوسط قريش نسباً وأعظمهم مالاً وكل قومها حريص على نكاحها لو قدر على ذلك، وقد طلبوها وبذلوا لها الأموال»[1].

إذن كانت السيدة خديجةعليها السلام تتمتع بصفات ومميزات قلما تجتمع في امرأة، اجتمع فيها الجمال والحزم الذي يعني قوة الشخصية وكمال العقل والحنكة[2]، والجلد المشتمل على القوة والصلابة

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ١/ ١٣١ ـ ١٣٢.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٦٢٦، مادة حزم.

والصبر[١]، فضلاً عن أنها امرأة برزة[٢]، بمعنى موثوق برأيها وعفافها رغم أنها تعمل في مجال أكثر روادة من الرجال[٣]، وهو ميدان التجارة.

فكانت بأخلاقها ونسبها وثروتها وحيدة بين قومها فريدة بين أترابها، تنعم بمكانة سامية بين قومها لجمال خلقها وكريم أخلاقها ونقاء سريرتها وخلوصها من إشراك الجهل وأوثان الفساد[٤].

ولهذه الصفات المجتمعة في هذه المرأة سعى كبار قريش لخطبتها وكل سيد من ساداتهم كان يأمل أن ينال موافقتها والزواج منها، لكنها دفعت كل هؤلاء وأخذت تبحث عن شخص بمواصفات خاصة، فكل امرأة تبحث عن أشياء ترغب في أن تجدها في الرجل الذي تريد ربط حياتها بحياته، ولا شك في أن هذه الصفات هي شرف النسب وكمال الأخلاق وجمال الطلعة واكتمال الشباب وكثرة المال، وقد يختلف الأمر من امرأة إلى أخرى في ترتيب هذه العناصر، في أن يتواجد بعضها دون البعض الآخر، ولكنه من المؤكد أن سيدنا رسول الله ﷺ كان يجمع بين هذه العناصر على مستوى الكمال عدا كثرة المال[٥].

وهذه الصفات هي ما تبحث عنه، أما كثرة المال فلن يكن بشيء، فهي غير محتاجة إلى ثري من أثرياء قريش يكدس أمواله على أموالها، بل كانت بحاجة إلى رجل يسمو عن أقرانه بكرم أخلاقه وحميد صفاته[٦]، لذلك نراها تسعى من أجل أن تظفر بهذه الدرة الغالية من بين

---

(١) المصدر نفسه، ١/ ٤٨١، مادة جلدة.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٩٨.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ١/ ١٩٣، مادة برزة.

(٤) أبو النصر، فاطمة، ص ٣٢.

(٥) عاشور، سعيد هارون، نساء النبي، ط٣، مكتبة الآداب، مصر ١٩٩٦، ص ٢٣ ـ ٢٤.

(٦) السحار، خديجة بنت خويلد، ص٤٠.

أشراف قومها[1].

ولو تصفحنا الأسباب الخاصة بالرسول ﷺ وتساءلنا عن الأسباب التي أخرته عن الزواج وقد بلغ الخامسة والعشرين من عمره، قد يتبادر إلى الذهن أن قلة المال كان سبباً في هذا التأخير، نجد أن هذه الإجابة غير دقيقة، لأن في بني هاشم الكثير من النساء وأي سيد من ساداتهم سيفرح وهو يزوج من محمد بن عبد الله ﷺ، كما أن المال بالرغم من أهميته في هذه الأمور، لم يكن المقياس الوحيد، بل كانت هناك مقاييس أخرى يقاس بها الرجال، كشرف النسب وكرم الأخلاق والسمعة الطيبة، التي قد تكون أسمى وأرقى من المقياس المادي.

لقد كان يبحث عن امرأة بمواصفات خاصة، تلائم مستواه الفكري والروحي، وتعينه على ما يشغل باله من خواطر وأفكار، وجدت طريقها إلى قلبه وعقله منذ طفولته امرأة تستطيع أن تكون بمستوى ما يسعى إليه في نفسه من استهجان لكل ضروب التحلل والفساد والوثنية المقيتة والإسراف في تقديس الأصنام والدعوة إليها والطقوس التي ابتدعوها لها.

وذلك أنه كان بنفسه أكبر من تناقضات مجتمعه، حيث سعى منذ البداية لإثارة تساؤلات حول حقيقة ما موجودة فلم يدخل معهم في شيء مما كان يمارسونه من رذائل، فكانت السيدة خديجة عليها السلام بمستوى هذا الاختيار.

---

(١) الصفار، عبد الرزاق قاسم، زوجات النبي الطاهرات، مجلة آداب الرافدين، العدد ١٣، جامعة الموصل، ١٩٨١، ص٥٤٨.

إذن فالتوافق التام بين الطرفين كان سبباً في الزواج وعاملاً مهماً في نجاحه، فقد وجدت فيه صفات الرجل الكامل، ووجد فيها صفات المرأة المثالية، وهذه العوامل جعلت هذا الزواج ناجحاً، حيث توفرت فيه كل العناصر التي تجعله سعيداً، ولم يكن ينقص الرسول ﷺ سوى كثرة المال الذي تحتاج إليه الحياة الهانئة، وقد امتلكته هي، رغم أن الرسول ﷺ لم يكن يسعى إليه في بداية حياته أو بعد نبوته.

الفصل الرابع

زواجها من رسول الله ﷺ
وحياتها حتى البعثة

١ ـ الأسباب التي أدت لهذا الزواج

٢ ـ روايات الزواج

٣ ـ مراسيم الزواج «الوليمة، الصداق، المهر»

٤ ـ حياتها معه حتى البعثة

روايات زواج الرسول«ص»
بالسيدة خديجة«ع»

وردت عدة روايات عن الزواج سوف نستعرضها ونحاول أن نناقشها مجتمعة:

١ ـ نقلت المصادر رواية عن الزهري دون أن تبين السند الذي نقل منه ونصها «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما قدمت من سوق حباشة، قلت لصاحبي: انطلق بنا نتحدث عند خديجة فبينما نحن نتحدث عندها إذ دخلت علينا منتشية من مولدات قريش[١]، فقالت: محمد هذا؟ والذي يحلف به أنه جاء خاطباً، فقلت: كلا فلما خرجت أنا وصاحبي، قال: أمن خطبة خديجة تستحي فواللّه ما من قرشية إلا وتراك كفؤاً، فرجعت إليها مرة أخرى أنا وصاحبي، فجاءت تلك الوليدة فقالت مثل قولها الأول، فقلت: أجل على استحياء فلم تعصنا خديجة ولا أختها فانطلقت إلى أبيها خويلد بن أسد وهو ثمل من الشراب فقالت: هذا ابن أخيك محمد يخطب خديجة وقد رضيت، فدعاه فسأله عن ذلك فانكحه، فخلقت أباها وحلت عليه حلة، فدخل رسول الله

(١) المنتشية: أي المرأة إذا بلغت واشتهت الرجل، الصنعاني، المصنف، ٥/ ٣٠٠، أما معنى من مولدات قؤيش: أي من النساء اللواتي ولدن في قريش من العرب.

صلى الله عليه وسلم بها فلما صحا الشيخ من سكره، قال: ما هذا الخلوق وما هذه الحلة؟ قالت أخت خديجة: كساكها ابن أخيك محمد زوجته خديجة وقد بنا بها فأنكر الشيخ ثم صار إلى أن سلم واستحيا وطفقت رجاز من قريش:

لا تزهدي خديج في محمد جلد يضيء كضياء الفرقد[1]

٢ ـ أوردت المصادر رواية عن محمد بن إسحق: «كانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة مع ما أراد الله بها من كرامته، فلما أخبرها غلامها ميسرة بما أخبرها به بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت فيما يزعمون: يا بن عم إني رغبت فيك لقرابتك وسلطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ثم عرضت عليه نفسها، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهن شرفاً وأكثرهن مالاً، وكل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه، فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمه حمزة حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه فتزوجها»[2].

٣ ـ وردت رواية عن هشام بن عروة بن الزبير «كان رسول الله

---

(١) الصنعاني، المصنف، ٥/ ٣٠٠ . ابن بكار، منتخب، ص٣٧ ـ ٣٨ . البيهقي، دلائل النبوة، ١/ ٩٠ ـ ٩١ . السهيلي، الروض الأنف، ١/ ٢١٤ . محب الدين الطبري، السمط الثمين، ص١٦.

(٢) ابن إسحق، السير والمغازي، ص٨٢ . ابن هشام، السيرة، ١/ ١٧٢ ـ ١٧٣ . الطبري، تاريخ، ٢/ ٢٨٠ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١/ ٤١ . الأربلي، كشفة الغمة، ٢/ ١٣٢ . الذهبي، تاريخ الإسلام، ١/ ٤٢ . ابن حجر، الإصابة، ٢/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣ . ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤ . الكلاعي، الإكتفاء، ١/ ١٩٨ ـ ١٩٩ . الحلبي، السيرة الحلبية، ١/ ١٥٣ . المجلسي، بحار الأنوار، ١٦/ ١٩.

صلى الله عليه وسلم إذا كانت الظهيرة واشتد الحر لم يزل ملكان يظلانه من الشمس، فلما قدم ميسرة على خديجة أخبرها بقول الراهب وما رأى من الملكين، فبعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا بن عم إني قد رغبت فيك لقرابتك وسلطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمومته، فذكر لهم ما قالت له خديجة، فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب حتى دخل على عمها عمرو بن أسد فزوجه، وقال عمرو بن أسد: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يخطب خديجة هذا الفحل لا يقرع أنفه»[1].

٤ ـ أورد محمد بن الحسن بن زبالة رواية عن الليث بن سعد «أرسلت خديجة إلى عمها عمرو بن أسد فصنعت له طعاماً وشراباً حتى إذا أخذ الشراب فيه، أرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أقبل أنت ونفر من أهل بيتك فليخطبوا إليه فإنه سيزوجك، فأتوه فكلموه فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرت مكانها بحلة حبرة فألقيت عليه، وبعير فنحر فأكل منه الناس، وبطيب فطيب به، فلما أفاق من الخمر قال: ما هذا العير وما هذا الحبير وما هذا النحير؟ قالوا: زوجت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد، قال: ما فعلت، قالت خديجة: لا تجتمع على أمرين أفتت علي بنفسي ولم تؤامرني ثم تسفه نفسك عند قريش وقد حضرك فلان وفلان، فإن الرجل وإن يكن حدث السن قليل المال فإن له نسباً فاضلاً في قومه فأسكت على ما صنعت فأنا كنت أحق

---

(١) ابن بكار، منتخب، ص٣٧ ـ ٣٨ ـ ٣٩ . ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٦/ ٨٩ . الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/ ٢١٩.

بالغضب منك فقبل ذلك وسكت عنه وبنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم»[1].

٥ ـ أورد ابن سعد رواية عن خالد بن خداش[2] «أن خديجة قالت لأختها: انطلقي إلى محمد فاذكريني له أو كما قالت وإن أختها جاءت فأجابت بما شاء الله، وإنهم تواطؤوا على أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن أبا خديجة سقي من الخمر حتى أخذت فيه، ثم دعا محمد فزوجه وسنت على الشيخ حلة، فلما صحا قال: ما هذه الحلة؟ قالوا: كساكها ختنك محمد، فغضب وأخذ السلاح وأخذ بنو هاشم السلاح وقالوا: ما كانت لنا فيكم رغبة ثم اصطلحوا بعد ذلك»[3].

٦ ـ أوردت بعض المصادر رواية عن حماد بن سلمة فيما يحسبه عن ابن عباس «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر خديجة وكان أبوها يرغب في أن يزوجه، فصنعت طعاماً وشراباً ودعت أباها ونفراً من قريش فطعموا وشربوا حتى ثملوا، فقالت: خديجة إن محمد بن عبد الله يخطبني فزوجني إياه، فزوجها فخلقته وألبسته، وكذلك كانوا يعملون بالآباء، فلما سرى عنه سكره نظر فإذا هو مخلق وعليه حلة، فقال: ما شأني، ما هذا؟ قالت زوجتني محمد بن عبد الله، فقال: أنا أزوجك يتيم أبي طالب لا لعمري، فقالت خديجة: ألا تستحي تريد أن تسفه نفسك عند قريش تخبر

---

(١) ابن بكار، منتخب، ص٣٩ . ابن حبيب، المحبر، ص٧٨.

(٢) خالد بن خداش بن عجلان مولى آل المهلب بن أبي صفرة، الأزدي، ضعفه أهل الحديث ولم يأخذوا بروايته. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٨/٣٠٦.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ١/١٣٢ .

الناس إنك كنت سكران، فلم تزل ترضي به حتى رضي»[1].

٧ ـ في رواية عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي بسنده عن ابن عباس «بعثت خديجة رحمها الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم، إن اخطبني إلى عمي عمرو بن أسد وكان شيخاً كبيراً، فأمرت بشاة فذبحت واتخذت طعاماً ودعت عمراً، وبعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى ومعه عمه حمزة بن عبد المطلب وعمه أبو طالب إلى عمرو، فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم على اثنتي عشرة أوقية ونشاً والأوقية أربعون درهماً»[2].

٨ ـ أوردت المصادر روايتين عن الواقدي بسنده عن نفيسة بنت منية «كانت خديجة بنت خويلد امرأة حازمة جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير، وهي يومئذ أوسط قريش نسباً وأعظمهم مالاً وكل قومها حريصاً على نكاحها لو قدر على ذلك، وقد طلبوها وبذلوا لها الأموال فأرسلتني دسيساً إلى محمد بعد أن رجع عيرها من الشام، فقلت: يا محمد ما يمنعك أن تتزوج؟ فقال: ما بيدي ما أتزوج به، قلت: فإن كفيت ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟ قال: فمن هي؟ قلت: خديجة، قال: وكيف لي بذلك؟ قلت: علي، قال: فأنا أفعل، فذهبت فأخبرتها فأرسلت إليه إن أئت ساعة كذا وكذا وأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها، فحضر ودخل رسول

---

(١) الطبراني، المعجم الكبير، ٢٢/ ٣٧٠ . محب الدين الطبري، السمط الثمين، ص ١٦ ـ ١٧ . الذهبي، تاريخ الإسلام، ١/ ٤٢ . الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/ ٢٢٠ . المقريزي، إمتاع الأسماع، ١/ ١٠ ـ ١١.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٩٧.

الله صلى الله عليه وسلم في عمومته فزوجه أحدهم، فقال عمرو بن أسد: هذا البضع لا يقرع أنفه، وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن خمسة وعشرين سنة»[1].

والرواية الثانية لم يذكر سندها «إن خديجة سقت أباها خمراً حتى ثمل، ونحرت بقرة وخلقته بخلوق وألبسته حلة حبرة، فلما صحا قال: ما هذا العقير وما هذا العبير وما هذا الحبير؟ قالت: زوجتني محمداً، قال: ما فعلت، أنا أفعل هذا وقد خطبك أكابر قريش فلم أفعل؟»[2].

٩ ـ أوردت بعض المصادر رواية عن عمار بن ياسر (رض) وقد أخذنا هذه الرواية من تاريخ اليعقوبي «عن عمار بن ياسر أنه قال: أنا أعلم الناس بزواج رسول الله من خديجة بنت خويلد، كنت صديقاً له فأنا نمشي يوماً بين الصفا والمروة، إذ خديجة بنت خويلد وأختها هالة، فلما رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءتني هالة أختها فقالت يا عمار: أما لصاحبك حاجة بخديجة، قلت: والله ما أدري فرجعت فذكرت ذلك، فقال: ارجع فواضعها وواعدها يوماً نأتيها فيه ففعلت، فلما كان ذلك اليوم أرسلت إلى عمرو بن أسد وسقته ذلك اليوم ودهنت لحيته بدهن أصفر وطرحت عليه حبيراً، ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ١/ ١٣١ ـ ١٣٢ . البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٩٨ . ابن الجوزي، صفة الصفوة، ١/ ٧٣ ـ ٧٤ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١/ ٥٠ . النويري، نهاية الأرب، ١٦/ ٩٧ . المقريزي، إمتاع الأسماع، ١/ ١٠ . ابن حجر، الإصابة، ٤/ ٢٨٢ . الديار بكري، تاريخ الخميس، ١/ ٢٦٤ . الحلبي، السيرة الحلبية، ١/ ١٥٤ . المكي سمط النجوم، ١/ ٢٦٦.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ١/ ١٣٣ . الطبري، تاريخ، ٢/ ٢٨٢.

أعمامه يتقدمهم أبو طالب، فقال: الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسماعيل، وجعل لنا بيتاً محجوباً وحرماً آمناً، وجعلنا الحكام على الناس، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن به، ثم أن ابن أخي محمد بن عبد الله لا يوازن برجل من قريش إلا رجح ولا يقاس بأحد إلا عظم عنه، وإن كان في المال قل، فإن المال رزق حائل وظل زائل وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة، وصداق ما سألتموه عاجله من مالي وله والله خطب عظيم ونبأ شائع، فتزوجها وانصرف، فلما أصبح عمها عمر بن أسد أنكر ما رأى، فقيل له: هذا ختمك محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أهدى إليك ذلك، وقال: متى زوجته، قيل له: بالأمس، قال: ما فعلت، قيل له: بلى نشهد أنك قد فعلت فلما رأى عمرو رسول الله ﷺ قال: أشهدوا أني لم أكن زوجته بالأمس فقد زوجته اليوم»[1].

---

(١) لم تحدد الروايات السنة التي ولد فيها عمار بن ياسر (رض)، لكنها ذكرت أن أباه جاء إلى مكة من اليمن مع إخوان له وبقي في مكة وحالف بني مخزوم فزوجوه أمه عندهم، أسمها سمية بنت خياط (رض) فأصبح عمار مولى لبني مخزوم، ينظر إبن سعد، الطبقات، ٤/١٣٦ . وذكرت بعض المصادر أنه كان صديقاً لرسول الله(ص) قبل الإسلام، ينظر ابن عبد البر، الإستيعاب، ٣/١١٣٧ . ابن أبي الحديد، شرح النهج، ١٠/١٠٣ . وذكر أنه مات وله ثلاث وتسعين سنة أي أنه أسن من الرسول(ص) بثلاث سنوات، ينظر ابن أبي الحديد، شرح النهج، ٢/٣٨.

وهذه الرواية أوردتها عدد من المصادر ونقلناها من اليعقوبي، تاريخ، ٢/١٦ ، لكن المصادر الأخرى التي نقلت رواياته رغم أنها تشبه رواية اليعقوبي، لكنه لم تذكر خطبة أبي طالب وذكرت أن أباها هو الذي حضر الخطبة وليس عمها، ينظر ابن بكار، منتخب، ص٤٠ ـ ٤١ . ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/٢٩٥ . الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/٢٢١ ، أما الخطبة فقد أخذناها عن اليعقوبي أيضاً ونقلتها العديد من المصادر دون أن تذكر الرواية، ينظر المبرد، الكامل، ٤/٤ . العسكري، الأوائل، ص٩١ . السهيلي، الروض الأنف، ١/٢١٣ . ابن شهر آشوب، المناقب ١/٣٩ ـ ٤٠ . ابن الجوزي، صفة الصفوة، ١/٧٤ . الصفوري الشافعي، نزهة المجالس، ص١٦٧ . المكي، سمط النجوم، ١/٣٦٦ . المجلسي بحار الأنوار، ١٦/١٧.

إن هذه الروايات التي قدمناها هي مجمل ما حصلنا من روايات الزواج، وقد اختلفت هذه الروايات في عدة أمور يمكن أن نلخصها بالآتي:

«١» اختلفت الروايات في شخصية ولي أمر السيدة خديجة عليها السلام في الزواج، هل كان أبوها خويلد بن أسد أو عمها عمرو بن أسد؟.

«٢» لم تتفق الروايات حول شخصية الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وآله، هل كان عمه أبا طالب أم عمه حمزة؟.

«٣» ذكرت بعض الروايات أن نفيسة بنت منية، هي التي سعت في أمر الزواج، وذكر غيرها أنها امرأة دون أن تحدد اسمها، وهناك روايات ذكرت أنها هالة بنت خويلد وفي بعضها أنها هي التي عرضت عليه الأمر دون وساطه.

«٤» ورد في بعض الروايات أنها سقت أباها أو عمها خمراً حتى يوافق على أمر الزواج، فيما ذهبت روايات أخرى أنه كان ثملاً عندما كلمته في الأمر، وهناك روايات لم تذكر هذا الأمر.

في ضوء هذه النقاط الأربع سوف نناقش موضوع الزواج، فالشخص الذي تولى أمر السيدة خديجة عليها السلام في الزواج، حسب ما ذكرت روايات الزهري وابن إسحاق وخالد بن خداش وحماد بن سلمة، والرواية الثانية عن الواقدي أن أبوها كان وليها في الزواج، بينما ذكرت روايات هشام بن عروة والليث بن سعد وهشام بن محمد الكلبي ورواية الواقدي الأولى عن نفيسة بنت منية، والرواية التي أوردتها المصادر عن عمار بن ياسر (رض) أن عمها هو الذي ولى أمرها.

إذن الروايات التي ذكرت أنه عمها أكثر من تلك التي ذكرت أنه

أبوها، علاوة على ذلك فقد ذكرنا أن خويلد بن أسد قتل في حرب الفجار أو بعدها بقليل[١]، وهذه الروايات وردت عن مجموعة من الصحابة حيث أورد الواقدي بسنده عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت: «أن عمها عمرو بن أسد زوجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن أباها مات قبل الفجار»[٢]، كما أورد الواقدي بسندين عن ابن عباس وجبير بن مطعم، أن عمها هو الذي زوجها وإن أباها مات في حرب الفجار[٣]، كما أورد هشام بن محمد الكلبي بسنده عن ابن عباس «زوج عمرو بن أسد خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ شيخ كبير لم يبق لأسد لصلبه يومئذ غيره»[٤]، وذكر مصعب الزبيري أن الذي زوجها عمها عمرو بن أسد[٥].

أما الواقدي في روايته الثانية فقد استدركها بالقول: «وهذا كله عندنا غلط والثبت المحفوظ عند أهل العلم أن أباها خويلد مات قبل الفجار، وأن عمها عمرو بن أسد زوجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم»[٦].

من خلال هذا العرض يتضح أن أباها مات قبل هذه الفترة، أما الروايات التي ذكرت أن أباها هو الذي تولى أمرها في الزواج فيبدو أنها

---

(١) ينظر صفحة، ٢٣.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ١٦ . ابن بكار، منتخب، ص٣٨.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ١٦.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ١/ ١٣٢ . البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٩٧.

(٥) نسب قريش، ص ٢٠٧.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ١/ ١٣٣ . الطبري، تاريخ، ٢/ ٢٨٢ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١/ ٥٠ . المجلسي، بحار الأنوار، ١٦/ ١٩.

جاءت عن طريق الزهري وأخذ الآخرين عنه، وهو لم يذكر من أين أخذ هذه الرواية، كما أن روايته مخالفة لجميع الروايات، فقد ذكر أن الزواج تم بعد عودة الرسول ﷺ من سوق حباشة، بينما ذكرت جميع الروايات أنه تزوج منها بعد عودته من الشام.

ورواية ابن إسحاق يبدو أنه نقلها عن هشام بن عروة، لكنه اختلف عنه في أنه ذكر أن أباها هو الذي زوجها، فربما نقل هذا الأمر عن الزهري، في حين نقلت بعض المصادر عن ابن إسحاق أنه قال: أن أخاها عمرو بن خويلد هو الذي زوجها[1]، وهذا الأمر لا يمكن قبوله، لأن السيدة خديجة عليها السلام لم يكن لها أخ اسمه عمرو، فربما كان قصده عمرو بن أسد عمها. أما رواية حماد بن سلمة لم يتأكد من أين أخذها لأنه يضن أنها عن ابن عباس بينما ذكر الواقدي وهشام الكلبي أن ابن عباس قال: عمها هو الذي زوجها لذلك فهي رواية غير جديرة بالثقة، ورواية خالد بن خداش في متنها الكثير من التناقض بحيث لا يمكن أن نقبلها وهذا ما سوف نتعرض له عندما نناقش النقطة الرابعة.

إذا انتقلنا إلى النقطة الثانية وهي شخصية الخاطب لرسول الله ﷺ نجد أن الزهري وحماد بن سلمة وخالد بن خداش لم يذكروا أن أحد من أعمامه جاء معه، وذكرت روايات هشام بن عروة وابن إسحاق أن عمه حمزة بن عبد المطلب، هو الذي خطب له وذكرت رواية هشام الكلبي، والرواية التي أوردتها بعض المصادر عن عمار بن ياسر عمه أبا طالب، وفي رواية الليث بن سعد أنه جاء بنفر من أهل بيته وفي رواية

---

(١) السهيلي، الروض الأنف، ١/ ٢١٤ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١/ ٥٠ . النويري، نهاية الأرب، ١٦/ ٩٨ . ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/ ٢٩٦.

الواقدي أن دخل «في عمومته فزوجه أحدهم» دون أن يحدده.

إن هذا يعني أن هشام بن عروة هو الوحيد الذي قال: بأن حمزة بن عبد المطلب هو الذي خطب لرسول الله ﷺ، لأن ابن إسحاق أخذ عن هشام بن عروة ومصدر الروايتين واحد. ونحن بدورنا لا نؤيد هذه الرواية وذلك، لأن عمر حمزة بن عبد المطلب مقارب لعمر الرسول ﷺ[1]، وليس من المعقول أن يخطب لرسول الله ﷺ مع وجود أبي طالب كبير بني هاشم وزعيمهم والقائم بأمورهم وهذا لا يمنع من وجود حمزة أو غيره من بني هاشم وأشراف قريش، أما الروايات التي ذكرت أنه ذهب بنفسه لا يمكن أن نؤيدها، وذلك لأنها تتعارض والعادات الاجتماعية التي درج عليها العرب في الخطبة والزواج[2]، لا سيما وإن مسألة الزواج مسألة مهمة جداً ومن المفروض أن كبار البيت الهاشمي حضروا هذه الخطبة حتى تكون بمستوى من جاءوا يخطبون منه، وهذا تؤيده الروايات التي ذكرت خطبة أبي طالب لرسول الله ﷺ والروايات التي ذكرت زعامة أبي طالب لبني هاشم بعد أبيه مع وجود أخيه الزبير وهو أسن منه.

ففي رواية عن عفيف الكندي[3] أنه جاء إلى مكة فرأى

---

(١) خطب عبد المطلب آمنة بنت وهب لابنه عبد الله وخطب لنفسه هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة في نفس اليوم فولدت له حمزة وكان رسول الله(ص) بالرضاعة، ينظر ابن سعد، الطبقات، ١/ ٩٥.

(٢) ينظر ابن حبيب، المحبر، ص٣١٠ ـ ٣١١.

(٣) عفيف الكندي، ابن عم الأشعث بن قيس، وقيل: عمه، وقيل: أخوه، والأكثر أنه ابن عمه وأخوه لأمه وبه جزم أبو نعيم الأصبهاني، له صحبة إسمه شرحبيل وعفيف لقب له، روى عنه ابناه يحيى وإياس، ينظر ابن الأثير، أسد الغابة، ٤/ ٤٨ . ابن حجر، الإصابة، ٣/ ٤٨٧.

الرسول ﷺ والسيدة خديجة عليها السلام والإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يصلون عند الكعبة بعد البعثة فسأل العباس بن عبد المطلب عن الأمر، فأخبره أن محمد ﷺ يقول أنه نبي، فسأله عن رأي قريش بالأمر «ما الذي تقولونه أنتم، ننتظر ما يفعل الشيخ يعني أبا طالب»[1].

وهذا يعني أنه كان رأس بني هاشم فمن غير الممكن أن يكون قد قام بأمر الخطبة غيره، علاوة على أن رسول الله ﷺ كان في هذه المرحلة من حياته يعيش مع أسرة أبي طالب.

وعددت الروايات أسماء متعددة عن الشخصية التي وفقت بين الرسول ﷺ والسيدة خديجة عليها السلام حتى تم الزواج. ففي رواية الزهري أنها امرأة من مولدات قريش دون تحديد، وفي رواية ابن إسحق وهشام بن عروة والليث بن سعد وهشام الكلبي أنها عرضت عليه نفسها، وذكر الواقدي أنها نفيسة بنت منية، وفي الرواية التي وردت عن عمار بن ياسر(رض) وخالد بن خداش كانت هالة بنت خويلد، وأوردت بعض المصادر المتأخرة أن السفير بينها كان ميسرة[2].

إن الذي يبدو من خلال هذه الروايات أنها أضافت هالة كانت مفتعلة بما فيها من مبالغة وتفخيم، وقد حاولت أن تخرج هذه الخطبة عن المألوف، فظهر فيها أشخاص عدة حاولوا أن يوفقوا بينهما وهؤلاء الأشخاص كما يبدو ومن خلال الروايات أكدوا على شرف ومكانة السيدة عليها السلام ورغبتها في الزواج من الرسول ﷺ، ولم تذكر أي منها أنه كان له رغبة فيها أو بمعنى أصح أنه لم يفكر فيها، وهذا يدعونا إلى أن

---

(١) ابن ابي الحديد، شرح النهج، ١/ ٢٩ .

(٢) المقريزي، إمتاع الأسماع، ١/ ١٠ . الحلبي، السيرة الحلبية، ١/ ١٥٤.

نشكك في هذه الرواية التي تبدو فيها الصنعة خصوصاً إذا أضفنا لها رفض عائلة السيدة خديجة عليها السلام لهذا الزواج.

وقد حاول الحلبي في سيرته أن يوفق بين هذه الروايات، فقال: «لا منافاة لجواز أن يكون كل منهم سفيراً»[1]. لكن رأيه لا يمكن قبوله، خصوصاً أن الرسول صلى الله عليه وآله في هذه الروايات عندما يعرض عليه الأمر يسأل عن التي يتزوجها، ولو كان الحال مثل ماقاله الحلبي لكان رسول الله صلى الله عليه وآله يعرفها لا أن يسأل عنها.

لقد بينا رأينا في رواية الزهري في النقطتين الأولى والثانية وسوف نناقش بقية الروايات، فرواية الواقدي التي ذكرت نفيسة بنت منية قد تكون معقولة بحسب قرب المرأة من العائلة، لكن الرواية أعطت لهذه المرأة دوراً لا يمكن قبوله فأظهرتها وكأنها المحور الأساس في عملية الزواج، فهي التي تولت أمر الزواج أما الرسول صلى الله عليه وآله والسيدة خديجة عليها السلام فليس لهما أي دور وإجابة الرسول صلى الله عليه وآله لها كانت أكثر غرابة، حيث أنه ذكرها أنه لا يملك المال الذي سيتزوج به، ونحن نعلم أنه عمل مدة طويلة بالتجارة استطاع من خلالها أن يكون مادة يستطيع العيش بها، والصداق الذي دفعه الرسول صلى الله عليه وآله لها دليل على امتلاكه للمال، «وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشاً من ذهب، والأوقية أربعون درهماً والنش عشرون فذلك خمسمائة درهم»[2].

---

(١) السيرة الحلبية، ١/ ١٥٤.

(٢) ذكر ابن سعد أنه أصدقها اثنتي عشر أوقية حسب رواية الكلبي عن ابن عباس، الطبقات، ٨/ ١٧ . وذكر الواقدي الرواية بنفس السند، لكنه قال: أصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشاً والأوقية أربعون درهماً، ينظر البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٩٧.

ولو انتقلنا إلى سفارة هالة بنت خويلد في الزواج، نجدها معقولة كذلك بحكم قربها من السيدة خديجة عليها السلام، لكن رواية ابن إسحق وهشام بن عروة أقرب إلى الواقع، حيث أن قوة الشخصية التي تمتعت بها واستقلالها بأمورها واحترافها العمل التجاري وقيامها به والشهرة التي تمتعت بها في قريش حتى أطلق عليها لقب الطاهرة، وهي في شبابها لا يعني أن جميع النساء كن على نفس المستوى من التمييز الذي تمتعت به، ولذلك فنحن نرجح أن تكون هي التي فاتحته بالأمر بحكم العلاقة الوثيقة التي ربطت بينهما سواء علاقة القرابة أو العمل التي تغنيها عن إرسال السفراء إليه.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هل كان مجتمع مكة يقبل هذه المسألة أي أن تخطب المرأة الرجل؟

إن الإعجاب الذي سرى إلى نفس السيدة خديجة عليها السلام بأمانة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وخلقه الكريم، جعلها لا تتقيد بعادات وتقاليد وضعها مجموعة من الناس وتعارفوا عليها لتلائم حياتهم في فترة ما، وهذه العادات والتقاليد غير ملزمة لكل المجتمع، فهي تطبق بحسب المصلحة ونرى في كثير من الأحيان خروجاً عليها، لأن التطبيق فيها نسبي كما هو شأن الكثير من القوانين الوضعية التي تعارف عليها البشر، كذلك فإن الحياة في المجتمع المكي كانت متميزة نوعاً ما عن بقية مجتمعات الجزيرة العربية، فحظيت المرأة بنوع من الحرية نتيجة لما عليه وضع مكة كمدينة أولاً، وكملتقى تجاري يفد إليه الكثير من التجار من مناطق متحضرة حاملين معهم ألواناً متعددة من الثقافة، وتبعاً لذلك كان للمرأة الحق في اختيار الزوج[1]. وذكرت لنا الروايات أسماء نساء في مكة

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٢٣٥.

اشترطن أن يكون عقد الزواج بأيديهن، مثل سلمى بنت عمرو زوجة هاشم بن عبد مناف وعاتكة بنت مرة بن هلال زوجة عبد مناف بن قصي[1]، وهناك روايات تذكر أن إحدى النساء عرضت نفسها على عبد الله بن عبد المطلب والد الرسول ﷺ لكي يتزوجها لكنه رفض ذلك[2].

أما المصادر المتأخرة التي ذكرت أن ميسرة هو السفير في الزواج، فلا يمكن الاعتماد عليها، لأن هذا الأمر لم يرد في المصادر المتقدمة أولاً، كما أنه ليس من المعقول أن تكل هذا الأمر لأحد عبيدها، وربما جاء اسم ميسرة عند هؤلاء نتيجة استنتاج مما ذكرته الروايات من إخباره للسيدة خديجة عليها السلام بمميزات النبي ﷺ عند سفره معه في التجارة، فاعتبروه هو الذي وفق بين الطرفين.

والنقطة الأخيرة التي وردت في الروايات هي مسألة السكر، وقد اختلفت الروايات فيها فبعضها، قال: أنه كان في حالة سكر أي لم تسقه السيدة خديجة عليها السلام وهي روايات الزهري والليث بن سعد، والبعض الآخر، قال: أنها هي التي سقته وهي روايات خالد بن خداش وحماد بن سلمة والرواية الثانية عن الواقدي، والرواية التي وردت عن عمار بن ياسر(رض)، ولم تذكر رواية هشام بن عروة وابن إسحاق وابن الكلبي وبرواية الواقدي الأولى هذه المسألة.

ونجد فيما قدمناه من روايات أن مسألة الخمر عليها إصرار في

---

(١) ابن حبيب، المحبر، ص ٣٩٨ ـ ٣٩٩.

(٢) ذكر الزهري إنها امرأة من قبيلة خثعم، ينظر أبو نعيم، دلائل النبوة، ١/ ١٦٣ . وذكر ابن إسحاق إنها أم قتال أخت ورقة بن نوفل، السير والمغازي، ص٤٢ . وذكر الواقد إنها قتيلة بنت نوفل أو فاطمة بنت مر الخثعمية، ينظر ابن سعد، الطبقات، ١/ ٩٥ ـ ٩٦.

هذه الروايات فقسم منها نسبها إلى أبيها والقسم الآخر إلى عمها، حتى يتراءى للباحث أن هذه المسألة صحيحة لكثرة من ذكرها، لكن في نفسه الوقت هذا الإصرار يجعلنا نشك في الأمر ونرى من خلاله يد الوضع والقصد في توجيه الإتهام للرسول ﷺ وزوجته الطاهرة. وسوف نناقش هذه المسألة من كل الوجوه حتى نتبين الحق فيها، وهذا النقاش ليس خروجاً عن الموضوعية كما قد يبدو للبعض في أننا نأخذ من الروايات ما يلائم ميولنا وأهواءنا ونترك ما يتعارض معها.

لكننا نتساءل هل الإساءة إلى السيدة خديجة عليها السلام هي ضمن نطاق الموضوعية التي يتشدق فيها البعض؟ أم أن الروايات الضعيفة التي تمس الرموز البارزة في الإسلام تعد فتحاً عند هؤلاء؟.

إن هذه الروايات تتحدث عن أمور حدثت قبل الإسلام، وقد يرى البعض أنه لا بأس من حدوثها ما دام الشرع لم ينزل بعد، حيث أننا هنا نتحدث عن امرأة تاجرة تريد الزواج بشاب في الخامسة.والعشرين من عمره يعمل في تجارتها وليس أكثر من ذلك.

نحن أيضاً نناقش المسألة من هذا الباب ولا نشذ أو نخرج عنه وليس قصدنا المبالغة، لكن هناك الكثير من الأمور يمكن أن يعرف حسنها وقبحها بالعقل قبل أن ينزل أي شرع، فالكثير من المتعبدين أحسوا بوجود الله بعقولهم دون أن ينزل عليهم دين يعرفهم بوجوده فاختاروا الجميل وتركوا القبيح تبعاً للصفات الذاتية التي يحملها كل من العنصرين، ورغم أن المجتمع القرشي قبل الإسلام فيه الكثير من ضروب التحلل والفساد، لكن هذا لا يعني أنه كان خالياً من كل فضيلة وإلا لما خرج منه الرسول ﷺ ينادي بالإصلاح واتبعه عدد كبير من القرشيين الذين كرهوا ما عليه مجتمعهم من انغماس في الرذيلة،

وتحملوا أصنافاً من العذاب والمقاطعة والنبذ والطرد من أجل جنة موعودة لم يروها إلا في إيمانهم بوجودها.

والروايات التي ذكرت هذه المسألة تدلل على ما قدمناه فالسيدة تقول لأبيها أو عمها «أما تستحي تريد أن تسفه نفسك عند قريش تقول بأنك كنت سكراناً من الخمر»[1]. وذكرت الروايات أسماء مجموعة من قريش وغيرها حرمت الخمر على نفسها، وقال العباس بن مرداس السلمي: «لا أشرب شراباً أصبح سيد قومي وأمسي سفيههم»[2].

ولا يتوقف الأمر عند كبراء قريش وساداتهم في وجهة نظرهم بالخمر، وإنما يشتمل عامة العرب، ولدينا دليل لا يقبل الرد في هذا الشأن، فطرفة بن العبد واحد من شعراء المعلقات وهو ليس سيداً في قومه وكان يعاقر الخمر، ولذلك تحاشته عشيرته وأهله وأبعدوه عنهم كمثل ما يفعل بالبعير الأجرب، ويظهر من نص المعلقة أن الذين يتعاطون الخمر، كانوا فئة قليلة منبوذة، يقول:

وما زال تشرابي الخمور ولذتي ... وبيعي وإنفاقي طريفي ومتلدي
إلى أن تحامتني العشيرة كلها ... وأفردت أفراد البعير المبعد
ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى ... وإن أشهد اللذات هل أنت مخلدي
فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي ... فدعني أبادرها بما ملكت يدي[3]

---

(١) ابن بكار، منتخب، ص٣٩ . الذهبي، تاريخ الإسلام، ١/ ١٤٢ . المقريزي، إمتاع الأسماع، ١/ ١١.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص٢٣٧ . أبو علي القالي، الأمالي، ١/ ٢٠٥.

(٣) الزوزني، عبد الله بن محمد، شرح المعلقات السبع، مكتبة النقاء، بغداد د.ت. ص٨٦ ـ ٨٧ . الصعيدي عبد المتعال، دواوين الشعراء الستة الجاهليين ط٤، مطبعة الفجالة، القاهرة، ١٩٦٨، ص١٤٦.

إذن فما هي الأسباب التي تدفع السيدة خديجة عليها السلام إلى القيام بهذا العمل؟، وهل من المعقول أن يكون أبوها أو عمها مخموراً غائباً عن الوعي؟، وحال العرب فيما يخص شارب الخمر كما عرفت؟.

إن هذا الموقف الذي نسبته الروايات للسيدة خديجة عليها السلام لا يتفق ومكانتها وما تمتعت به من استقلال في شؤونها الأمر الذي جعلها تمارس العمل التجاري بنفسها فأين كان أبوها أو عمها من هذا العمل؟. لقد تمتعت بنوع من الحرية ضمن إطار التقاليد الإجتماعية الموجودة في مكة، وتبعاً لذلك فهي في غنى على القيام بمثل هذا العمل، لأنها مستقلة بإدارة شؤونها مما نستبعد معه تدخل عائلتها في شؤونها[1].

أما موقف أبيها أو عمها وشربه الخمر فهو أكثر غرابة فكيف يعقد رجل من أشراف العرب وكبير بني أسد عقد زواج وهو سكران مع ما عرف عنه من زعامة ومكانة في قريش.

ولو بحثنا في الأسباب التي دفعت السيدة خديجة عليها السلام للقيام بهذه الخطوة، ففي رواية الزهري لم يذكر السبب، لكن الذي يبدو منها أنه بسبب مكانة محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفي رواية الليث بن سعد بسبب مكانته في قريش وقلة ماله، وفي رواية حماد بن سلمة أنه لا يريد أن يزوج يتيم أبي طالب وفي الرواية التي وردت عن عمار بن ياسر(رض) لا يعرف سبب سقايته الخمر، لكنه اعترض أنه لا يعرف محمداً! وفي رواية الواقدي الثانية لم يذكر السبب أيضاً لكن اعتراضه أنها خطبها أكابر قريش فلم يفعل فكيف يرضى بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) علي، تاريخ العرب في الإسلام، ص١١٤.

إن هذه الأسباب التي قدمتها الروايات تتلخص في أن الاعتراض كان بسبب قلة مال رسول الله ﷺ ومكانته في قريش، فأضافت ألواناً من التزييف ليتزوج الرسول ﷺ، فنسبت لجوء السيدة خديجة عليها السلام إلى الخداع ليتم هذا الزواج، وقد أشارت رواية خالد بن خداش إلى ذلك مباشرة «وإنهم تواطؤوا إلى أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن أبا خديجة سقي من الخمر حتى أخذت منه»[1].

وعلق أحد الباحثين على هذه الروايات بالقول: «وهناك رواية تروى عن كيفية استحصال خديجة على موافقة أبيها خويلد الذي كان يرفض دون ما رحمة كل الطامعين، أما لأنهم ليسوا من ناحية الشرف أكفاء، وأما لأن ثرائهم أقل مما ينبغي لهذا استعملت ابنته طريقة التحايل الآتية..»[2]. وذكر الرواية التي تذكر سقي أبيها الخمر.

أما المستشرقون فقد أعطتهم هذه الروايات الفرصة لكي يكيلوا التهم للرسول ﷺ وزوجته الطاهرة، فقال دور منغم: «ولم يتم لخديجة ما عزمت عليه بغير مقاومة فلم يرق أسرتها أن تراها وهي غنية حليفة لبني مخزوم أن تتزوج يتيماً فقيراً غامض الأمر دون بني مخزوم قدراً»[3].

أما بودلي فقال: «لو أن محمداً كان من علية القوم الأربعمائة ولو أنه كان من أعضاء الندوة الأثرياء أو أحد بني المطلب الذين عاشوا حول

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ١/ ١٣٢.

(٢) جاسم، عزيز السيد، محمد الحقيقة العظمى، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧، ص٥٥.

(٣) حياة محمد، ص٤٣.

الكعبة.. بل كان نقيض ذلك»[1]. ثم يضيف إلى ذلك الطريقة التي أقنعت السيدة خديجة عليها السلام عمها بالأمر «وقامت خديجة في نفس الوقت تمسح رأس عمها بالزعفران والعنبر ودوت في أركان بيت خديجة أصوات التهليل وصار زواج محمد من خديجة أمراً واقعاً، وما كانت خديجة بالمندفعة في هذه الفرصة السانحة فقد كانت تعلم فعل الخمر في النفوس، وحين كان كل يربت على كتف صاحبه ويتقارعون الكؤوس ويتفاخرون، جاء من يكتب العقد وفي هذا الجو الذي يغلب عليه الصفاء اتفق على الصداق وتم عقد القران وانتهى الأمر، وصار محمد يعد بعلا لخديجة بحسب شريعة مكة»[2].

إن الباحث الذي قدمنا رأيه في البداية رأينا الكثير مثله ممن كتب بهذه الصورة، ورغم أنه ألف كتاباً عن شخصية النبي صلى الله عليه وآله، لكنه لم يستطع التمييز بين الضعيف من الروايات وبين الموثوق منها، وحمل هذه الروايات على محمل الصحة دون أن يناقشها بل بالعكس، حاول أن يضيف لها ويعلق عليها حتى يبرز قدرته في الكتابة، ولو كان على حساب الإساءة للسيدة خديجة عليها السلام.

أما آراء المستشرقين فنحن لا نعجب منها، لأن الروايات المتقدمة سوغتها وأعطتها المبرر فاعتقدوا أن الرسول صلى الله عليه وآله من عائلة مغمورة في مكة، وهو شخص نكرة وتصوروا حياة الرذيلة التي كان يمارسها البعض هي حالة عامة في هذا المجتمع، فحكموا عليها بقياسات مجتمعهم.

وهذه الآراء والروايات يجب أن يكون الرد عليها بدراسة مكانة

---

(١) الرسول، ص٤٦.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٥.

الرسول ﷺ، لكن هذا الأمر يخرجنا عن موضوعنا الأصلي، فنكتفي بالقول أن بني هاشم كانوا في الذروة من قريش نسباً وشرفاً وهم واسطة العقد من قريش، وإذا قرأنا ما حفظه التاريخ وكتب السير من أخبارهم وأقوالهم وهو قليل من كثير جداً، دلنا ذلك على ما كان يتميز به هؤلاء من مشاعر الإنسانية الكريمة، والاعتدال في كل شيء ورجاحة العقل وقوة الإيمان بما للبيت من مكانة عند الله والبعد عن الظلم والوقوف مع الحق وعلو الهمة والعطف على الضعيف والمظلوم والسخاء والشجاعة[1].

فإذا كان الاعتراض على فقر الرسول ﷺ وقلة ماله، لأن رجال قريش كانوا أغنياء جداً وقد تقدموا لخطبة السيدة خديجة عليها السلام لوجدنا إن هذا السبب غير مقبول، حيث أن أموال هؤلاء جاءت عن طريق التجارة، ونحن بدورنا نتساءل ما الذي جعل القريشين يقومون بهذه التجارة وتتراكم لديهم الأموال فتطول أعناقهم ويصبح هذا المال سبباً لتفاخرهم؟، نجد أن هذا الكيان الاقتصادي أنشأه هاشم جد الرسول ﷺ بواسطة الإيلاف فانعش حياتهم وفرج عنهم ما كانوا فيه من الضيق.

وفضلاً عما تقدم فإن بني هاشم صاهروا بني أسد مرتين، فقد تزوج أسد بن عبد العزى خالدة بنت هاشم بنت عبد مناف وتزوج العوام بن خويلد صفية بن عبد المطلب[2]، فكيف يعترض بنو أسد على

---

(١) الندوي، أبو حسن علي الحسني، السيرة النبوية، ط١، دار الشروق. القاهرة، ١٩٧٧، ص٥٠ ـ ٥١.

(٢) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص٦٨ . مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٠٧، ٢٣٦.

مصاهرة بني هاشم.

وخلاصة ما تقدم أن زواج رسول الله ﷺ تم بصورة طبيعية جداً، حيث أن العمل قرب بينهما، فقادها تفكيرها السليم إلى أن أصبحت رائدة من رواد تقرير حق المرأة كاملاً في اختيار شريك حياتها، فتقدمت وطلبت من الرسول ﷺ أن يتزوجها فوافق على هذا العرض وتم الزواج، ولا نستبعد أن الرسول ﷺ كان يفكر فيها ويرغب في هذا الأمر لكنها سبقته إلى الطلب.

مراسيم الزواج

إن مراسيم هذا الزواج تمت على وفق القوانين والأعراف السائدة في مجتمع مكة، حيث أن الزواج الذي كان عندهم يشبه الزواج الذي أقره الإسلام، وقد عددت المصادر أنواع متعددة من الزواج، ففي رواية عن الزهري عن عروة عن عائشة أن النكاح كان أربعة أنواع: «نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها، ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع، ونكاح آخر يجتمع رهط ما دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليالي بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها وتقول لهم قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها ولا يستطيع أن يمتنع به، والنكاح الرابع يجتمع الناس الكثير، فيدخلون على المرأة لا تمتنع عمن

جاءها وهن البغايا وكن ينصبن على أبوابهم رايات تكون علماً، فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم القافة ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاط به ودعى ابنه لا يمتنع من ذلك، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالحق هدم نكاح الجاهلية لا نكاح الإسلام»[1].

ويعد الصداق شرطاً من شروط صحة الزواج وهو عادة يعني العوض الذي يدفعه الرجل لزوجته، أما المهر فهو عوض يدفع في الأصل إلى أهل المرأة[2]، وقد ينفق منه على شراء بعض الحاجيات التي تأخذها إلى بيت زوجها، لكن الغالب في الأمر أن وليها يأخذه لنفسه[3]، وهذا الأمر يعزز ما ذكرناه في أن والد السيدة خديجة عليها السلام كان متوفي عند زواجها من الرسول ﷺ، لأنه لو كان حياً لكان هناك مهر يدفع لأهلها، لكن لم يكن عندها أحد يدفع له سوى عمها الذي كان حضوره شكلياً حتى يلائم الأعراف الاجتماعية السائدة عند العرب قبل الإسلام، أما الصداق فكان للمرأة لذلك دفعه الرسول ﷺ للسيدة خديجة عليها السلام، وذكرت الروايات أنه أصدقها اثنتي عشر أوقية ونشاً ـ كما ذكرنا ـ لكن هناك روايات أخرى ذكرت أنه أصدقها عشرين بكره[4]، وفي الخطبة التي خطبها أبو طالب عند

---

(١) البخاري، الصحيح، ٧/ ١٩ ـ ٢٠ . باب النكاح.

(٢) لحوفي، محمد أحمد، المرأة في الشعر الجاهلي، القاهرة، ١٩٦٣، ص١٩٠.

(٣) علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٥/ ٥٣١.

(٤) المقدسي، البدء والتاريخ، ٤/ ١٣٨ . ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/ ٢٩٤ . الحلبي، السيرة الحلبية، ١/ ١٥٣.

الزواج قال: «وما أحببتم عن الصداق فعلي»[1]، وهذا يعني أنه كان كافلاً لرسول الله ﷺ في دفعه للصداق، وذلك للأهمية الإجتماعية وليست المادية حيث أن مثل هذه الأمور يهتم بها المجتمع ويقيم عليها أموراً كثيرة، وخصوصاً أن الصداق كان شرطاً أساسياً في صحة الزواج لذلك كان الصداق كبيراً.

والشيء الآخر الذي ذكرته الروايات هو الوليمة التي أولمها الرسول ﷺ، حيث ذكرت أنه نحر شاة أو بعيراً في حين ذكر بعضها أنه أولم بقرة[2]، ودعى مجموعة من القريشين فأطعمهم من تلك الوليمة. ويبدو أنها كانت في بيت السيدة خديجة عليها السلام وربما كان هذا الأمر من العادات الاجتماعية التي كانت سائدة في مجتمع مكة.

وأوردت بعض المصادر رواية عن وليمة الزواج «لما تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم خديجة ذهب ليخرج، فقالت له خديجة: إلى أين يا محمد؟ إذهب فانحر جزوراً أو جزرين وأطعم الناس، ففعل رسول الله ﷺ وهي أول وليمة أولمها رسول الله ﷺ[3].

وفي رواية أن السيدة خديجة عليها السلام «أمرت جواريها أن يرقصن ويضربن الدفوف، وقالت: يا محمد، مر عمك أبا طالب بنحر بكرة من أبكارك واطعم الناس على الباب وهلم فقل مع أهلك، فاطعم الناس

---

(١) المبرد، الكامل، ٤/ ٤ . اليعقوبي، تاريخ، ٢/ ١٦ . ابن الجوزي، صفة الصفوية، ١/ ٧٤.

(٢) ينظر الصفحات، من ٩٢ إلى ٩٥.

(٣) الطبري، السمط الثمين، ص١٧ . الديار بكري، تاريخ الخميس، ١/ ٢٦٥.

ودخل مع أهله خديجة فاقر الله عينه وفرح أبو طالب بذلك فرحاً شديداً، وقال الحمد لله الذي أذهب عنا الكرب ودفع الهموم»[1].

ورغم أننا نتفق مع هذه الرواية في إقامة الوليمة وما جاء فيها، لكننا لا نتفق معها في ضرب الدفوف والرقص وما إلى ذلك من أمور نسبت إلى السيدة خديجة عليها السلام، وهي أكرم وأسمى أن تنزل إلى هذا المستوى الضحل، كما أن الروايات لم تذكر أن لها جواري.

وبعد أن تمت مراسيم الزواج انتقل رسول الله صلى الله عليه وآله من بيت أبي طالب إلى بيت السيدة خديجة عليها السلام القريب من الكعبة[2]. حيث بيوت قريش حافة بها ويبدو إن انتقال الزوج إلى بيت الزوجة لم يكن حالة عامة في مكة، بل كان حالة خاصة اقترنت بالرسول صلى الله عليه وآله بحكم ظروفه الخاصة وسعة موارد السيدة خديجة عليها السلام الاقتصادية.

وهذا المنزل ليس غريباً عن الرسول صلى الله عليه وآله فقد استقبله عدة مرات وهو عائد إلى مكة من سفرته التجارية، لكن هذه المرة استقبله وهو بيته وبيت زوجته[3]، حيث تم زواجه من أولى نسائه ووضع أساس بيته الأول الذي تلقى فيه نفحات السماء وبركات ربه تبارك وتعالى، فعرف فيه الهدوء والاطمئنان بعد أن ماجت به تيارات الحياة.

وعاش النبي صلى الله عليه وآله خمسة عشر عاماً في بيت السيدة خديجة عليها السلام قبل أو يوحى إليه، عيشة راضية هانئة هيأتها له زوجته فكانت له نعم

---

(١) الديار بكري تاريخ الخميس، ١/ ٢٦٥ . المكي، سمط النجوم، ١/ ٣٦٧.

(٢) عن منزل السيدة (ع) ينظر الأرزقي، أخبار مكة، ٢/ ١٩٩ . الطبري، تاريخ، ٢٠/ ٢٨ . الفاسي، شفا الغرام، ١/ ٢٧٢.

(٣) بنت الشاطئ عائشة عبد الرحمن، بنات النبي، دار الهلال، ١٩٦٣، ص٤٧ .

الزوج البرة والأخت والأم[1] والصدر الحنون الذي وضع محمد ﷺ رأسه عليه، فكانت الرابطة التي ربطها روحية أكثر منها مادية جعلته لا يفكر في أي من بنات حواء سواها، وظل الحب الوحيد له طوال بقاءها معه حتى توفيت وتركته وحيداً، فأصبحا في حياتهما شخصاً واحداً[2]. فلم ترهقه بما عرف عن النساء من ثرثرة فتركته لتأملاته وخلواته الروحية[3]، وهي بذلك أصبحت عنواناً للنساء ومصدر فخر لهن فانفردت من بين نسائه بأنها عاشت معه رجلاً قبل أن يكون رسولاً.

---

(١) قطب، محمد علي، خديجة بنت خويلد (رض) ط١، دار القلم، بيروت، ١٩٨٨ . ص٣٤ ـ ٣٥.

(٢) راضي،علي عبد الخليل، حياة محمد الروحية، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٤، ص٢٧٥ ـ ٢٧٦.

(٣) بودلي، الرسول، ص٤٧.

الفصل الخامس

أبناء رسول الله ﷺ منها

١ ـ القاسم
٢ ـ عبد الله
٣ ـ زينب
٤ ـ رقية
٥ ـ أم كلثوم
٦ ـ فاطمة

اتفقت الروايات على أن السيدة خديجة عليها السلام أنجبت جميع أبناء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، عدا إبراهيم الذي ولدته السيدة مارية القبطية (رض) ولم يلد له من أزواجه سواها، لكن الروايات اختلفت في عدد الأبناء الذكور وأسماءهم وولاداتهم ووفياتهم، كما اختلفوا في ولادة البنات وترتيب ولادتهن وتبعت هذه الاختلافات تناقضات كبيرة في الروايات وظهرت آراء لا يمكن قبولها وسنحاول عرض هذه الروايات ومناقشتها وتحليلها وإعطاء أجوبة وافية عنها:

١ ـ رواية قتادة بن دعامة: «ولدت له غلامين وأربع بنات القاسم وبه كان يكنى وعاش حتى مشى وعبد الله مات صغيراً ومن النساء فاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم»[١].

٢ ـ رواية الزهري: «ولدت خديجة فاطمة وزينب وأم كلثوم ورقية والقاسم والطاهر وكانت زينب أكبر بناته»[٢]، وفي رواية

---

(١) المقدسي، البدء والتاريخ، ١٦/٥ . ابن عبد البر، الإستيعاب، ١٨١٨/٤.

(٢) ابن عبد البر، الإستيعاب، ١٨١٨/٤.

عنه أيضاً: «فلبث رسول الله ﷺ مع خديجة حتى ولدت له بعض بناته وكان لها وله القاسم»[1].

٣ ـ رواية ابن إسحق: «ولدت لرسول الله ﷺ ولده كلهم إلا إبراهيم، القاسم وبه كان يكنى والطاهر والطيب وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة عليها السلام، فأما القاسم والطاهر والطيب فهلكوا في الجاهلية وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن معه ﷺ»[2].

٤ ـ رواية هشام بن محمد الكلبي بسنده عن ابن عباس: «كان أول من ولد لرسول الله ﷺ بمكة قبل النبوة القاسم وبه كان يكنى ثم ولد له زينب ثم رقية ثم فاطمة ثم أم كلثوم ثم ولد له في الإسلام عبد الله فسمي الطيب والطاهر»[3].

٥ ـ رواية الواقدي بسنده عن نفيسة بنت منية: «ولدت له القاسم وعبد الله وهو الطاهر والطيب، سمي كذلك لأنه ولد في الإسلام وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة وكانت سلمى

---

(١) الصنعاني، المصنف، ٥/ ٣٢١ . ابن بكار، المنتخب، ص٣٨ . البيهقي، دلائل النبوة، ١/ ٩٢.

(٢) ابن إسحق، السير والمغازي، ١/ ١٧٤ . الطبري، تاريخ، ٢/ ٢٨١ . ابن الأثير، الكامل، ٢/ ٤٠ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢/ ٢٨٩ . الكلاعي، الإكتفاء، ١/ ١٩٩ . الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/ ٨٤ . ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/ ٢٩٤.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ١/ ١٣٣ . ابن الجوزي، الوفاء، ١/ ١٥٥ . النويري، نهاية الأرب، ١٨/ ٢١٨ . ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/ ٢٩٤ . ابن بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ١/ ٢٩٣.

مولاة عقبة تقبلها، وكان بين كل ولدين سنة»[1].

٦ ـ رواية مصعب بن عبد الله الزبيري والزبير بن بكار: «ولد له القاسم وهو أكبر ولده، ثم زينب ثم عبد الله، وكان يقال له الطيب ويقال له الطاهر ولد له بعد النبوة، ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية هكذا الأول فالأول ثم مات القاسم بمكة وهو أول ميت مات من ولده ثم عبد الله»[2].

يبدو من خلال هذه الروايات أنها اتفقت في مسائل واختلفت في أخرى:

١ ـ ذهبت هذه الروايات على أنها ولدت له ولدين هما القاسم وعبد الله وهو الطيب والطاهر، عدا رواية الزهري حيث لم يذكر عبد الله بل ذكر الطاهر ولعله نفس عبد الله، ورواية ابن إسحق الذي ذكر ثلاثة أبناء القاسم والطاهر والطيب.

٢ ـ اتفقت هذه الروايات على أن عبد الله الذي سمي الطاهر والطيب ولد في الإسلام عدا روايتي الزهري وابن إسحق.

٣ ـ اتفقت هذه الروايات على أنها ولدت له أربع بنات هن زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة عليهن السلام.

٤ ـ اختلفت هذه الروايات في ترتيب أبنائه وبناته وسني ولادتهن.

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ٨/١٦.

(٢) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢١ . ابن عبد البر، الإستيعاب، ٤/١٨١٩ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢/٢٨٨ ـ ٢٨٩.

وهذه الروايات التي قدمناها هي مجمل ما حصلنا عليه من روايات، لكن هناك روايات أخرى وردت عن بعض الرواة لا يمكن أن نحصرها في ما قدمناه لذلك ارتأينا أن نقسم بحثنا في أبناء الرسول ﷺ وبناته على أساس مناقشة الروايات التي وردت عن كل منهم على انفراد حتى تسهل علينا عملية البحث.

القاسم بن رسول الله«ص»

لم يشذ أحد من الرواة في أنه ولد له ﷺ ابن اسمه القاسم، لكنهم اختلفوا في ولادته ووفاته على أن هذه الاختلافات يسيرة إذا ما قورنت ببقية أبنائه، وذهبت بعض الروايات إلى أن القاسم أكبر ولده من الذكور والإناث[1]، وذهبت روايات أخرى إلى أنه ولد بعد زينب[2]، وهناك روايات تذكر أنه ولد في الإسلام استناداً على أحاديث وردت في هذا الشأن وروايات تدل على ولادته في الإسلام.

فقد روي عن الإمام الحسين بن علي عليه السلام أنه قال: «عندما توفي القاسم قالت خديجة: يا رسول الله درت لبينة القاسم فلو كان الله أبقاه حتى يستكمل رضاعه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن شئت دعوت الله تعالى فأسمعك صوته قالت: يا رسول

---

(١) ابن هشام، السيرة ٢/ ١٧٥ . مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢١ . ابن قتيبة، المعارف، ص١٤١ . ابن حزم، جوامع السيرة، ص٣٨ . ابن عبد البر، الإستيعاب، ٤/ ١٨١٩ . ابن الجوزي، الوفا، ١/ ٦٥٥ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢/ ٢٨٨ . النويري، نهاية الأرب، ١٨/ ٢٠٨ . ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/ ٢٩٤.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص٥٢ ـ ٥٣ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢/ ٢٨٩ . ابن بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ١/ ٢٩٤.

الله بل أصدق الله ورسوله»[1].

وفي رواية «توفي القاسم ابن رسول الله ﷺ، فقال وهو في جنازته ونظر إلى جبل من جبال مكة، يا جبل لو كان ما بي بك لهدك، وكان القاسم يوم توفي ابن أربع سنين ثم توفي عبد الله ابن رسول الله ﷺ بعده بشهر ولم يفطم، فقالت خديجة: يا رسول الله ﷺ لو بقي حتى أفطمه، قال: فأن فطامه في الجنة، وسألت خديجة رسول الله: أين أولادي منك، قال: في الجنة، قالت: بغير عمل، قال: الله أعلم بما كانوا عاملين»[2].

وروي عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه قال: «دخل رسول الله ﷺ على خديجة حين مات القاسم ابنها وهي تبكي، فقال لها: ما يبكيك؟، فقالت: درة دريرة فبكيت، فقال: ياخديجة أما ترضين اذا كان يوم القيامه ان تجيئي الى باب الجنة وهو قائم فياخذ بيدك فيدخلك الجنة وينزلك أفضلها وذلك لكل مؤمن، إن الله عز وجل أحكم وأعدل من أن يسلب ثمرة فؤاده ثم يعذبه بعدها»[3].

وهذه الأحاديث دليل على ولادته في الإسلام ويعزز ذلك الروايات التي وردت في نزول سورة الكوثر، ففي رواية عن محمد بن الحسن بن زبالة، عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عليه السلام قال:

---

(١) ابن ماجة، محمد بن يزيد (ت٢٧٥هـ)، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ١٩٥٢، ١/ ٤٨٤ . السهيلي، الروض الأنف، ١/ ٢١٤ ـ ٢١٥ . الكلاعي، الإكتفاء، ١/ ٢٠٠.

(٢) أبو عبيدة، أزواج النبي، ص٢٢ . اليعقوبي، تاريخ، ٢/ ٢٦ . ابن حنبل المسند، ١/ ١٣٤ ـ ١٣٥.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ١٦/ ١٠.

توفي القاسم ابن رسول الله ﷺ بمكة، فمر رسول الله ﷺ وهو آت من جنازته على العاص بن وائل السهمي وابنه عمرو، فقال عمرو حين رأى رسول الله ﷺ: إن لأشنؤه، فقال العاص: لأي جرم لقد أصبح أبتر، فأنزل الله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[1].

وفي رواية هشام بن محمد الكلبي بسنده عن ابن عباس «فكان أول من مات من ولده القاسم ثم مات عبد الله فقال العاص بن وائل السهمي: قد انقطع ولده فهو أبتر، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾»[2].

لكن كثرة الروايات التي وردت في أنه أكبر أبناء الرسول ﷺ أو أنه ولد بعد إحدى بناته تناقض ما تقدم، وهذا الأمر يجعل من الصعب ترجيح أي من الرأيين لاحتمال صحة أحدهما.

وربما كان السبب الذي جعل الرواة يختلفون في ولادته وترتيبه من بين أبناء الرسول ﷺ، إن معظم الروايات ذكرت أن عمر السيدة خديجة عليها السلام كان أربعين عاماً عند زواجها من الرسول ﷺ، ومن المحتمل أن يكون قد ولد وعمر السيدة خديجة عليها السلام أربعون عاماً، وكما ذكرنا أن عمرها عند الزواج كان ثمان وعشرين عاماً، فالتبس عليهم الأمر، فظنوا أنه أول أولادها خصوصاً إذا أضفنا إلى ذلك الروايات التي ذكرت أن عمر القاسم عليه السلام كان أربع سنين أو أكثر من

---

(١) ابن إسحق، السير والمغازي، ص٢٤٥ . ابن بكار، منتخب، ص٤٤ ـ ٤٥ . العسكري، الأوائل، ص٩٢ ـ ٩٣ . ابن الأثير، أسد الغابة، ٤/ ٣٧٧.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ١/ ١٣٣ . السيوطي، الدر المنثور، نشر محمد أمين، بيروت د.ت ٦/ ٤٠٤.

ذلك عند وفاته ـ كما سيأتي ـ فتكون وفاته في البعثة.

وتبعاً للإختلاف في ولادته نشأ اختلاف في وفاته، وقد قدمنا الروايات التي ذكرت ذلك، أما مقدار عمره فقد ذهبت الكثير من الروايات أنه مات قبل أن يكمل رضاعه أي قبل أن يبلغ عامين من عمره[1].

وفي بعض الروايات أنه مات بعد ليال من ولادته، لكن هناك روايات تذكر أنه بلغ أربع سنين أو بلغ يركب الدابة والنجيبة[2].

عبد الله ابن رسول الله«ص»

ذكرت الروايات إبناً آخر لرسول الله ﷺ وهو عبد الله، وقد اختلف الرواة في اسمه هل هو عبد الله أو الطيب أو الطاهر، أو أن هذه الأسماء الثلاثة لولد واحد أو لاثنين ثم اختلفوا في وفاته، لكن بالرغم من هذه الاختلافات فإن أغلب الرواة ذهبوا إلى أنه ولد بعد البعثة ويعزز هذا الرأي نزول سورة الكوثر بعد قول العاص بن وائل السهمي لرسول الله ﷺ أنه أصبح أبتر، ففي رواية «أن العاص بن وائل السهمي وقف مع النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه، فقال له جمع من صناديد قريش: مع من كنت واقفاً، فقال: مع الأبتر، وكان قد توفي قبل ذلك عبد الله ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من خديجة، فأنزل الله جل شأنه ﴿إِنَّ

---

(١) أبو عبيدة، أزواج النبي، ص٢١ . البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٣٩٦ . المقدسي، البدء والتاريخ، ٥/ ١٦. ابن عبد البر، الإستيعاب، ٤/ ١٨١٨ . ابن الجوزي، صفة الصفوة، ١/ ١٤٧ . الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/ ٨٤ . ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/ ٢٩٤ . ابن بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ١/ ٣٠٣.

(٢) ابن إسحق، السير والمغازي، ص٢٤٥ . ابن الأثير، أسد الغابة، ٤/ ٣٧٨ . العامري، بهجة المحافل، ٢/ ١٣٧.

شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣] أي المقطوع ذكره من خير الدنيا والآخرة»[١].

وذكر بعض الرواة أن السيدة خديجة عليها السلام ولدت له بعد القاسم ولداً إسمه عبد الله فسمي الطاهر والطيب لولادته في الإسلام، وجاء ذلك عن طريق هشام بن محمد الكلبي[٢]، والواقدي[٣]، ومصعب الزبيري[٤]، والزبير بن بكار[٥]، بينما ذهب ابن إسحق إلى أنها ولدت له بعد الإسلام ابنين اثنين هما الطيب والطاهر[٦].

وجاء في رواية عن مصعب الزبيري أوردها عنه الزبير بن بكار «إن

---

(١) أوردت المصادر التي سنذكرها هذه الرواية بصيغ مختلفة لكنها تدل على نفس المعنى، ينظر، ابن سعد، الطبقات، ٣/ ٧ . ابن بكار، منتخب، ص٤٥ . البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٤٠٥ . الطبري، تفسير، ٣٠/ ٣٢٩ . العسكري، الأوائل، ص٩٣ . الواحدي، أبي الحسن علي بن أحمد النيسابوري (ت٤٦٨هـ) أسباب النزول القاهرة ١٩٦٨، ص٣٠٧ . ابن الجوزي، الوفا، ١/ ٦٥٦ . ابن الأثير، أسد الغابة، ٤/ ٣٧٨ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢/ ٢٨٨ . القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد، (ت٦٧١هـ) الجامع لأحكام القرآن، القاهرة، ١٩٥٠، ٢٠/ ٢٢٠ . ابن حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، (ت٧٤٩هـ) تفسير البحر المحيط ط٢ دار الفكر، بغداد، ١٩٧٨ . ٨/ ٥١٩ ـ ٥٢٠ . ابن كثير، تفسير القرآن العظيم دار إحياء الكتب العربية، مصر، د.ت. ٤/ ٥٥٩ . السيوطي، الدر المنثور، ٦/ ٤٠٤.

(٢) ابن الكلبي، جمهرة النسب، ص٣٠ . ابن سعد، الطبقات، ١/ ١٣٤ . ابن عبد البر، الإستيعاب، ٤/ ١٤١٩ . ابن عساكر، تاريخ، ٣/ ١٢٥. ابن الجوزي، الوفا، ١/ ٦٥٥.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ١٦.

(٤) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢١ . ابن عبد البر، الإستيعاب، ٤/ ١٨١٩.

(٥) ابن عبد البر، الإستيعاب، ٤/ ١٨١٩ . ابن عسارك، تاريخ، ٣/ ١٩١ . السهيلي، الروض الأنف، ١/ ٢١٥ . الكلاعي، الإكتفاء، ١/ ١٩٩ . ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/ ٢٩٥ . ابن حجر، الإصابة، ٢/ ٢٣٧.

(٦) ابن إسحق، السير والمغازي، ص٢٤٥.

الزبير بن العوام كنته امه ـ صفية بنت عبد المطلب ـ أبا الطاهر باسم ابن أخيها الطاهر وبه كان يكنى ـ أي الزبير بن عبد المطلب ـ أخوها وكان ابنه من أظرف العميان بمكة وبه سمي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه والطاهر بن الزبير ولد في الشعب وإن ابني سمي الطاهر على اسمه»[1].

يبدو واضحاً من هذه الروايات أن الإبن الآخر للرسولﷺ ولد في الإسلام، ولم يشذ عن ذلك سوى ابن إسحق، الذي قال إنه أنجبت اثنين بعد القاسم ماتا قبل الإسلام، وهذا الرأي غير مقبول، لأنه يتناقض مع الإجمال حول نزول سورة الكوثر، ونستطيع أن نوفق بين هذه الروايات في أنها ولدت اثنين هما عبد الله والطاهر، أما عبد الله فقد سمي الطيب لولادته في الإسلام، والطاهر ولد الشعب، وهذا الرأي أقرب إلى جميع الروايات.

وقد أوردت بعض المصادر رواية عن هشام بن عروة نصها «أنه كان له ولد اسمه عبد العزى قبل النبوة»[2]. وأورد ابن عساكر عن هشام بن عروة أنه قال: «للنبي صلى الله عليه وسلم ابنان الطاهر والطيب وكان يسمى أحدهما عبد شمس والآخر عبد العزى»[3]، وفي رواية عن هشام بن عروة «ولدت خديجة للنبيﷺ عبد العزى وعبد مناف والقاسم،

---

(١) الصنعاني، المصنف، ٥/ ٣٢١ . ابن عبد البر، الإستيعاب، ٤/ ١٨١٨ . ابن أبي الحديد، شرح النهج، ١٥/ ٢٢٢ . ابن حجر، الإصابة، ٢/ ٢٣٧.

(٢) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٦، جوامع السيرة، ص٣٨ . الصفدي، صلاح الدين بن أيبك، (ت٧٦٤هـ) الوافي بالوفيات، دار نشر فرانز شايز، فيسبادن، ١٩٦٢، ص٨١ . الفاسي، العقد الثمين، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٨، ١/ ٢٧.

(٣) ابن عساكر، تاريخ، ٣/ ٢٩ .

قلت ـ أي ابن إسحق ـ لهشام: فأين الطاهر والطيب، فقال: هذا ما وضعتم أنتم يا أهل العراق، فأما أشياخنا فيقولون عبد العزى وعبد مناف والقاسم»[1]. أوردت بعض المصادر رواية عن قتادة بن دعامة أن السيدة خديجة عليها السلام ولدت لرسول الله ﷺ «في الجاهلية عبد مناف وفي الإسلام غلامين وأربع نسوة»[2].

واستناداً إلى هذه الروايات ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى «ولدت في الجاهلية عبد مناف والطيب وهو عبد الله مات رضيعاً والطاهر، فذلك أربع بنات وأربع بنين والدليل على ذلك أن عبد مناف لو كان ولد في الإسلام لم يسميه عبد مناف»[3].

إن هذه الروايات الهزيلة لا نستطيع أن نؤيدها، فليس في سيرة النبي ﷺ كلها ما يدعم ذلك، وأبو عبيدة في رأيه ـ الذي قدمناه ـ يلوح إلى أن النبي ﷺ كان يؤمن بالأوثان والأصنام وهذا الأمر غير مقبول، لأنه ﷺ لم يكن يؤمن بالعزى ومناف حتى يجعل من أبناءه عبيداً لهما، فلم تذكر مرويات السيرة النبوية أنه كان يعتقد بما يعتقده قومه من التقرب إلى الأصنام والشرك، بل إن جميع الروايات إتفقت على أنه كان يستنكر ما كان عليه قومه من شرك وخروج عن دين إبراهيم الحنيف، فلم يشاركهم في شيء من هذا القبيل، وهذه العبادة التي أنف منها ذوو العقول البسيطة واستنكروها ليس من المعقول أن يعتقد بها المشرع الأول في الإسلام وحامل الرسالة ومن اختارته السماء ليكون بشيراً ونذيراً.

---

(١) الديار بكري، تاريخ الخميس، ١/ ٢٧٣.

(٢) المقدسي، البدء والتاريخ، ٥/ ١٦ . الطبراني، المعجم الكبير، ٢٢/ ٣٧١.

(٣) أزواج النبي، ص٢٢.

بنات النبي ﷺ

ذكرت الروايات أن السيدة خديجة عليها السلام أنجبت من الرسول ﷺ أربع بنات هن زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة عليهن السلام، وهذا الترتيب لم تتفق عليه جميع الروايات، لأن هناك اختلافات حول أكبر بنات الرسول ﷺ وأصغرهن، وغير ذلك من الاختلافات سوف نحاول أن نناقشها على وفق الطريقة التي اتبعناها في أبنائه، وذلك بأن نأخذ كل واحد منهن على انفراد.

زينب بنت رسول الله ﷺ

اختلفت الروايات في ترتيب بنات الرسول ﷺ فذكر بعضها أنها ولدت بعد القاسم، ومنهم من قال العكس، ومنهم من لم يجعلها أكبر بنات الرسول«ص»، ففي رواية عن ابن جريج أن زينب أكبر بنات النبي ﷺ[1]، وكذلك في رواية عن هشام بن محمد الكلبي أنها أكبر أبنائه الذكور والإناث[2]، لكن وردت عنه رواية أخرى بسنده عن ابن

---

(١) الطبراني، المعجم الكبير، ٢٢/ ٢٥٣ . ابن عساكر، تاريخ، ٣/ ١٤٩ . ابن حجر، الإصابة، ٤/ ٣٧٧.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص٥٢ ـ ٥٣ . ابن عبد البر، الإستيعاب، ٤/ ١٨١٩ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢/ ٢٨٩.

عباس أنها ولدت بعد القاسم[1]، وفي رواية عبد الملك بن هشام أن أكبر أبنائه القاسم ومن البنات رقية[2]، أما مصعب الزبيري والزبير بن بكار فقد ذكر أنها ولدت بعد القاسم[3].

وذكرت بعض الروايات أنها ولدت عندما بلغ عمر الرسول ﷺ ثلاثين عاماً[4]، وهذا ما أورده ابن عبد البر «لا أعلم خلافاً في أن زينب أكبر بناته واختلف في من بعدها، وذكر أبو العباس محمد بن إسحق السراج قال: سمعت عبد الله بن محمد الهاشمي قال: ولدت زينب بنت رسول الله ﷺ، ورسول الله ابن ثلاثين عاماً، وولدت رقية بنت رسول الله والرسول ابن ثلاث وثلاثين سنة»[5].

وأوردت بعض المصادر رواية عن الزهري أن السيدة خديجة عليها السلام ولدت للرسول ﷺ بعض بناته، ثم أخذ يتحنث وحبب إليه الخلاء[6]، وهذا يعزز الرواية التي ذكرت أنها ولدت في السنة

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ١/ ١٣٣ . ابن عساكر، تاريخ، ٣/ ١٢٥ . ابن الجوزي، الوفا، ١/ ٦٥٥. النويري، نهاية الأرب، ١٨/ ٢٨٠.

(٢) ابن هشام، السيرة، ٢/ ١٧٥ . المقدسي، البدء والتاريخ، ٤/ ١٣٩ . ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/ ٢٩٤ . الديار بكري، تاريخ الخميس، ١/ ٢٧٣.

(٣) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢١ . ابن عبد البر، الإستيعاب، ٤/ ١٨١٩ . ابن عساكر، تاريخ، ٣/ ١٣١ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢/ ٢٨٩ . ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/ ٢٩٤.

(٤) ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢/ ٢٨٩ . النويري، نهاية الأرب، ٨/ ٢١٢ . ابن حجر، الإصابة، ٤/ ٤٩٠ . الديار بكري، تاريخ الخميس، ١/ ٢٧٣.

(٥) الإستيعاب، ٤/ ١٨٣٩.

(٦) الصنعاني، المصنف، ٥/ ٣٢١ . ابن بكار، منتخب، ص٣٨ . البيهقي، دلائل النبوة، ١/ ٩٢.

الثلاثين من عمر النبيﷺ حسب ما سنأتي على بيانه من أن الرسولﷺ ابتدأ تعبده في فترة قريبة من هذه السنة.

والذي عليه أغلب الروايات أنها كانت أكبر بنات الرسولﷺ وقال ابن عبد البر في هذا الأمر: «وولده من خديجة أربع بنات لا خلاف في ذلك أكبرهن زينب بلا خلاف»[1]، وإذا اعتبرنا روايات ولادتها صحيحة ـ أي أنها ولدت في السنة الثلاثين من عمر النبيﷺ حيث ذكر الواقدي أن السيدة خديجةعليها السلام كانت تترك بين ولادة وأخرى سنة «بين كل ولدين سنة»[2]، وإذا أخذنا الروايات التي ذكرت أن القاسم أسن منها، فهذا يعني أنه ولد بعد أن مضى ثمان وعشرون عاماً من عمر الرسولﷺ.

ومهما يكن من أمر فالذي يمكن أن نستخلصه من الروايات أنها ولدت في السنتين الأولى من زواج النبيﷺ، ولم تذكر المصادر المتقدمة تحديد دقيق لولادتها، سوى ما ذكرته المصادر التي قدمناها، ونحن لا نملك إلا الأخذ بها، فربما اعتمد هؤلاء على مصادر متقدمة لم تقع بأيدينا، وعليه يكون عمرها عند البعثة النبوية الشريفة عشر سنوات.

تزوجت زينب من أبي العاص بن الربيع وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد[3]، وولدت منه بنتاً اسمها إمامة تزوجها الإمام عليعليه السلام بعد

---

(١) الإستيعاب، ١/ ٥٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ١٦ . ابن الجوزي، الوفا، ١/ ٦٥٦ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢/ ٢٨٩ . النويري، نهاية الأرب، ١٨/ ٢٠٨.

(٣) ابن هشام، السيرة، ٢/ ٢١٤ . ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٣٠ ـ ٣١ . مصعب الزبيري، نسب قريش، ص١٥٧ . ابن قتيبة، المعارف، ص٤١ . البلاذري، أنساب الأشراف،

وفات خالتها فاطمة الزهراء عليها السلام[1]، وذكرت روايات أخرى أن زينب ولدت لأبي العاص ابناً اسمه علي[2]، مات وهو صغير[3]، وفي رواية مصعب الزبيري «زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أردفه خلفه يوم فتح مكة»[4]، وإذا كان الأمر كذلك يكون عمره أكثر من عشرين سنة، لكن هذه الرواية لم نجدها عند أحد من الرواة غير مصعب، وفي رواية أنه استرضع في بني غاضرة[5]، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم وأبو العاص مازال على الشرك بمكة وقال: «من شاركني شيئاً فأنا أحق به منه»[6]، وفي رواية أنه توفي وقد ناهز الحلم[7].

وهذه الروايات إذا جمعناها مع الروايات السابقة نجد أنها ولدت

١/ ٣٦٧ . المقدسي، البدء والتاريخ، ٥/ ١٨ . ابن حزم، جمهرة، ص١٦ ـ ١٧ . جوامع، ص٣٩ . محب الدين الطبري، ذخائر العقبى، ص١٦٧ . ابن حجر، الإصابة، ٤/ ٣١٢.

(١) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٣١ . مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٢ . ابن بكار، منتخب، ص٤١ ـ ٤٢ . ابن حبيب، المحبر، ص٥٣ . ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٦ . النويري، نهاية الأرب، ١٨/ ٢١١.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٣١ . مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢١ . ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٦.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٣١.

(٤) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٢ . ابن حجر، الإصابة، ٢/ ٥١٠.

(٥) بنو غاضرة بطن من بطون قبيلة خزاعة التي كانت تتولى البيت قبل قريش، وكانت تقطن خارج مكة بعد أن انتزع قصي ولاية البيت منهم، ينظر ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ٢٣٧.

(٦) الطبراني، المعجم الكبير، ٢٢/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤ . ابن حجر الإصابة، ٢/ ٥١٠.

(٧) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٢ . أبو القاسم الكوفي، الإستغاثة، ص٧٨ . ابن حزم، جوامع السيرة، ص٣٦ . ابن الأثير، أسد الغابة، ٧/ ١٣٠ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢/ ٢٨٩ . ابن حجر الإصابة، ٢/ ٥١٠.

اثنين هما إمامة وعلي قبل البعثة مع العلم أن عمرها إلى البعثة عشرة أعوام، ومن الطبيعي أن يكون زواجها قبل هذا التاريخ بثلاث سنين على الأقل، أي في السنة السابعة من عمرها أو قبل ذلك، ونحن نتساءل هل من المعقول أن تتزوج وتلد وهي في مثل هذا السن؟

وليس من المعقول أنها تزوجت في الإسلام، لأن جميع الروايات ذكرت أنه لم يسلم وبقي على الشرك[1]، عندما أسلمت هي وفرق الإسلام بينهما[2]. وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى في هذا الأمر: «فلما أسلمت ولم يسلم منعه النبي صلى الله عليه وسلم منها ثم أسلم فتركها على نكاحها، فلو كانت ولدت بعد الوحي لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم ليزوجها كافراً، ولو كان النبي تزوج خديجة كما صور الكتاب ما بلغت زينب مبالغ النساء ولا التزويج في الجاهلية»[3].

ذكرت الروايات أن السيدة خديجة عليها السلام أعطت ابنتها زينب بيتاً لتتزوج فيه ويقع هذا البيت قرب جبل أجاد بمكة[4]، ولدت زينب أبناءها فيه.

وعندما جاء الإسلام أسلمت مع أمها، لكن الروايات لا توفينا بشيء عن حياتها بمكة، سوى روايتين، الرواية الأولى بعد أن أعلن النبي صلى الله عليه وآله الدعوة «جاءت لأبي العاص وجوه قريش فقالوا: اردد على

---

(١) ابن هشام، السيرة، ٢/ ٢١٤ . ابن حبيب، المحبر، ص٥٣ . البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٢٦٧ . ابن حجر، الإصابة، ٤/ ٣١٢.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص٥٣ . ابن الأثير، أسد الغابة، ٧/ ١٣٠.

(٣) أزواج النبي، ص٢١.

(٤) الأزرقي، أخبار مكة، ٢/ ٢٤٣ . استولى الأمويون على هذه الدار بعد هجرة أبي العاص إلى المدينة.

محمد ابنته ونحن نزوجك أي امرأة أحببت من قريش، فقال: لاها الله إذن لا أفارق صاحبتي فإنها خير صاحبة»[1].

وهذه الرواية تعني أنها بقيت عنده حتى بعد إسلامها، وهنا نتساءل هل من المعقول أن يبقي الرسولﷺ ابنته عند مشرك؟.

إن الذي ورد في الروايات يدل على أن الرسولﷺ كان مغلوباً على أمره في مكة لذلك لم يستطع أن يفرق بينهما[2]. ونحن نشك في هذه الروايات لكننا لا نملك الدليل على نقضها. والرواية الثانية بعد أن جهر النبيﷺ بدعوته، ودعا الناس إلى الإسلام حيث كان يقول: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، فمنهم من تفل في وجهه، ومنهم من حثا عليه التراب ومنهم من سبه حتى انتصف النهار فأقبلت جارية بعس ماء فغسل وجهه وقال لها: يا بنية لا تحزني ولا تخشي على أبيك غلبة ولا ذلاً، قلت: من هذه، قالوا: زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي جارية وصيفة»[3].

يبدو أن هذه الرواية تتحدث عن وضع رسول اللهﷺ بعد وفاة أبي طالب، لأن قريشاً لم تكن لتجرؤ عليه في حياة أبي طالب، ويؤيد ذلك قوله: «ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب»[4].

---

(١) ابن هشام، السيرة ٢/ ٢١٤ . ابن قتيبة، المعارف، ص١٤١ . البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٣٦٧.

(٢) ابن الأثير، أسد الغابة، ٧/ ١٣٠.

(٣) البخاري، تاريخ، ٨/ ١٤ . ابن الأثير، أسد الغابة، ١/ ٣٨٤.

(٤) ابن هشام، السيرة، ٢/ ٤٦ . الطبري، تاريخ، ٢/ ٣٤٣ . الكلاعي، الإكتفاء، ١/ ٣٩١ . السيوطي، الخصائص الكبرى، ١/ ٢١٧.

وهذه الرواية تدل من جانب آخر إلى أن زينب بنت رسول الله ﷺ كانت قريبة من أبيها في هذه الفترة، مما يعزز آراءنا السابقة في كون الإسلام فرق بينها وبين أبي العاص.

ولم تتفق الروايات على هجرة زينب بنت رسول الله ﷺ إلى المدينة، ففي رواية عن الواقدي إنها هاجرت مع المسلمين إلى المدينة[1]، في حين ذكر ابن إسحق والواقدي في رواية ثانية إنها بقيت في مكة حيث منعها زوجها من الهجرة، ويسندون روايتهم هذه عن عائشة(رض) «إن أبي العاص بن الربيع كان فيمن شهد بدر من المشركين، فأسرة عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري، فلما بعث أهل مكة بفداء أسراهم قدم لفداء أبي العاص أخوه عمرو بن الربيع وقد بعثت معه زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي يومئذ بمكة، بقلادة لها كانت لخديجة بنت خويلد من جزع ظفار ـ وظفار جبل باليمن ـ وكانت خديجة بنت خويلد أدخلتها بتلك القلادة على أبي العاص بن الربيع حين بنى بها، فبعثت بها في فداء زوجها أبي العاص فلما رأى رسول الله ﷺ القلادة عرفها ورق لها، وذكر خديجة وترحم لها، وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا إليها متاعها فعلتم، قالوا: نعم يا رسول الله، فاطلقوا أبا العاص بن الربيع وردوا على زينب قلادتها، وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم على أبي العاص أن يخلي سبيلها إليه فوعده بذلك ففعل»[2].

وقال الواقدي: «وهذا أثبت عندنا من رواية من روى أن زينب

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٣١.

(٢) ابن هشام، السيرة، ٢/ ٢١٥ ـ ٢١٦ . ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٣١.

هاجرت مع أبيها صلى الله عليه وسلم»[1].

وبعد معركة بدر بفترة هاجرت زينب إلى المدينة[2]، وبقي أبو العاص على الشرك في مكة حتى فترة قليلة من فتحها، فخرج بتجارة لقريش وعند عودته لقيته سرية للرسول ﷺ فأخذوا ما معه من بضاعة، وهرب هو حتى دخل المدينة في الليل واستجار بزينب بنت رسول الله ﷺ فأجارته[3]، فلما كان الصباح صلى رسول الله ﷺ بالناس وعندما قام في الصلاة «قامت على بابها فنادت بأعلى صوتها: إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيها الناس هل سمعتم ما سمعت؟، قالوا: نعم، قال: فوالذي نفسي بيده ما علمت بشيء مما كان حتى سمعت الذي سمعتم، المؤمنون يد على من سواهم يجير عليهم أدناهم وقد أجرنا من أجارت، فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم إلى منزله دخلت عليه زينب فسألته أن يرد على أبي العاص ما أخذ منه ففعل، وأمرها أن لا يقربها فإنها لا تحل له ما دام مشركاً، ورجع أبو العاص إلى مكة فأدى إلى كل ذي حق حقه، ثم أسلم ورجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم مسلماً مهاجراً في محرم سنة سبع من الهجرة فرد عليه رسول الله زينب»[4].

وبقيت زينب مع أبي العاص فترة من الزمن ثم توفيت سنة ثمان

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٣١.

(٢) ابن هشام، السيرة، ٢/ ٢١٥ ـ ٢١٦.

(٣) الصنعاني، المصنف، ٥/ ٢٢٤ . ابن هشام السيرة، ٢/ ٢١٨ ـ ٢١٩ . ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٣٣ . المقدسي، البدء والتاريخ، ٥/ ١٨ ـ ١٩.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٣٣ . ابن حبيب، المحبر، ص٥٣ . الترمذي، السنن، ٣/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨.

من الهجرة[1]، وغسلتها أم أيمن زوجة زيد بن حارثة مولاة رسول الله ﷺ وسودة بنت زمعة وأم سلمة أزواج النبي ﷺ[2].

رقية بنت رسول الله«ص»

لم تتفق الروايات في أن رقية هي البنت الثانية للنبي ﷺ، فذكر إبن هشام أنها أكبر بناته[3]، لكن أغلب الرواة ذهبوا إلى أن زينب أكبر بناته ﷺ[4]، وقال ابن الأثير في ذلك: «زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم هي أكبر بناته.. وقد شذ من لا اعتبار به، إنها لم تكن أكبر بناته»[5].

وقد اختلفوا في كونها أصغر بناته، ففي رواية عن هشام بن محمد الكلبي أن رقية كانت أصغر بنات النبي ﷺ[6]، وكذلك في رواية مصعب الزبيري وما نقله عنه الزبير بن بكار[7]، بينما ذكر هشام بن عروة أن فاطمة عليها السلام أصغر بناته[8]، وكذلك ابن جريج[9]،

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ٨/ ٣٤.

(٣) ابن هشام، السيرة، ١/ ١٧٥ . ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/ ٢٩٤.

(٤) انظر، ص١١٣ ـ ١١٤.

(٥) أسد الغابة، ٧/ ١٣٠.

(٦) ابن حبيب، المحبر، ص٥٢ ـ ٥٣ . ابن عبد البر، الإستيعاب، ٤/ ١٨١٩ . ابن عساكر، تاريخ، ٣/ ١٢٦ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢/ ٢٨٩.

(٧) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢١ . ابن عبد البر، الإستيعاب، ٤/ ١٨١٩ . ابن عساكر، تاريخ، ٣/ ١٣١ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢/ ٢٩٨ . ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/ ٢٩٤.

(٨) ابن بكار، منتخب، ص٣٨.

(٩) ابن عساكر، تاريخ، ٣/ ١٤٩ . ابن حجر، الإصابة، ٤/ ٣٧٧.

والواقدي[1]، وابن هشام[2]، وذكر ابن عبد البر في هذا الأمر: «وقد اضطرب مصعب والزبير في بنات النبي صلى الله عليه وسلم أيتهن أكبر وأيتهن أصغر اضطراباً يوجب ألا يلتفت إليه في ذلك والذي تسكن إليه النفس على ما تواترت به الأخبار في ترتيب بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم أن زينب الأولى ثم الثانية رقية ثم الثالثة أم كلثوم ثم الرابعة فاطمة الزهراء»[3].

وهذا يعني أن رقية ولدت بعد زينب، وعلى اعتبار ما قدمناه تكون ولادتها في السنة الثالثة والثلاثين من عمر الرسولﷺ[4]، فيكون عمرها إلى البعثة سبعة أعوام.

ذكرت الروايات أن رقية تزوجت من عتبة بن أبي لهب[5]، لكنها لم تذكر الوقت الذي تزوجت فيه، ونحن نفترض أنه كان قبل الإسلام[6]، لأن عتبة بقي على الشرك ولم يسلم وليس من المعقول أن يزوج الرسولﷺ ابنته من مشرك، وقد ذكرنا أن عمرها إلى البعثة سبع سنوات، فكيف تتزوج وهي بهذا السن؟، كما أن هذا السن إلى البعثة وهو ليس وقت الزواج إنما كان الزواج قبله بسنة أو اثنتين أي يكون

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ٨/١٦.

(٢) السيرة، ١/١٧٥.

(٣) الإستيعاب، ٤/١٨٩٣.

(٤) المصدر نفسه، ٤/١٨٩٣ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢/٢٩٠ . النويري، نهاية الأرب، ١٨/٢١٢ . الديار بكري، تاريخ الخميس، ١/٢٧٥.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ٨/٣٦ . مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٢ . ابن بكار، منتخب، ص٤٢ . ابن حبيب، المحبر، ص٥٣.

(٦) ذكر ابن حجر أنها تزوجت به قبل الإسلام، الإصابة، ٤/٤٩٠.

عمرها خمس أو ست سنوات، فهل هذا الأمر معقول؟.

تذكر الروايات أن عتبة بن أبي لهب طلق رقية بعد أن نزلت سورة المسد﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾، حيث أمرته أمه أن يطلق رقية بعد نزول هذه السورة «فلما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم «تبت يدا أبي لهب» قالت العوراء أم جميل بنت حرب بن أمية وهي أم عتبة بن أبي لهب وهي حمالة الحطب: أيهجونا محمد ونمسك ابنته فطلقها ننكحك غيرها»[1].

وفي رواية أن أباه هو الذي طلب منه ذلك «فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله «تبت يدا أبي لهب» قال له أبو لهب: رأسي من رأسك حرام أن لم تطلق ابنته ففارقها ولم يكن دخل بها»[2].

وبعد أن طلق عتبة رقية ذهب إلى النبيﷺ وقال: «كفرت بدينك وفارقت ابنتك لا تحبني ولا أحبها، وشق قميص النبي صلى الله عليه وسلم ثم توجه إلى الشام، فقال النبي: أما أني أسأل الله أن يسلط عليه كلبه، فلما نزلوا بالورقاء من بعض أرض الشام أطاف بهم أسد ليلاً، فقال عتبة: ويل أمي هو والله آكلي كما دعا على محمد، وهو بمكة وأنا بالشام،

---

(١) أبو عبيدة، أزواج النبيﷺ، ص٢٤ . ابن بكار، منتخب، ص٤٢ . ابن حبيب، المحبر، ص ٥٣ . البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٤٠١.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٣٦ . ابن قتيبة، المعارف، ص١٤٢.

(٣) أبو عبيدة، أزواج النبيﷺ، ص٢٤ . الطبرسي، أعلام الورى، ص١٣٩ . المتقى الهندي، كنز العمال، ١٤/ ٥.

فغذا عليه الأسد فقضم رأسه فصدغه من بين القوم»[1].

وفي رواية مصعب الزبيري أن الذي أكله الأسد هو عتيبة بن أبي لهب، وهذا أقرب إلى الصواب، لأن عتبة كان قد شهد معركة حنين مع الرسول ﷺ، وكان ممن ثبت في هذه المعركة من الهاشميين ولم ينهزموا[2].

وبعد عرض هذه الروايات نأتي إلى وقت نزول سورة المسد، التي ربطت الروايات طلاق رقية بها، ففي رواية عن ابن عباس أنه قال: «لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[3] خرج حتى صعد على الصفا فهتف: يا صباحاه، فقالوا: من هذا الذي يهتف؟، قالوا: محمد فاجتمعوا إليه، فقال: «يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب» فاجتمعوا إليه، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل إكنتم مصدقي، قالوا: ما جربنا عليك كذباً قال: فنزلت هذه السورة: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[4].

إن هذه الرواية تدل على أن السورة نزلت بعد ثلاث سنوات من البعثة، لأنه جهر بالدعوة بعد هذه الفترة، لكن وردت رواية ثانية في نزول هذه السورة أوردها ابن إسحاق والواقدي بسندهم عن ابن عباس:

---

(١) نسب قريش، ص٨٩ ـ ٩٠.

(٢) سورة الشعراء، الآية ٢١٤.

(٣) ابن سعد، الطبقات ١/ ٧٤ ـ ٧٥ . ابن حبيب، المنمق، ص٢٦١ ـ ٢٦٢ . الطبري، تفسير ٣٠/ ٣٧٣ . أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، ١/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨ . القرطبي، الجامع ٣٠/ ٢٣٤ . النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود (ت٧١٠هـ)، تفسير النسفي، دار إحيار الكتب العربية، بيروت د.ت ٤/ ٣٨٢ . ابن حيان، البحر المحيط، ٨/ ٥٢٥.

«قال ابن عباس: ما كان أبو لهب إلا من كفار قريش، ما هو حتى خرج من الشعب حين تمالئت قريش، فحصرنا في الشعب وظاهرهم، فلما خرج أبو لهب من الشعب لقي هنداً بنت عتبة بن ربيعة حين فارق قومه، فقال: يا بنت عتبة هل نصرت اللات والعزى وفارقت من فارقها؟، قالت: نعم فجزاك الله خيراً يا أبا عتبة، ثم نفخ في يديه وقال: تباً لكما ما أرى فيكما شيئاً مما يقول محمد فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[1].

أن هذه الرواية أقرب إلى العقل من الرواية الأولى، حيث أن سياق الآيات يدل على أنها نزلت مرة واحدة، ولم ترد أي رواية تقول أنها نزلت على مراحل، أي أن الهجاء الموجه لأبي لهب وزوجته جاء جملة واحدة، فإذا كان نزول هذه السورة عند الجهر بالدعوة فهذا يعني أنهم آذوا الرسولﷺ في هذه المرحلة، لكن هذا الأمر يخالف الروايات التي ذكرت أن المشركين لم يؤذوا الرسولﷺ حتى شن القرآن حمله على معتقدات الشرك «ولم يبعد عنه قومه، ولم يردوا عليه حتى ذكر آلهتهم وعابهم فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا على خلافه وعدوانه»[2].

وفي رواية الزهري: «فكان إذا مر بمجالسهم يشيرون إليه أن غلام بني عبد المطلب ليكلم من السماء فكان ذلك حتى عاب آلهتهم التي

---

(١) إبن إسحاق، السير والمغازي، ص١٥٦ . أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، ١/ ٣٦٦ السيوطي، الدر المنثور، ٦/ ٤٨٠.

(٢) ابن هشام، السيرة، ١/ ٢٣٨. الطبري، تاريخ، ٢/ ٣٢٢.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ١/ ١٩٩ . اليعقوبي، تاريخ، ٢/ ١٩.

يعبدونها دونه وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا على الكفر»[1]، فهل من المعقول أن يهجو القرآن الكريم رجلاً وامرأة قبل أن يقوما بأي عمل معاد للرسولﷺ؟ ألا أبا لهب، وهذا يعني أن عداءه وإذاءه للرسولﷺ كان كبيراً جداً حتى يذكره القرآن، وهذا لا يلائم بداية الجهر بالدعوة كما ذكرنا.

والروايات التي بين أيدينا تذكر، أن رقية بعد طلاقها من عتبه تزوجت من عثمان بن عفان(رض)[2]، وبعد أن ازداد ضغط المشركين على الرسولﷺ والمسلمين أمرهم أن يهاجروا إلى الحبشة، فكان من ضمن المهاجرين عثمان بن عفان وزوجته رقية إلى الحبشة[3]، وهذه الهجرة كما تذكر الروايات كانت في السنة السادسة للبعثة[4]، وحصار الشعب كان بعد الهجرة أي في السنة السابعة للهجرة[5]، وقد رجحنا نزول سورة المسد في هذا الحصار، وعليه يكون طلاق رقية من عتبة بعد الهجرة إلى الحبشة، فكيف تهاجر إلى الحبشة وتتزوج من عثمان وهي ما زالت زوجة عتبة، وجاء في بعض الروايات أن رقية عندما

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٣٦ ـ ٣٧ . مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٢ . ابن حبيب، المحبر، ص٥٣ . ابن بكار، منتخب، ص٤٢ . ابن قتيبة، المعارف، ص١٤٢ . البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٤٠١ . أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٢/ ١٢٧ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٧ . ابن الجوزي، صفة الصفوة، ١/ ١٤٨.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٣٧ . مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٣ . البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٤٠١.

(٣) ابن هشام، السيرة، ١/ ٢٨٠ . ابن سعد، الطبقات، ١/ ٢٠٤ . الطبري، تاريخ، ٢/ ٣٣١.

(٤) ابن هشام، السيرة، ٢/ ٣ . ابن سعد، الطبقات، ١/ ٢٠٨ . الطبري، تاريخ، ٢/ ٣٣١.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٣٦ ـ ٣٧ . المقدسي، البدء والتاريخ، ٢/ ١٧.

هاجرت إلى الحبشة أسقطت في السفينة سقطاً[1]، وفي هذا دلالة على أنها تزوجت من عثمان قبل الهجرة، وهناك روايات أخرى تذكر أنها ولدت لعثمان ولداً اسمه عبد الله في الحبشة، بقي سنتين أو أكثر نقره ديك في عينه فمات[2].

وهنا قد تثار عدة تساؤلات في بدايتها، هل كان عمر رقية يؤهلها للزواج؟، مهما نقول عن سرعة النضج في البلاد الحارة، فهذا لا يعني أن التي يكون عمرها خمس أو ست سنوات تكون مؤهلة للزواج، وهذا تؤيده الروايات التي ذكرت أن عتبة بن أبي لهب لم يدخل بها لصغر سنها، فإذا كان سنها صغيراً ما الذي يجبره على الزواج منها؟ وإذا انتقلنا إلى زواجها من عثمان بأنه بنى بها، وهذا يعني أنها كانت مؤهلة إلى الزواج، فلماذا لم يدخل بها عتبة ما دامت كذلك؟

والبحث لا يمتلك إجابات دقيقة عن هذه التساؤلات، لذلك سيكتفي بإثارتها على أمل أن تجد من يجيب عنها في المستقبل.

وبعد هجرة رقية إلى الحبشة بقيت فترة هناك ثم عادت بعد ذلك إلى مكة مع زوجها، بعد أن سمعوا أن أهل مكة أسلموا، ولكنهم بعد أن عادوا عرفوا أن أهل مكة باقين على الشرك، وبقيا في مكة ثم هاجرا إلى المدينة[3].

---

(١) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٣ . ابن حبيب، المحبر، ص٥٣ . ابن بكار، منتخب، ص٤٣ . ابن قتيبة، المعارف، ص١٤٢ . البلاذري، أنساب الأشراف ١/ ٤٠١ . ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٦ . ابن عساكر، تاريخ، ٣/ ١٢٧ . الطبرسي، أعلام الورى، ص١٣٩.

(٢) ابن هشام، السيرة، ٢/ ١٢ . ابن سعد، الطبقات، ١/ ٢٠٥ . الطبري، تاريخ، ٢/ ٣٠٤.

وبقيت فترة من الزمن في المدينة حتى خرج رسول الله ﷺ إلى معركة بدر، وكانت مريضة فتخلف عثمان عن الخروج بسبب مرض زوجته حيث كانت مصابة بالحصبة وتوفيت نتيجة لذلك، وعندما عاد الرسول ﷺ من المعركة وجدها ميتة وقد دفنوها[1].

أم كلثوم بنت رسول الله«ص»

هي البنت الثالثة لرسول الله ﷺ لم تذكر لها الروايات إسماً غير هذا، وقد اختلفت الروايات في الصغرى من بنات الرسول ﷺ أهي أم كلثوم أم فاطمة عليها السلام؟، لكن معظم الرواة ذهبوا إلى أنها أسن من فاطمة عليها السلام[2]، لكن رواية مصعب الزبيري والزبير بن بكار تقول إنها أسن من رقية وفاطمة عليها السلام[3]، لكننا نرجح كونها أصغر من رقية وأسن من فاطمة عليها السلام، لأن معظم الرواة يؤيدون ذلك، ولكثرة الروايات التي ذكرت أن فاطمة عليها السلام، أصغر بنات الرسول ﷺ، وهذا ما سوف نناقشة عند الحديث عن فاطمة الزهراء عليها السلام.

---

(١) ابن سعد، الطبقات ٨/ ٣٧ . مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٣ . ابن بكار منتخب ص٤٣ . ابن قتيبة المعارف، ص١٤٢ . البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٤٠١ . ابن الأثير، أسد الغابة، ٧/ ١١٤.

(٢) ابن هشام، السيرة، ١/ ١٧٤ ـ ١٧٥ . ابن بكار، منتخب، ص٣٨ . ابن عساكر، تاريخ ٣/ ١٢٦، ١٤٩ . ابن حجر، الإصابة، ٤/ ٣٧٧.

(٣) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٢٢ . ابن عبد البر، الإستيعاب، ٤/ ١٨١٩ . ابن عساكر، تاريخ، ٣/ ١٣١ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢/ ٢٨٨ . ابن كثير، البداية والنهاية، ٢/ ٢٩٤.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٣٨ . ابن بكار، منتخب، ص٤٣ . ابن قتيبة، المعارف ص١٤٢ . البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٤٠١.

تزوجت أم كلثوم من عتيبة بن أبي لهب طلقها بعد نزول سورة المسد[1]، مثلما فعل أخوه عتبة مع رقية، وهاجرت إلى المدينة مع المسلمين وبقيت مع أبيها حتى السنة الثالثة للهجرة، فتزوجها عثمان بن عفان (رض) بعد وفاة أختها رقية[2].

وكما هو الحال مع أختها رقية لم نحصل على روايات كثيرة عنها، تبين لنا ولادتها أو حياتها مع الرسول ﷺ والسيدة خديجة عليها السلام في مكة، وحياتها مع أبيها بعد الهجرة إلى المدينة، حيث لم نحصل إلا على ثلاث أو أربع فيها.

وكل ما بقي لنا هو الافتراض في ضوء ما لدينا من دلائل، فإذا كانت أصغر من رقية تكون ولادتها في السنة الخامسة والثلاثين من عمر النبي ﷺ فيكون عمرها حتى البعثة خمس سنوات، فإذا كانت أصغر من فاطمة تكون ولادتها في الإسلام[3]، وإذا كانت أكبر من رقية يكون عمرها إلى البعثة سبع سنوات، وفي كل الأحوال تكون غير مؤهلة للزواج، فكيف تتزوج من عتيبة وهي بهذا العمر؟

لقد تنبه ابن حجر إلى هذا التناقض وقال: «إن ولدي أبي لهب تزوجا رقية وأم كلثوم قبل البعثة فإنه فيه نظر، لأن أبا عمر ـ يقصد ابن عبد البر ـ نقل الإتفاق إلا أن زينباً أكبر البنات وإنها ولدت قبل البعثة بعشر سنين، فإذا كانت أكبرهن بهذا السن فكيف تزوج من هو أصغر

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٣٨ . ابن حبيب، المحبر، ص٥٣ . ابن حزم، جوامع السيرة ص٤٠.

(٢) على اعتبار أن ولادة فاطمة (ع) في الإسلام، كما سنبين ذلك في الصفحات التالية.

(٣) الإصابة، ٤/ ٤٩٠.

منها؟، نعم إن ثبت يكون عقد نكاح إلى أن يحصل التأهل فكان الفراق وقع قبل ذلك»[1].

إن هذا التبرير الذي قدمه ابن حجر تكلف لا حاجة له، فما الدافع الذي يجعل رسول الله ﷺ يزوج إبنته وهي بعمر ثلاث أو خمس أو سبع سنين حسب ما ذهبت إليه الروايات؟، كذلك فإن ابن أبي لهب ليس مجبراً على الانتظار هذه السنين الطويلة حتى تبلغ أم كلثوم فتكون مؤهلة للزواج، إن هذه الاختلافات والتناقضات لا نجد لها أسباباً منطقية تدعمها ونترك المجال مفتوحاً عسى أن تجد الإجابة.

وذكرت الروايات أن أم كلثوم توفيت في السنة التاسعة للهجرة[2]، فغسلتها أسماء بنت عميس امرأة جعفر بن أبي طالب (رض) فجلس رسول الله ﷺ عند قبرها، ونزل علي بن أبي طالب عليه السلام والفضل بن العباس وأسامة بن زيد(رض) في قبرها ودفنوها[3].

السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله«ص»

رابع بنات الرسول ﷺ، وكما هو الحال في أبناء النبي ﷺ كان الاختلاف في ولادتها وترتيبها كبيراً، وقد عرضنا فيما سبق هذه الروايات وناقشناها فلا حاجة لإعادتها.

وردت عدة روايات في ولادة السيدة فاطمة عليها السلام على عكس بقية

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ٣٨/٨ . ابن حبيب المحبر، ص٥٣ . ابن حزم، جوامع السيرة ص٤٠ . ابن الجوزي، الوفا، ٦٥٦/١ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢/ ٢٩٠ . النويري، نهاية الأرب، ٢١٥/١٨.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ٣٨/٨ ـ ٣٩.

اخواتها وهذه الروايات انقسمت إلى قسمين، ذكر القسم الأول إنها ولدت قبل البعثة النبوية، والقسم الآخر ذكر أن ولادتها بعد البعثة. وسوف نستعرض هذه الروايات حسب الترتيب أعلاه.

جاء في رواية ابن إسحق أن فاطمةعليها السلام ولدت قبل البعثة[1]، وفي رواية هشام الكلبي إنها توفيت ولها من العمر خمس وثلاثون سنة[2]، أي تكون ولادتها قبل البعثة بتسع سنوات، وفي رواية الواقدي إنها ولدت وقريش تبني الكعبة، أي قبل البعثة بخمس سنوات، ونقل هذه الرواية بسنده عن الإمام الباقرعليه السلام: «دخل العباس على علي بن أبي طالب وفاطمة، وهي تقول: أنا أسن منك، فقال العباس: أما أنت يا فاطمة فولدت وقريش تبني الكعبة، والنبي صلى الله عليه وسلم ابن خمس وثلاثين سنة، وأما أنت يا علي فولدت قبل ذلك بسنوات»[3].

وفي رواية إنها توفيت ولها تسع وعشرون سنة[4]، أي إنها ولدت قبل خمس سنوات من البعثة، وفي رواية الزبير بن بكار بسنده عن عبد الله بن الحسن إنها توفيت ولها من العمر ثلاثون سنة[5]. أي إن ولادتها

---

(١) ابن هشام، السيرة، ١/ ١٧٥.

(٢) ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤/ ١٨٩٩ . ابن عساكر، تاريخ، ٣/ ١٥٧ . محب الدين الطبري، ذخائر العقبى، ص٦٢ . ابن حجر، الإصابة، ٤/ ٣٧٧ . الديار بكري، تاريخ الخميس، ١/ ٢٧٨.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٢٦ . ابن الجوزي، الوفا، ٢/ ٩ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢/ ٢٩٠.

(٤) ابن عبد البر، الإستيعاب، ٤/ ١٨٩٩ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢/ ٢٩٠ . محب الدين الطبري، ذخائر العقبى، ص ٦٢ . ابن حجر، الإصابة، ٤/ ٢٧٧ . الديار بكري، تاريخ الخميس، ١/ ٢٧٨.

(٥) ابن عبد البر، الإستيعاب، ٤/ ١٨٩٩ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢/ ٢٩٠.

قبل ست سنوات من البعثة.

إن هذه الروايات المتقدمة تدل على ولادة فاطمة عليها السلام قبل الإسلام، فرواية هشام الكلبي لا نستطيع قبولها، لأنها تعارض كل الروايات التي ذكرت أنها أصغر بنات النبي صلى الله عليه وآله، بما فيها روايته التي نقلها عن ابن عباس، والتي تقول إنها أصغر من زينب ورقية[1]. فإذا كانت زينب ولدت وعمر النبي صلى الله عليه وآله ثلاثون عاماً، فكيف تكون ولادة فاطمة عليها السلام في العام التاسع والعشرين من عمر النبي صلى الله عليه وآله؟، حسب رواية ابن الكلبي. ورواية الواقدي المتقدمة تخالف روايته التي أوردها عن نفيسة بنت منية والتي ذكرت أن فاطمة عليها السلام أصغر بناته، فيكون عمرها إلى البعثة ثلاث سنوات[2]، وتخالف الرواية التي وردت عن الإمام الباقر عليه السلام والتي تقول أن فاطمة ولدت بعد البعثة بخمس سنوات، والتي سنذكرها مع الروايات التي ذكرت ولادتها بعد البعثة. ورواية الواقدي نفسها متناقضة، فهل من المعقول أن الإمام علي عليه السلام لا يعرف متى ولد، وفاطمة تقول له أنا أسن منك ولا يعرفان متى ولدا، ولماذا لم يسألا رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذلك؟

والرواية التي ذكرت أنها توفيت ولها تسع وعشرون سنة، هي نفس رواية الواقدي تقريباً فربما نقل صاحبها من نفس المصدر الذي نقل منه الواقدي، أما رواية الزبير بن بكار فهي تتعارض مع روايته التي ذكر

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ١/ ١٣٤ . ابن عساكر، تاريخ، ١/ ١٢٦ . ابن الجوزي، الوفا، ١/ ٦٥٦.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ١٦.

(٣) ابن عبد البر، الإستيعاب، ٤/ ١٨١٩ . ابن عساكر، تاريخ، ٤/ ١٣١ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢/ ٢٨٩.

فيها أن فاطمة عليها السلام أكبر من رقية[1]، أي تكون ولادتها في العام الحادي والثلاثين من عمر النبي صلى الله عليه وآله، على اعتبار ولادة رقية في العام الثالث منه، فيكون عمر فاطمة عليها السلام عند وفاتها ثلاث وثلاثين عاماً وليس ثلاثين.

والقسم الآخر من الروايات ذكر إنها ولدت بعد البعثة، ففي رواية عن الإمام الباقر عليه السلام، عن جابر بن عبد الله الأنصاري(رض) عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أعطيت تفاحة ليلة المعراج فأكلتها فصارت ماء في ظهري فلما رجعت واقعت خديجة فحملت بفاطمة»[2]، وأوردت بعض المصادر هذه الرواية عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة(رض)[3]، وأوردتها مصادر أخرى عن الإمام الصادق عن عائشة(رض)[4]، وفي رواية عبد الله بن محمد بن سليمان الهاشمي عن أبيه عن جده إنها ولدت في السنة الحادية والأربعين من عمر النبي صلى الله عليه وآله[5].

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ٤٣/ ٥.

(٢) الطبراني، المعجم الكبير، ٢٢/ ٣٣٤ . الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٥/ ٨٧ . محب الدين الطبري، ذخائر العقبى، ص٤٦ . المتقي الهندي، كنز العمال، ١٣/ ٩٤ . السكتواري، علاء الدين علي بن دده، محاضرة الأوائل، ط١، المطبعة العامرية الشرفية، مصر، ١٣١١هـ . ابن حجر، لسان الميزان، ١/ ١٣٤ . السيوطي، الخصائص الكبرى، ١/ ٤٣٧ . الديار بكري، تاريخ، ١/ ٢٧٧.

(٣) المجلسي، بحار الأنوار، ٤٣/ ٦.

(٤) اليعقوبي، تاريخ، ٢/ ١٥ . المسعودي، مروج الذهب، ٢/ ٢٨٩ ـ ٢٩١ . ابن عبد البر، الإستيعاب، ٤/ ١٨٩٣ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ٢/ ٢٩٠ . محب الدين الطبري، ذخائر العقبى، ص٣٦ . النويري، نهاية الأرب، ١٨/ ٢١٣ . الفاسي، العقد الثمين، ١/ ٢٧٧ . ابن حجر، الإصابة، ٤/ ٣٧٧.

وفي رواية عن الامام الباقر عليه السلام ولدت بعد البعثة بخمس سنين[1]، والرواية التي أوردتها المصادر عن عمار بن ياسر أن فاطمة عليها السلام ولدت في الإسلام[2].

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام تتحدث عن ولادة فاطمة عليها السلام بعد البعثة ومقاطعة نساء قريش للسيدة خديجة عليها السلام[3].

وأوردت بعض المصادر رواية تقول: أن ولادتها في السنة الخامسة للبعثة[4]، وفي رواية عن قتادة بن دعامة «ولدت خديجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم عبد مناف في الجاهلية وولدت له في الإسلام غلامين وأربع بنات القاسم وبه يكنى أبا القاسم فعاش حتى مشى ثم مات وعبد الله مات صغيراً وأم كلثوم وزينب ورقية وفاطمة»[5].

وفي رواية الزبير بن بكار: «فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم القاسم وهو أكبر ولده ثم زينب ثم عبد الله يقال له الطيب والطاهر

---

(١) الأربلي، كشف الغمة، ٢/ ٧٦ . ابن شهر آشوب، المناقب، ٣/ ٣٥٧ . المجلسي، بحار الأنوار، ٤٣/ ٨.

(٢) ابن بكار، منتخب، ص٤٠ ـ ٤١.

(٣) الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، (٣٨١هـ) أمالي الصدوق، تقديم محمد مهدي الخرسان، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٧٠، ص ٥٣١ ـ ٥٣٢.

(٤) الكليني، محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ) الأصول من الكافي، تصحيح علي أكبر الغفاري ط٣، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٨٨هـ ١/ ٤٥٨ . المسعودي، مروج الذهب ٢/ ٢٨٩. محب الدين الطبري، ذخائر العقبى، ص ٣٦ . الزرندي، محمد بن يوسف بن الحسن (ت٧٥٠هـ)، نظم درر السمطين، مطبعة القضاء، النجف الأشرف، ١٩٥٨، ص٦٨١ . الديار بكري، تاريخ الخميس، ١/ ٢٧١.

(٥) الطبراني، المعجم الكبير، ٢٢/ ٣٧١ . المقدسي، البدء والتاريخ، ٥/ ١٦.

ولد بعد النبوة ومات صغيراً ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية هم هكذا الأول فالأول»[1].

وجميع هذه الروايات تدل على ولادة فاطمةعليها السلام في الإسلام وهي أقرب للمعقول من الروايات التي ذكرت أن ولادتها قبل البعثة، وعلاوة على ذلك فإن هناك أدلة كثيرة تؤيد ولادتها في الإسلام سنذكرها فيما يأتي.

إذا كانت فاطمةعليها السلام ولدت قبل النبوة بخمس سنوات أو أكثر وبقيت كل هذه الفترة حتى أصبح عمرها عند الهجرة ثمانية عشر عاماً، فلماذا لم تتزوج كما هو شأن إخواتها، وهي في سن يؤهلها للزواج، ألم يكن في المسلمين من يرغب أن ينال هذا الشرف ويتزوج من ابنة النبيصلى الله عليه وآله بما فيهم الإمام عليعليه السلام؟. في رواية أن الصحابة تقدموا لخطبة الزهراءعليها السلام حيث تقدم أبو بكر وعمر(رض) لخطبتها فقال لهم رسول اللهصلى الله عليه وآله: «إنها صغيرة، فخطبها علي فزوجها منه»[2].

والرواية تدل على أن خطبة الصحابة لها كانت بعد الهجرة، فكيف يقول رسول اللهصلى الله عليه وآله إنها صغيرة مع أن عمرها بلغ العشرين؟، والرسولصلى الله عليه وآله لا يقول صغيرة إلا إذا كانت كذلك، وهذا ما تؤيده الروايات التي ذكرت ولادتها بعد البعثة.

---

(١) ابن عبد البر، الإستيعاب، ١٨١٩/٤ . ابن عساكر تاريخ، ١٣١/١٣.

(٢) النسائي، أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب، (ت٣٠٣هـ)، سنن النسائي، المطبعة المصرية، مصر.د.ت، ٦٢/٦ . كتاب النكاح، خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تحقيق محمد هادي الأميني، النجف الأشرف د.ت.ص١١٤ . الجويني، إبراهيم بن عمر (ت٧٣٠هـ) فرائد السمطين، تحقيق محمد باقر المحمودي، بيروت ١٩٧٨، ٨٨/١.

وبعد أن عرضنا الروايات التي ذكرت عمر فاطمة عليها السلام ورجحنا الروايات التي ذهبت إلى أنها ولدت بعد البعثة سوف نحاول أن نستعرض حياتها، لكن هذه الروايات من الكثرة بمكان بحيث لا نستطيع أن نستعرضها في هذه الصفحات القليلة، حيث تحتاج إلى أكثر من كتاب لذلك سوف نركز على النقاط الرئيسية في حياتها.

عاشت فاطمة عليها السلام مع أبيها صلى الله عليه وآله في مكة تحوطها عناية الرسول صلى الله عليه وآله والسيدة خديجة عليها السلام، ثم فقدت أمها وهي في سنين طفولتها الأولى، فأخذت تتعلق بالرسول صلى الله عليه وآله وتقول له وهي تبكي: «أين أمي، أين أمي؟، فنزل عليه جبريل عليه السلام فقال لفاطمة عليها السلام: إن الله تعالى بنى لأمك بيتاً من قصب لا نصب فيه ولا صخب»[1].

وشهدت اعتداءات المشركين على رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاة عمه أبي طالب، فكان يعود إلى بيته فلا يجد السيدة خديجة عليها السلام التي كانت تواسيه عندما يرجع مهموماً أثقله عناد المشركين، وكانت فاطمة عليها السلام تمثل دور أمها في السهر على راحته، فكناها الرسول صلى الله عليه وآله أم أبيها[2]، وفي رواية أن المشركين كانوا مجتمعين قرب الكعبة، ورسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) اليعقوبي، تاريخ، ١/ ٢٨ . الدميري، حياة الحيوان، ٢/ ٣٨٩ . المتقى الهندي، كنز العمال، ١٣/ ١١٦ . الديار بكري، تاريخ الخميس، ١/ ٣٠١.

(٢) ابن عبد البر، الإستيعاب، ٤/ ١٨٩٩ . ابن الأثير، أسد الغابة، ٧/ ٢٢٠ . الأم في اللغة، هي الأصل، والجامع للشيء، والعرب يسمون ما يجمع أشياء متعددة أما، إذن فالمعنى المراد بأن فاطمة(ع) أم أبيها: أي أم ذرية أبيها فيكون هذا على حذف مضاف، وذلك فإن من المعلوم أن النبي(ص) لم تكن له ذرية إلا من فاطمة(ع)، فمن ذلك صح تسميتها بأم أبيها، لأنها هي الأصل والجامع لذريته(ص)، المختصر، محمد جواد، نساء النبي وأولاده، بغداد، ١٩٩٠ . هامش٢، ص٦٨ ـ ٦٩.

يصلي، فقال أحدهم: «من يأخذ هذا السلى فيلقيه على ظهره، فقال عقبة بن أبي معيط: أنا، فأخذه وألقاه على ظهره، فلم يزل ساجداً حتى جاءت فاطمة عليها السلام فأخذته عن ظهره وهي باكية، ودعت على من صنع ذلك، فرفع رأسه صلى الله عليه وسلم وقال: اللهم عليك بقريش، قالها ثلاثاً اللهم عليك أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وعقبة بن أبي معيط وأبي بن خلف، فلقد رأيتهم قتلوا في يوم بدر فألتقوا في القليب غير أمية فأنه كان رجلاً ضخماً، فلما جروه تقطعت أوصاله قبل أن يلقي في البئر»[1].

وهاجرت فاطمة عليها السلام مع المسلمين إلى المدينة وبقيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله في بيته، وبعد معركة بدر تزوجت الإمام علي عليه السلام[2]. وقد ذكرنا أن الصحابة تقدموا لخطبتها لكن الرسول صلى الله عليه وآله اعتذر لهم، ففي رواية أوردها ابن سعد: «أن أبا بكر خطب فاطمة من النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: يا أبا بكر انتظر بها القضاء، فذكر ذلك أبو بكر لعمر، فقال له عمر: ردك يا أبا بكر، ثم أن أبا بكر قال لعمر: أخطب فاطمة إلى النبي، فخطبها، فقال له مثل ما قال لأبي بكر، انتظر بها القضاء»[3]، حتى جاء الأمر الإلهي للرسول صلى الله عليه وآله يأمره «بأن يزوج النور بالنور، علي

---

(١) البخاري، الصحيح، ٤/ ١٢٧، باب طرح جيف المشركين في البئر. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ١/ ١٠٥ ـ ١٠٦ . ابن أبي الحديد، شرح النهج، ٦/ ٢٨٢ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١/ ١٠٣ . المتقي الهندي، كنز العمال، ٢/ ٨٩ ـ ٩٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٢٢ . ابن شهر آشوب، المناقب، ٣/ ٣٥٧ . محب الدين الطبري، ذخائر العقبى، ص٣٦.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ١٩.

بفاطمة»[١]، فتقدم الإمام علي عليه السلام لخطبتها فزوجه رسول الله وقال له: «ما تصدقها؟، قال: ما عندي ما أصدقها، قال: فأين درعك الحطيمة التي كنت منحتك؟، قال: عندي، قال: أصدقها إياه، قال: فأصدقها وتزوجها»[٢]، وهذه الدرع كانت تساوي أربعمائة درهم حسب ما جاء في الروايات، فكان صداق الزهراء عليها السلام أربعمائة درهم[٣]، وبهذا الصداق البسيط اشترى علي عليه السلام جهاز لزوجته بأشيائه البسيطة[٤].

إنتقلت الزهراء إلى بيت الإمام علي عليه السلام بعد أن عاشت حياتها الماضية مع أبيها ولها من العمر عشر سنوات[٥]، فقال الرسول صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «لا تحدثن شيئاً حتى تلقاني فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتوضأ منه، ثم أفرغه على علي وفاطمة وقال: اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في نسلهما»[٦].

فأنجبت فاطمة لعلي عليه السلام الحسن عليه السلام ولها من العمر إحدى عشرة سنة[٧]، ثم ولدت له الحسين عليه السلام وزينب وأم كلثوم والمحسن مات صغيراً[٨].

---

(١) الكليني، الأصول من الكافي، ١/ ٤٦٠ ـ ٤٦١ . وقد أورد الطبراني (أن الله زوج فاطمة من علي) بسنده عن عبد الله بن مسعود، ٢٢/ ٣٤٠.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٢٠.

(٣) ابن الأثير، أسد الغابة، ٧/ ٢٢٢.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٢٢ ـ ٢٣.

(٥) المجلسي، بحار الأنوار، ٤٣/ ٦.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٢١ . ابن الأثير، أسد الغابة، ٧/ ٢٢٢.

(٧) المجلسي، بحار الأنوار، ٤٣/ ٦.

(٨) ابن حبيب، المحبر، ص٥٣ . البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٤٠٢ . ابن حزم، جوامع السيرة، ص ٤٠.

وبقي رسول الله ﷺ متعلقاً بفاطمة ﷺ حتى بعد زواجها، ففي رواية عن عائشة (رض) : «ما رأيت أحداً من خلق الله أشبه حديثاً وكلاماً برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه أخذ بيدها وقبلها ورحب بها وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه ورحبت به وأخذت بيده فقبلتها»[1]، وفي رواية أخرى عنها أن الرسول ﷺ كان يحب فاطمة حباً شديداً فقالت له: «مالك إذا أقبلت فاطمة جعلت لسانك في فيها كأنك تريد أن تلعقها عسلاً، فقال صلى الله عليه وسلم إنه لما أسري بي أدخلني جبريل الجنة فناولني تفاحة..»[2]، الحديث الذي ذكرناه في ولادتها.

وفي رواية حماد بن سلمة بسنده عن أنس بن مالك: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج لصلاة الفجر يقول: الصلاة يا أهل بيت محمد ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾[3].

وكان رسول الله ﷺ يحب فاطمة حباً كبيراً، فروى عن عمر بن أبي سلمة (رض) أنه قال: «أخبرني أسامة بن زيد، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي أهل بيتك أحب إليك؟، قال: «أحب أهلي

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣/ ٢٣١.

(٢) الطبراني، المعجم الكبير، ٢٢/ ٣٣٤ . الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١/ ١٣٤ . محب الدين الطبري، ذخائر العقبى، ص٤٦.

(٣) ابن حنبل، المسند، مسند بن مالك، ٣/ ٢٥٩ . الطبراني، المعجم الكبير، ٢٢/ ٣٣٥ . ابن الأثير، أسد الغابة، ٧/ ٢٢٣ . ابن كثير، التفسير، تفسير سورة الأحزاب، آية ٣٣، ٣/ ٤٨٣.

إلي فاطمة»[1]، حتى أنه كان لا يرجع من سفر له أو غزوة يغزوها، ألا وكان بيت فاطمة أول بيت يدخله بعد المسجد، ففي رواية عن عائشة (رض): «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين، ثم يثني بفاطمة، ثم يأتي أزواجه، فقدم من سفر فصلى في المسجد ركعتين، ثم أتى فاطمة فتلقته على باب البيت، فجعلت تلثم فاه وعينيه وتبكي، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: أراك شعثاً نصباً قد أخلولقت ثيابك، فقال لها: لا تبكي فإن الله بعث أباك بأمر لا يبقى على وجه الأرض بيت ولا مدر ولا حجر ولا شعر إلا أدخله الله به عزاً أو ذلاً، حتى يبلغ حيث بلغ الليل»[2].

وبعد أن عاد رسول الله ﷺ من معركة أحد، وكان وجهه مجروحاً والدم يسيل منه اعتنقته وأخذت تمسح الدم ثم أخذت تغسله وعلي عليه السلام يكب الماء، فلما رأت أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة حصير فأحرقته وألصقته عليه فوقف الدم[3]، لكن الذي يبدو من هذه الرواية أن فاطمة عليها السلام كانت قد خرجت مع المسلمين إلى معركة أحد لتداوي الجرحى.

عاشت فاطمة عليها السلام مع زوجها حياة هانئة مستقرة في ظل أبيها رسول الله ﷺ وزوجها بطل الإسلام، ولم نجد رواية تدل على أن فاطمة عليها السلام غضبت من زوجها، سوى تلك الرواية التي أوردتها بعض المصادر«أن علياً خطب بنت أبي جهل فسمعت فاطمة عليها السلام فأتت رسول

---

(١) الطبراني، المعجم الكبير، ٢٢/ ٣٣٥.

(٢) المصدر نفسه، ٢٢/ ١٨٦.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ٢/ ٤٨ . ابن أبي الحديد، شرح النهج، ١٥/ ٣٥.

الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يزعم قومك أنك لا تغضب لبناتك وهذا علي ناكح بنت أبي جهل، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسمعته حين تشهد يقول: أما بعد أنكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني وأصدقني، وإن فاطمة بضعة مني وأني أكره أن يسوئها والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد، فترك علي الخطبة، وزاد محمد بن عمر بن حلحلة بن شهاب عن علي بن مسور بن مخرمة، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وذكر صهراً له من بني عبد شمس فأثنى عليه بمصاهرته إياه فأحسن، قال: حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي»[1].

ويبدو أن هذه الرواية أعجب بها أحد المستشرقين وأخذ يعلق عليها ويبني تصورات كثيرة على أساسها، حيث أن منهجه يقوم على الاعتماد على الشواذ التي يعتبرونها فتحاً علمياً اكتشفوه فقال: «وكان للنبي أبنة غير متزوجة وكانت في العشرين من عمرها أسمها فاطمة، وقد توفيت ابنته رقية منذ زمن غير قليل وكانت رقية متزوجة بعثمان وكانت فاطمة نحيفة طويلة القامة مع الشحوب، وكانت فاطمة العابسة دون رقية جمالاً ودون زينب ذكاءاً، ولم تدار فاطمة حينما أخبرها أبوها من وراء الستر أن علي بن أبي طالب ذكر اسمها، وكانت من عادة البنت إذا وافقت على الزواج سكتت وإلا حركت الستر، فلما أخبرت فاطمة بذلك صمتت، فكان ذلك عن حياء أو حيرة ما دامت قد قللت لأبيها ذات يوم أنه زوجها فقير، وكانت فاطمة تعد علياً دميماً محدوداً مع عظيم

---

(١) البخاري، الصحيح، ٥/٢٨، باب ذكر أصهار النبي ﷺ. الطبراني، المعجم الكبير، ٢٢/٣٣٧.

شجاعته، وكان على أكثر رغبة فيها من رغبتها فيه»[1].

ثم يصف خطبة الإمام علي عليه السلام لأبنة أبي جهل: «ولكن محمداً مع امتداحه قدم علي في الإسلام إرضاء لابنته، كان قليل الالتفات إليه، وكان صهرا النبي الأمويين عثمان الكريم وأبي العاص أكثر مداراة للنبي من علي، وكان علي يألم من عدم عمل النبي على سعادة ابنته، ومن عد النبي له غير قوام بجليل الأعمال، فالنبي كان يفوض إليه ضرب الرقاب وكان يتجنب تسليم قيادة إليه، وقد أراد علي يوماً أن يتزوج على فاطمة، فغضب النبي واحتج على ذلك جهراً من فوق المنبر، وهذا إلا أن علي كان غير لبق في ميله للزواج من ابنة أبي جهل وجمعه تحت سقف واحد بنت رسول الله وبنت أشد أعدائه، ومما ألم منه علي عدم إذن النبي له في الزواج من أخرى مع فاطمة كما صنع مع صهريه الآخرين»[2].

لقد ذكرنا النصين بطولهما لهذا المستشرق حتى نتعرف على آرائه التي بناها على ما موجود في كتب السيرة من روايات هزيلة أعطت الفرصة له إصدار هذه الأحكام الخارجة عن حدود البحث العلمي.

ونحن نعجب من أين جاء بأوصاف فاطمة عليها السلام وأي الروايات استدل بها على ذلك؟، إذا كان قد أستند في تحديد عمرها على ما جاء في كتب السيرة، ونحن نعرف الإجابة، أن هؤلاء حكموا على التاريخ من نظريات حياتهم التي يعيشونها ومن واقع مجتمعاتهم، فظنوا أنهم قادرون على إصدار أحكام تتلاءم وواقع المسلمين وحياتهم في تلك الفترة، وإنهم يستطيعون الحكم عليها وفق تلك المقاييس. أما قوله في

---

(١) دور منغم، حياة محمد، ص١٩٧.

(٢) المصدر نفسه، ص١٩٩.

إهمال النبي ﷺ للإمام علي عليه السلام فلا يحتاج إلى رد، فلو تصفح هذا كتب السيرة لعرف مكانه علي عليه السلام في مكة، وبعد الهجرة إلى المدينة وما أسند إليه من مهام وما قام به من جليل أعمال، وهو ممن لا يقرن به أحد شجاعة وعلماً وحلماً وعدلاً وورعاً وزهداً وقرباً من الرسول ﷺ.

والشيء المهم في آراء الفقرة الأخيرة، لأنها تخص بحثنا عن فاطمة عليها السلام التي تشير إلى خطبة علي عليه السلام لأبنة أبي جهل ورفض النبي ﷺ لهذه الخطبة، ونحن هنا لا نلقي اللوم على المستشرق لأنه وجد هذه الرواية في كتب السيرة وعلق عليها.

والرواية التي أوردناها تحمل ضعفها بين طياتها وهي متناقضة إلى درجة كبيرة لا يمكن قبولها، وهي تحمل إساءة إلى رسول الله ﷺ أولاً قبل الإمام علي وفاطمة الزهراء عليها السلام، ووجه اعتراض رسول الله ﷺ حبه لابنته فاطمة وهو لا يريد أن تجتمع إبنته وأبنة عدوه عند رجل واحد.

ولو افترضنا جدلاً أن علياً عليه السلام قدم على هذه الخطبة بالفعل، فإنه لم يأتي بشيء محرم في الشريعة، لأن الإسلام أباح الزواج بأربع، فكيف يقف رسول الله ﷺ على المنبر وأمام كل المسلمين ويحرم شرع الله الذي أتى به من عند ربه، وذلك لمحبته لأبنته فاطمة عليها السلام وهو ينادي بالمساواة والعدالة وعدم التفضيل وكون فاطمة كأي إمرأة من نساء المسلمين من منطلق المساواة، ثم يصعد على المنبر ويعرض بإحدى المسلمات وهي جويرية بنت أبي جهل[1]، ويعيرها بأبي جهل على الرغم من إسلامها، فهل تحاسب بذنب أبيها؟

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٢٦٢.

وقد روي أن عكرمة بن أبي جهل عندما أسلم هاجر إلى المدينة بعد فتح مكة فجعل عكرمة كلما مر بمجلس من مجالس الأنصار قالوا: «هذا ابن أبي جهل، وسبوا أبي جهل، فشكا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: لا تؤذوا الأحياء بسب الأموات»[1]، فإذا كان هذا حال رسول الله ﷺ في مراعاة مشاعر المسلمين، فكيف يصعد على المنبر أمام المسلمين ويهجم على هذه المرأة المسلمة وينهي عن شرع الله، وحتى إن كان قد كره هذا الأمر بقلبه لمحبته فاطمة عليها السلام ـ كما تذكر الرواية ـ وبلغ به الغيض والغضب، أليس هو الموصوف بكظم الغيض وعدم التسرع بالأحكام، وقد وصفه الله تعالى بجميل الأخلاق وكريم الآداب، فلماذا لم يعاتب علياً سراً وينهاه دون أن يجرح مشاعره ومشاعر المسلمين!.

بقيت فاطمة عليها السلام مع الإمام علي عليه السلام مدة تصل إلى عشر سنوات، حيث إنها الوحيدة من بنات الرسول ﷺ التي بقيت بعد وفاته، ففي رواية عن عائشة(رض)، قالت: «أقبلت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: مرحباً بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم أسرَّ لها حديثاً فبكت، ثم أسرَّ لها حديثاً فضحكت، فقلت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن، فسألتها عما قال، فقالت: ما كنت لأفشي سرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قبض سألتها، فأخبرتني أنه أسر إلي، فقال: إن جبريل كان يعرضني بالقرآن في كل سنة مرة واحدة وإنه عارضني العام مرتين وما أراه إلا وقد حضر أجلي، وأنك أول أهلي لحوقاً بي، ونعم السلف أنا لك فبكيت،

---

(١) مصعب الزبيري، نسب قريش، ص٣١١

فقال ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين»[1].

وبعد وفاة الرسول ﷺ فترة وجيزة توفيت فاطمة الزهراء عليها السلام وقد اختلفت الروايات في تحديدها، ففي رواية الزهري عن عروة أنها ستة أشهر، وفي رواية الواقدي عن ابن جريج، إنها توفيت بعد الرسول ﷺ بثلاثة أشهر[2]، وفي رواية عن الإمام الباقر عليه السلام إنها بقيت بعد الرسول خمس وسبعين يوماً، وعندما توفيت كان لها من العمر ثماني عشرة سنة وأشهراً[3]، وصلى عليها الإمام علي عليه السلام ودفنها في البقيع[4].

وأحاديث رسول الله ﷺ فيها كثيرة، لا تستوعبها هذه الصفحات ونكتفي بحديث واحد فقط عن الإمام الحسين عن أبيه عليه السلام: «أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة: إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك»[5].

---

(١) البخاري، الصحيح، ٤/٢٤٧، كتاب المناقب.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ٨/٢٨.

(٣) الكليني، الأصول من الكافي، ١/٤٥٨ . الأربلي، كشف الغمة، ٢/٧٦ ـ ٧٧.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٣٠.

(٥) ابن الأثير، أسد الغابة، ٧/ ٢٢٤.

الفصل السادس

حياة السيدة خديجة عليها السلام
بعد البعثة النبوية المطهرة

١ ـ موقفها من نزول الوحي
٢ ـ توجهاتها الروحية
٣ ـ إيمانها ودورها في الإسلام
٤ ـ وفاتها
٥ ـ أحاديث رسول الله «ص» فيها

موقف السيدة خديجة«ع»
من نزول الوحي على رسول الله «ص»

وردت روايات عديدة تتحدث عن نزول الوحي على رسول الله ﷺ وموقف السيدة خديجة عليها السلام من هذا الأمر، وقد حصلنا على اثنتي عشرة رواية، رواية واحدة منها عن عروة بن الزبير، وواحدة عن عكرمة عن ابن عباس واثنتان عن الزهري وثلاث عن ابن إسحاق واثنتان عن حماد بن سلمة واثنتان عن الواقدي ورواية عن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب.

١ ـ رواية عروة بن الزبير:

«أول ما رأى أن الله عز وجل أراه رؤية المنام، فشق ذلك عليه فذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأته خديجة بنت خويلد بن أسد، فعصمها الله من التكذيب وشرح صدرها بالتصديق، فقالت: أبشر فإن الله عز وجل لن يصنع بك إلا خيراً، ثم أنه خرج من عندها ثم رجع إليها فأخبرها أنه رأى بطنه شق، ثم طهر وغسل ثم أعيد كما كان، قالت: هذا والله خير فأبشر، ثم استعلن له جبرئيل عليه السلام وهو بأعلى مكة، فأجلسه على مجلس كريم معجب، كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: أجلسني على بساط

كهيئة الدرنوك فيه الياقوت واللؤلؤ، فبشرة برسالة الله عز وجل حتى اطمأن النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له جبرئيل عليه السلام: أقرأ، فقال: كيف أقرأ، قال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، قال: فقبل الرسول صلى الله عليه وسلم رسالة ربه عز وجل واتبع الذي جاءه به جبرئيل عليه السلام من عند الله عز وجل، فلما قبل الذي جاءه من عند الله تعالى وانصرف منقلباً إلى بيته جعل لا يمر على شجر أو حجر إلا سلم عليه، فرجع مسروراً إلى أهله موقناً أنه قد رأى أمراً عظيماً، فلما دخل على خديجة، قال: أرأيتك الذي كنت أخبرتك إني رأيته في المنام فإنه جبرئيل استعلن لي أرسله إلي ربي، فأخبرها بالذي جاءه من عند الله عز وجل وما سمع منه، فقالت: أبشر فوالله لا يفعل الله بك إلا خيراً، فأقبل الذي جاءك من الله عز وجل فإنه حق، وأبشر فإنك رسول الله حقاً، ثم انطلقت مكانها حتى أتت غلاماً لعقبة بن ربيعة بن عبد شمس نصرانياً من أهل نينوى يقال له عداس، فقال له: يا عداس أذكرك بالله إلا ما أخبرتني هل عندك علم من جبرئيل؟ فقال عداس: قدوس قدوس ما شأن جبرئيل يذكر في هذه الأرض التي أهلها أهل أوثان؟، فقالت: أخبرني بعلمك فيه، قال: فإنه أمين الله بينه وبين أنبيائه وهو صاحب موسى وعيسى عليهما السلام، فرجعت خديجة لورقة، وكان ورقة قد كره عبادة الأوثان، فلما وصفت خديجة لورقة حين جاءته شأن محمد صلى الله عليه وسلم وذكرت له جبرئيل عليه السلام وما جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله عز وجل، قال لها ورقة يا بنية أخي ما أدري لعل صاحبك النبي الذي ينتظر أهل الكتاب الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، وأقسم بالله لئن كان هو، ثم أظهر دعواه وأنا

حي لأبلين الله في طاعة رسول الله وحسن مؤازرته، فمات ورقة»[1].

٢ ـ أوردت بعض المصادر هذه الرواية عن عكرمة عن ابن عباس[2].

٣ ـ رواية الزهري عن عروة عن عائشة «أول ما ابتدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة، كانت تجيء مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان بغار حراء يتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق فأتاه فقال: يا محمد أنت رسول الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجثوت لركبتي وأنا قائم ثم زحفت ترتجف بوادري ثم دخلت إلى خديجة، فقلت: زملوني زملوني حتى ذهب عني الروع ثم أتاني، فقال: أنت رسول الله، قال: فلقد هممت أن أطرح نفسي من حالق من جبل، فتبدى لي حين هممت بذلك، فقال: يا محمد أنا جبرئيل وأنت رسول الله، ثم قال: أقرأ، قال: فأخذني فغتني ثلاث مرات حتى بلغ مني الجهد، ثم قال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، فقرأت فأتيت

---

(١) ابن الزبير، عروة (ت٩٤هـ)، مغازي رسول الله لعروة بن الزبير برواية أبي الأسود عنه، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، الرياض، ١٩٨١، ص١٠١ ـ ١٠٢ . الأربلي، كشف الغمة، ٢/ ١٣٣ . المجلسي، بحار الأنوار، ١٦/ ١١ . ونقل السيوطي هذه الرواية عن الزهري، أنظر الخصائص الكبرى، ١/ ٢٣١ ـ ٢٣٣ . ونقلتها بعض المصادر عن موسى بن عقبة عن الزهري ينظر محب الدين الطبري، السمط الثمين، ص٢٢ . الذهبي، تاريخ الإسلام، ١/ ١٧٦ . ابن كثير، البداية والنهاية، ٣/ ١٣٣ . ونقلها ابن سيد الناس عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، ينظر عيون الأثر، ١/ ٨٣.

(٢) ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١/ ٨٣ . محب الدين الطبري، السمط الثمين، ص١٧ ـ ١٨.

خديجة، فقلت: لقد أشفقت على نفسي فأخبرتها خبري، فقالت: أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً، والله إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، ثم انطلقت به إلى ورقة بن نوفل بن أسد ابن عم خديجة، وكان أمرأ قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخاً كبيراً قد عُمي، فقالت له إسمع من ابن أخيك، فسألني فأخبرته خبري، فقال: هذا الناموس الذي أنزل على موسى بن عمران، ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك، قلت: أومخرجي هم؟، قال: نعم إنه لم يجيء رجل قط بما جئت به ألا عودي ولئن أدركني يومك لأنصرنك نصراً مؤزراً ثم لم ينشب أن توفي ورقة»[1].

٤ ـ أوردت بعض المصادر رواية عن الزهري دون أن تذكر سندها: «فتر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة فحزن حزناً شديداً، فجعل يغدو إلى رؤوس شواهق الجبال ليتردى منها، فكلما أوفى بذروة جبل تبدى له جبرئيل، فيقول له: إنك نبي الله، فيسكن لذلك جأشه وترجع إليه نفسه، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحدث عن ذلك، قال: فبينما أنا أمشي يوماً إذا رأيت الملك الذي يأتيني بحراء على كرسي بين السماء والأرض فجئثت منه رعباً، فرجعت إلى

---

(١) الصنعاني، المصنف، ٥/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣ . ابن سعد، الطبقات، ١/ ١٩٥ . البخاري، الصحيح، ١/ ٣ ـ ٤ ، باب بدء الوحي. مسلم، الجامع الصحيح، ١/ ٩٧ ـ ٩٨ ، باب بدء الوحي. البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ١٠٥ . النبيل، أحمد بن أبي عاصم (ت٢٨٧هـ)، الأوائل، تحقيق محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٨٧ . ص٤٠ . الطبري، تاريخ، ٢/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩ . أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، ٣/ ٩٦٦.

خديجة، فقلت: زملوني فزملناه ـ أي دثرناه ـ فأنزل الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١][1].

٥ ـ رواية ابن إسحاق عن وهب بن كيسان مولى آل الزرير أنه سمع عبيد بن عمير بن قتادة الليثي يحدث عبد الله بن الزبير: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء من كل سنة شهراً وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية، يطعم المساكين، فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره من شهر ذلك، كان أول ما يبدأ به إذا انصرف من جواره قبل أن يدخل بيته، الكعبة يطوف بها سبعاً أو ما شاء الله من ذلك حتى إذا كان الشهر الذي أراده الله تعالى به ما أراد من كرامته من السنة التي بعثه الله فيها وذلك الشهر شهر رمضان، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حراء كما كان يخرج ومعه أهله، حتى إذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها جاءه جبرئيل عليه السلام بأمر الله تعالى»، ثم يذكر تفاصيل تشبه ما جاء في رواية الزهري من خنق جبرئيل له حتى ظن أنه الموت، لكنه ذكر أنه كان نائماً أي أن الوحي رؤيا منام، ثم رجوعه إلى السيدة خديجة عليها السلام، فقالت له: «يا أبا القاسم أين كنت؟ فو الله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا لي»، فذكر لها ما رأى فطمأنته، ثم ذهبت إلى ورقة بمفردها وأخبرته بالأمر، فقال لها نفس ما جاء في رواية الزهري ثم رجعت إلى الرسول صلى الله عليه وآله وأخبرته بالأمر فخرج ليطوف بالكعبة فلقيه ورقة وسأله عن الأمر فأخبره[2].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/١٠٨ . الطبري، تاريخ، ٢/٣٠٦ . الذهبي، تاريخ الإسلام، ١/٦٨ . المقريزي، إمتاع الأسماع، ١/١٤.

(٢) ابن هشام، السيرة، ١/٢١٨ ـ ٢١٩ . الطبري، تاريخ، ٢/٣٠١ ـ ٣٠٢ . المقدسي، البدء والتاريخ، ٤/١٤٢ ـ ١٤٣ . الكلاعي، الاكتفاء، ١/٢٦٢ ـ ٢٦٦.

٦ ـ رواية ثانية عن ابن إسحاق عن إسماعيل بن حكيم مولى آل الزبير: «إنه حدث عن خديجة رضي الله عنها إنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أي ابن عم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟، قال: نعم، قالت: فإذا جاءك فأخبرني به، فجاءه جبرئيل عليه السلام كما كان يأتيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخديجة: هذا جبرئيل قد جاءني، فقالت: نعم فقم يا ابن عم فاجلس على فخذي اليسرى فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عليها، فقالت هل تراه؟ قال: نعم، قالت: فتحول فأقعد على فخذي اليمنى فتحول رسول الله فجلس عليها، فقالت: هل تراه؟، قال: نعم، قالت: فتحول إلى حجري، فجلس في حجرها، قالت: هل تراه؟، قال: نعم، فتحسرت فألقت خمارها ورسول الله جالس في حجرها، ثم قالت: هل تراه؟، قال: لا، فقالت: يا ابن عم إثبت وأبشر فوالله إنه لملك وما هو بشيطان»، وقال ابن إسحاق: حدثت بهذا الحديث عبد الله بن الحسن، فقال: قد سمعت أمي فاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة، ألا إني قد سمعتها تقول: أدخلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبرئيل، فقالت لرسول الله إنه ملك وما هو بشيطان»[1].

٧ ـ رواية ثالثة عن ابن إسحاق عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل[2]، «إن النبي صلى الله عليه وسلم أول ما بعث يدعى يا محمد

---

(١) ابن هشام، السيرة، ١/ ٣٢٢ . الطبري، تاريخ، ٢/ ٣٠٣ . السهيلي، الروض الأنف، ١/ ٢٧٤ ـ ٢٨٥.

(٢) عمرو بن شرحبيل، أبي ميسرة الهمذاني الكوفي روى عن عمر وعلي وابن مسعود وحذيفة وسليمان، وروى عنه أبو وائل وأبو إسحق السبيعي وغيرهم توفي في ولاية ابن=

ولا يرى شيئاً غير أنه يسمع الصوت فيهرب في الأرض، قال: فذكر ذلك لخديجة بنت خويلد وقال خشيت أن يكون قد عرض لي أمر، قالت: وما ذاك، قال: إذا خلوت دعيت فاسمع صوته ولا أرى شيئاً فقد خشيت، قالت: ما كان الله ليفعل بك سوء إنك لتصدق الحديث وتؤدي الأمانة، ثم إن خديجة قالت لأبي بكر الصديق: انطلق مع محمد إلى ورقة بن نوفل فإنه رجل يقرأ الكتب فليذكر له ما يسمع، فانطلقا حتى أتيا ورقة بن نوفل، فقال له ورقة: ليس عليك بأس، فإذا دعيت يا محمد فأثبت حتى تسمع ما يقال لك فثبت للصوت، فقال له: قل بسم الله الرحمن الرحيم فأعاده ثلاث مرات، ثم قال: قل الحمد لله رب العالمين ثلاث مرات حتى ختمها، فقال له: قل آمين، ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى ورقة فذكر له ذلك، فقال: أشهد إنك النبي الذي بشر به عيسى، وإنك الذي نجد في الكتب وإنك لنبي مرسل، ولتؤمرنه بالقتال ولئن طالت لي الحياة لأقاتلن معك»[1]

٨ ـ رواية حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يا خديجة إني أرى ضوءاً وأسمع صوتاً لقد خشيت أن أكون كاهناً، فقالت: إن الله لا يفعل بك ذلك يا ابن عبد الله إنك لتصدق الحديث وتؤدي الأمانة»[2].

= زياد على العراق سنة ثلاث وستين هجرية. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ٨/ ٤٧.

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ١٠٦ . الواحدي، أسباب النزول، ص ١١. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله(ت٧٩٤هـ) البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ١٩٥٧، ١/ ٢٠٧ . ابن الجوزي، الوفا، ١/ ١٦٠ ـ ١٦١.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ١/ ٩٥.

٩ ـ رواية حماد بن سلمة فيما يحسبه عن ابن عباس: «أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا خديجة إني أسمع صوتاً وأرى ضوءاً وإني أخشى أن يكون بين جنن، فقالت: لم يكن الله يفعل بك ذلك يا ابن عبد الله، ثم أتت ورقة بن نوفل فذكرت له ذلك، فقال: إن يك صادقاً فهذا ناموس مثل ناموس موسى، فإن يبعث وأنا حي فسأعزره وأنصره وآمن به»[١].

١٠ ـ رواية الواقدي بسنده عن ابن عباس: «قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وهو بأجياد قد رأى ملكاً واضعاً أحد رجليه على الأخرى في السماء يصيح يا محمد أنا جبرئيل، يا محمد أنا جبرئيل، فذعر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجعل يراه كلما رفع رأسه إلى السماء، فرجع سريعاً إلى خديجة فأخبرها خبره، وقال: يا خديجة والله ما أبغضت بغض هذه الأصنام شيئاً قط، ولا الكهان وإني لأخشى أن أكون كاهناً، قالت: كلا يا ابن عم لا تقل ذلك، فإن الله لا يفعل بك ذلك أبداً، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة وإن خلقك لكريم ثم انطلقت إلى ورقة..»، وقال لها كما جاء بالروايات السابقة[٢].

١١ ـ رواية الواقدي عن نجيح عن محمد بن قيس، يذكر فيها ذهابها إلى ورقة وقول ورقة في هذه الرواية كما جاء في الروايات السابقة، ثم يذكر ذهابها إلى عداس الذي ذكرته رواية عروة بن الزبير، فتخبر الرسول ﷺ بذلك[٣].

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ١/ ١٩٥ . ابن حنبل، المسند، ١/ ٣١٢.
(٢) ابن سعد، الطبقات، ١/ ١٩٥ . البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ١٠٤.
(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ١١١.

١٢ ـ رواية محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب بسنده عن عبد الله بن شداد، وهي تشبه رواية الزهري وابن إسحاق في مجيء جبرئيل إلى النبي ﷺ، ونزول الآيات الخمس الأولى من سورة العلق وتطمين السيدة خديجة عليها السلام وذهابها إلى ورقة بمفردها[١].

بعد أن استعرضنا روايات نزول الوحي سوف نركز بحثنا على نقاط ثلاث وعلى الشكل الآتي:

١ ـ ورد في رواية الزهري عن عروة عن عائشة وفي رواية ابن إسحاق عن عبيد بن عمير الليثي أن رسول الله ﷺ كان يتعبد في غار حراء[٢]، قبل نزول الوحي عليه لذلك سوف نناقش دور السيدة خديجة عليها السلام من هذا الأمر.

٢ ـ ذكرت الروايات أن الرسول ﷺ عندما أخبر السيدة خديجة عليها السلام طمأنته وهدأته وبشرته أنه نبي وكان موقفها عكس موقفه حيث كان خائفاً مذعوراً من هول المفاجأة وظن في نفسه أنه مجنون أو كاهن، وأراد أن ينتحر، وفي رواية ابن إسحاق عن إسماعيل بن حكيم أنها أجرت اختباراً للرسول صلى الله عليه وسلم لتعرف ما الذي يأتيه ملك أو شيطان.

٣ ـ أشارت هذه الروايات إلى دور ورقة بن نوفل ابن عم السيدة

---

(١) الطبري، تاريخ، ٢/ ٢٩٩.

(٢) يقع غار حراء في أعلى جبل أبي قبيس في الجهة الجنوبية الغربية من مكة، ويبعد ثلاثة أميال عنها، وهو جبل صعب الصعود لا يصعد إلى أعلاه إلا من موضع واحد فصخوره ملساء، منقطع من جميع نواحيه لا يرقاه راق، ينظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢/ ٢٣٣.

خديجة عليها السلام في نزول الوحي على الرسول ﷺ وتطمينه له وتثبيته على النبوة، فذكرت رواية الزهري إنها أخذت رسول الله ﷺ إليه، وذكرت بعض الروايات إنها ذهبت إليه بمفردها، وفي رواية ابن إسحاق عن عمرو بن شرحبيل إنها أرسلت معه أبا بكر، وفي بعض الروايات إنها ذهبت إلى راهب اسمه عداس، فيما أضافت روايات أخرى أنها ذهبت إلى راهب اسمه بحيرا لتسأله[1].

جاء في رواية الزهري وابن إسحاق أن رسول الله ﷺ كان يتحنث قبل نزول الوحي، لكن هذه الروايات لم تبين لنا المدة التي كان يتعبد بها. وهنا نتساءل هل كانت التوجهات الروحية للرسول ﷺ وليدة سن الأربعين عند نزول الوحي عليه أو سابقة لذلك، وهل كانت السيدة خديجة عليها السلام شريكة هذا التوجه الروحي؟

أطلقت هاتان الروايتان تسمية «التحنث» على التوجه الروحي لرسول الله ﷺ وقد شرح ابن هشام معنى الكلمة، فقال: «التحنث: التبرر، تقول العرب التحنث التحنف يريدون الحنيفية، فيبدلون الفاء من الثاء، كما قالوا جدف وجدث يريدون القبر»[2] وقال ابن منظور: «يجوز أن تكون ثاء يتحنث بدل من فاء يتحنف، وفلان يتحنث من كذا أي يتأثم منه، وقوله: يتحنث أي يفعل فعلاً يخرج به من الإثم والحرج، ويقال: وهو يتحنث أي يتعبد الله»[3].

---

(١) السهيلي، الروض الأنف، ١/ ٢١٥ . النويري، نهاية الأرب، ١٦/ ١٧٢ . ابن حجر، الإصابة، ٢/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧.

(٢) السيرة النبوية، ١/ ٢١٨ ـ ٢١٩.

(٣) لسان العرب، ١/ ٧٣٤ . مادة حنث.

وهذا يعني أن التحنث هو عبادة الله على ديانة إبراهيم الخليل عليه السلام الحنيفية التي شهدت مكة جزءاً من أدوارها، وبالرغم من أننا لا نعرف الكثير عن الديانة الحنيفية لكننا نستطيع أن نتعرف عليها من خلال الروايات التي ذكرت بعض طقوسها، ففي رواية ابن عباس: «كانت قريش إذا دخل شهر رمضان خرج من يريد التحنث منها إلى حراء، فيقيم فيها شهراً ويطعم من يأتيه من المساكين، حتى إذا رأوا هلال شوال لم يدخل على أهله حتى يطوف بالبيت أسبوعاً «سبعاً» فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك»[1]، وهذا يدل على أن التحنث هو عادة قريشية ارتبطت بشهر رمضان، الذي كان له مكانة دينية عند قريش[2].

وربما جاء هذا الاحترام من ارتباطه بموروث ديني في مكة له علاقة بديانة إبراهيم عليه السلام، وفي رواية أن عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم كان: «أول من تحنث بحراء فلم يخرج حتى ينسلخ الشهر، ويطعم المساكين وكان يعظم الظلم ويكثر الطواف في البيت»[3]، وفي رواية الزهري بسنده عن حكيم بن حزام، قال: «قلت يا رسول الله أرأيت أشياء كنت أتحنث بها في الجاهلية من صدقة وعتاقة وصلة رحم، هل فيها من أجر»[4].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ١٠٥.

(٢) علي، تاريخ العرب في الإسلام، ص١٣٠.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٢٨٤ . ابن الأثير الكامل، ٢/ ٢١٥ . النويري، نهاية الأرب، ١٦/ ٨٩ . الفاسي، شفاء الغرام، ٢/ ٨٦ . الحلبي، السيرة الحلبية، ١/ ٢٥٩.

(٤) ابن بكار، جمهرة نسب قريش، ١/ ٣٦٢ . ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٧٣٤ . مادة حنث.

وكذلك قول السيدة عليها السلام للرسول ﷺ في أنه يقري الضيف ويعين على الحق وغير ذلك، نستنتج أن هذه الأمور من صلة رحم وإطعام المساكين والاعتكاف والطواف حول الكعبة، هي من بقايا الحنيفية، ووجد في قريش من يقوم بها، وبالرغم من عدم وجود كتب لديانة إبراهيم عليه السلام لكن هذه العبادات التي قدمناها تدل على وجود تراث شفوي لهذه الديانة.

إذن كان الرسول ﷺ يمارس هذه العبادات التي يمارسها بعض الناس في مكة وتميز هو عليهم بأنه لم يكن مقلداً لما موجود، بل إنه كان صاحب فكر وعقيدة، تتلخص باستهجان الوثنية والشرك والفساد، فلم يشارك قومه فيما اعتادوه من مفاسد بل كان بعقله وروحه أكبر مما هو موجود في مجتمعه من تناقضات.

ولم يكن توجهه الروحي طارئاً بل كان أصيلاً فيه، فمنذ صغره أحس بتفاهة الشرك وكان في نفسه الكثير من التساؤلات عن حقيقة الوجود والسموات والأرض والخلق وغير ذلك، التي لم يجد لها إجابة في ما هو موجود من معتقدات في مكة فأخذ يتفكر ويتطلع ويبحث عن الحقيقة، متخذاً من الاختلاء والابتعاد عن الناس وسيلة لذلك.

وأتاح له زواجه من السيدة خديجة عليها السلام الاستقرار النفسي والعائلي وأعطاه الوقت الكافي لكي يمارس ما جبل عليه من تفكر ورياضة روحية، بعد أن ارتاح من أعباء العيش وهموم الحياة فلم تكن السيدة خديجة عليها السلام تثقل كاهله بمتطلبات المعيشة، بل على العكس من ذلك تماماً حيث أخذت تهيىء نفسها معه في التقرب من خالق الكون عن طريق ما وفرته له من الوسائل الملائمة حتى يتفرغ لتوجهه الروحي،

فضلاً عن مشاركتها في هذا التوجه، فنشأتها كانت نشأة دينية حيث اعتنق اثنان من أبناء عمومتها النصرانية، وهما ورقة بن نوفل وعثمان بن الحويرث، ومن الطبيعي أن تكون قد تأثرت بهما بحكم القرابة التي تربطها بهم فأطلعوها على آرائهم.

وأصبح هناك توافق بين نشأتها وما وجدت عليه رسول الله ﷺ من تعبد وتدين فتأثرت به واقتربت من أفكاره لدرجة كبيرة، وهذا يتضح من روايتي الزهري وابن إسحق.

حيث أن الروايتين تشيران إلا أنها كانت معه في الغار عندما نزل عليه الوحي، ففي رواية الزهري بعد أن يذكر تحنثه ونزول الوحي عليه يقول: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فجثوت لركبتي وإني قائم ثم زحفت ترتجف بوادري، ثم دخلت على خديجة فقلت زملوني زملوني حتى ذهب عني الروع، فقال: أنت رسول الله، قال: فلقد هممت أن أطرح نفسي من حالق من جبل»[1].

وهذا يعني وجودها بالقرب منه حتى يعود إليها ويطلب منها أن تدثره. ورواية ابن إسحق صريحة في هذا الأمر: «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حراء كما كان يخرج ومعه أهله»[2]، وبعد أن نزل عليه الوحي رجع إليها، فقالت له: «يا أبا القاسم أين كنت؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا إليّ»[3].

ويعزز رأينا ما ورد عن عائشة(رض): «أن رسول الله صلى الله

---

(١) الصنعاني، المصنف، ٥/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣.

(٢) ابن هشام، السيرة، ١/ ٢١٨.

(٣) المصدر نفسه، ١/ ٢١٩.

عليه وسلم نذر أن يعتكف شهراً هو وخديجة بحراء»[1].

لم تحدد لنا الروايات المدة التي بقي رسول الله ﷺ يتحنث بها قبل نزول الوحي، حيث أن روايتي الزهري وإبن إسحق لا يوجد فيهما تحديد زمني، فرواية الزهري تقول أنه كان يتعبد «الليالي ذوات العدد» دون تحديد، ورواية إبن إسحق تقول أنه كان يتعبد شهراً من كل سنة.

ورغم عدم التحديد يمكن أن نستنتج أن رواية ابن إسحق تتحدث عن الفترة البعيدة من نزول الوحي في شهر رمضان من كل سنة، أما رواية الزهري فتشير إلى الفترة القريبة من نزول الوحي، لأن الليالي ذوات العدد ربما تكون فترة أكثر من الشهر في السنة[2]، وذلك بعد أن زادت عليه الرؤى فأحس بقربه من خالق الكون وشعوره بما هو عليه من اصطفاء الله له، لذلك أخذ يداوم على الاعتكاف في غار حراء، ويؤيد ذلك رواية ابن إسحق: «أن رسول الله ﷺ حين أراده الله بكرامته وابتداء النبوة فلا يمر رسول الله بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، قال: فيلتفت رسول الله حوله، عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى إلا الشجر والحجارة، فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك يرى ويسمع ما شاء الله أن يمكث، ثم جاءه من كرامة الله وهو

---

(١) أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، ١/ ٢٧٨.

(٢) أشار بعض الباحثين بأن رواية الزهري تبين أن واقع التحنث هو ذاتي شخصي بعد فترة من الرؤيا وأنه كان يتحنث الليالي ذوات العدد والتي لا نعلم عنها شيئاً، ورواية ابن إسحاق تثبت أن التحنث عادة قريشية قديمة وإنها تجري في شهر رمضان، وهذا الرأي دقيق لكنهم قالوا أن الروايتين مختلفتان تماماً، ونحن نرى أن الروايتين يكمل بعضها الآخر كما أوضحنا أعلاه، ينظر العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ص٢٧٢ . عاقل، عصر الرسول، ص٢٨ ـ ٢٩.

بحراء في شهر رمضان»[1].

وهذا يعني أن التوجهات الروحية للرسول ﷺ لم تكن وليدة سن الأربعين بل كانت سابقة لها بفترة طويلة، وشاركته السيدة خديجة عليها السلام في هذه التوجهات، وأعانته على ما يعتلج في صدره من نزعات روحية، لم يكن باستطاعة أي امرأة مهما أوتيت من عاطفة الحب أن تعينه على ذلك، فصحبته مضحية برغباتها عازفة عن متاع الدنيا[2]، وهذا هو سر اختيار رسول الله لها.

إذن لا صحة للروايات التي ذكرت تقرب رسول الله ﷺ وزوجته من الأصنام، أو اعتقاده بها، فقد ورد عن هشام بن عروة عن أبيه، قال: حدثني جار لخديجة بنت خويلد إنه سمع «النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول لخديجة: أي خديجة والله لا أعبد اللات والعزى، لا أعبدها أبداً، قال: فتقول خديجة: خل اللات خل العزى، قال: كانت صنمهم التي كانوا يعبدون ثم يضطجعون»[3].

وهذا يعني أن الرسول ﷺ كان يعتقد باللات والعزى وبعقيدة الشرك التي كان يعتنقها قومه، وهذا الأمر مخالف لكل الروايات التي ذكرت أن رسول الله ﷺ لم يتقرب إلى الأصنام، ولم يشارك قومه فيما يفعلون، وهذا الموقف الذي نسب إلى زوجته، التي لم تذكر لنا المصادر إنها تقربت من الأصنام، وكذلك تخالف اختيار السماء له

---

(١) ابن هشام، السيرة، ١/٢١٧.

(٢) الساعي، ابراهيم زكي، أم الإشتراكية خديجة بنت خويلد، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، د.ت، ص ٧٢.

(٣) ابن حنبل، المسند، ٤/٢٢٢.

ليكون هادياً ومبشراً ونذيراً، فإذا كان يعبد الأصنام ولديه أحدها في بيته فما وجه اختياره وبماذا تميز عن المشركين؟!!

وهذه الرواية تشبه رواية ابن إسحق التي ربما نقلها عن عروة بن الزبير، لأن كل الروايات التي ورد فيها أن الرسول ﷺ كان يعتقد بالأصنام جاءت عن طريق عروة، والرواية تقول أن الرسول ﷺ التقى بزيد بن عمرو بن نفيل «أحد الذين تركوا عبادة الأصنام كما هو حال ورقة وعثمان» ونهاه عن أكل ما ذبح على النصب ونهاه عن الأوثان، «إنه كان أول من عاب عليَّ الأوثان ونهاني عنها»[1]، وهذه الرواية لم يذكرها ابن هشام في تهذيبه لسيرة ابن إسحق، وفي هذا الأمر يرى الملاح «أن هذا النص ضروري حتى نفهم التطور العقائدي لرسول الله ﷺ»، ويستغرب من حذف ابن هشام هذه الرواية[2]، وعد أحد المستشرقين هذه القصة بأنها القصة الحقيقية الوحيدة في سيرة النبي ﷺ[3]، وأيد أحد الباحثين هذا الرأي واعتبر تعبد رسول الله ﷺ في غار حراء نتيجة لاتصاله بزيد بن عمرو بن نفيل[4].

وهذه الآراء لا تستند إلى منطق عقلي، فلا نعرف كيف اعتبر هذا المستشرق قصة زيد هي الوحيده الحقيقية في سيرة الرسول ﷺ مع أنها رواية مفردة يخالفها العقل والواقع والروايات، أما باحثونا الذين اعتقدوا

---

(١) ابن إسحق، السير والمغازي، ص١١٨.

(٢) الوسيط في السيرة النبوية، ص٩٨.

(٣) جيوم، الإسلام، ص٢٧ ـ ٢٨.

(٤) عوض الله، أحمد أبو الفضل، مكة في عصر ما قبل الإسلام، ط٢، الرياض، ١٩٨٠، ص١٠٤ ـ ١٠٥.

أن هذه الرواية ضرورية لفهم التطور العقائدي لرسول الله ﷺ، فهل يعتقد هؤلاء الباحثون أن رسول الله ﷺ كان يعبد الأصنام؟، ثم تحول عنها بناءاً على أوامر زيد بن عمرو؟، ألم يسألوا أنفسهم إذا كان عقل زيد أرشده لترك عبادة الأصنام وأكل ما ذبح على النصب، فكيف لم يستقبح رسول الله ﷺ هذه العبادة التي يأنف منها ذوو العقول البسيطة؟، ثم إذا كان الأمر صحيحاً، وكان زيد أسبق من الرسول ﷺ إلى الابتعاد عن عبادة الأصنام، فلماذا لم يبعثه الله رسولاً؟.

وإذا انتقلنا إلى نزول الوحي على رسول الله ﷺ ودور السيدة خديجة عليها السلام في ذلك نجد أن الروايات التي بين أيدينا متفقة على أن موقفها كان إيجابياً من هذا الأمر، فأخذت تعدد خصاله الكريمة «فوالله لا يخزيك الله أبداً، والله إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق»[1].

وهذا يقودنا للإستنتاج أن النشأة الدينية لها أثرت في موقفها له كما أن بقاءها مع الرسول ﷺ هذه الفترة الطويلة، ارتفع بمستواها الديني إلى حد كبير، فاستقبلت هذا النبأ بثبات ويقين ولم يأخذها شك في أقوال زوجها، وحالتها النفسية المستقرة عندما أخبرها زوجها نبأ الوحي تدل على أنها كانت تمتلك عقلاً حصيفاً يبعث على الإستقرار، فضلاً عن معرفتها باستقامة منهج حياة زوجها وعزوفه عن معبودات قومه الوثنية[2]، كما أن فترة الاستعداد النفسي والروحي الطويلة الذي شاركت بها الرسول ﷺ جعل أمر نزول الوحي يبدو نتيجة لكل ذلك.

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ١/ ١٩٥.

(٢) الصفار، زوجات النبي، ص٥٢٥.

لكن بالرغم مما ذكرناه آنفاً نحن لا نتفق مع ما ذهبت إليه الروايات التي أشارت إلى أن موقفها كان أكثر ثباتاً ويقيناً من موقف الرسول ﷺ، وهذا الأمر غير مقبول تماماً، حيث صورت لنا الروايات أن رسول الله ﷺ لم يكن على يقين من أمره حتى طمأنته السيدة خديجة عليها السلام وثبتته، ثم رتبت اللقاء مع ابن عمها ورقة الذي زاد بدوره من يقين الرسول ﷺ بما نزل عليه من عند ربه، وهنا يجدر بنا مناقشة هذه المواقف الثلاثة، وتحليلها والخروج بالصورة التي تناسب مقام النبوة.

في البداية نأتي إلى موقف جبريل عليه السلام الذي ذكرته الروايات، حيث كان شديداً على الرسول ﷺ فأخذ يخنقه حتى ظن أنه الموت، وهذا يدعونا إلى التساؤل، ألم يكن لجبرئيل وسيلة يبلغ بها غير الأخذ بالخناق والغط له؟، إنها وسيلة بشعة لا تدل على كرامة إن لم تكن دالة على غيرها، وما هذا العناد المريب من رسول الله ﷺ ـ الذي ذكرته الروايات ـ فالملك يقول له أقرأ وهو يقول ما أنا بقارىء، ثم لا يقبل إلا بعد أن يرى الجهد أو الموت ثلاث مرات، ولقد اضطره الجهد إلى القبول ولعله لولا ذلك لم يقبل النبوة أبداً[1].

إن هذه الأمور مرفوضة لأن الرسول ﷺ أكرم على الله من ذلك، وربه أرحم به من أن يفعل به ذلك، وهذا يتضح فيما سنقدمه في روايات، ففي رواية عن الشعبي، بسنده عن عائشة(رض)، أنها قالت: أن جبرئيل عليه السلام كان يأتي «في صورة رجل»[2]، وفي رواية عن ابن عباس

---

(١) البعاج، عبد الستار، خديجة الكبرى، مطبعة الغري الحديثة، النجف الأشرف، ١٩٥٦، ص ٥١.

(٢) البخاري، الصحيح، ٤/ ١٤٠.

(رض) أن النبي ﷺ قال: «كان من الأنبياء من يسمع الصوت يكون نبياً بذلك، وإن جبرئيل كان يأتيني كما يأتي أحدكم صاحبه فيكلمه»[1]، وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «كان جبرئيل إذا أتى النبي صلى الله عليه وسلم قعد بين يديه قعدة العبد وكان لا يدخل حتى يؤذن له»[2]، وفي رواية «أجمل الناس من كان جبرئيل ينزل على صورته»[3]، فكيف نتصور أن جبرئيل آذى الرسول ﷺ وخنقه وغير ذلك.

إن الذي تطمئن له النفس هو ما جاء في رواية عروة بن الزبير التي ذكرناها «ثم استعلن له جبرئيل عليه السلام وهو بأعلى مكة، فأجلسه على مجلس كريم معجب، كان النبي يقول: أجلسني على بساط كهيئة الدرنوك، فيه اللؤلؤ فبشره برسالة الله عز وجل»[4]، لا سيما وإن هذه الرواية جاءت أيضاً عن عبد الله بن عباس(رض).

المسألة الثانية في هذه الروايات هي شك الرسول ﷺ في الوحي، وإن الذي جاء من الله فظن في نفسه أنه مجنون وأراد أن ينتحر، في الوقت الذي تصور لنا هذه الروايات موقف السيدة خديجة عليها السلام وورقة بن نوفل الثابت المتيقن من أن الذي أتى محمد ﷺ هو من الله تعالى وإنه نبي هذه الأمة، إذن كيف جزم ورقة والسيدة خديجة عليها السلام بهذا الأمر؟، هل كانا على معرفة بجبرئيل أكثر ممن أنزل على قلبه القرآن؟.

يجدر بنا أن نتعرف على ورقة وتوجهاته الدينية، لكي نعرف

---

(١) ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١/٨٨.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ١٨/٢٥٦.

(٣) السيوطي، الخصائص الكبرى، ١/٣٠٠.

(٤) ابن الزبير، مغازي رسول الله (ص)، ص ١٠١.

حقيقة دوره في نزول الوحي على رسول الله ﷺ والسبب الذي دفع السيدة خديجة عليها السلام لاستشارته في أمر الرسول ﷺ.

جاء في رواية عن ابن إسحق أن جماعة من قريش هم ورقة بن نوفل وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل وعبيد الله بن جحش، كانوا قد اجتمعوا عند أحد الأوثان، فتشاوروا بينهم واستنكروا ما عليه قومهم من وثنية وأرادوا الرجوع إلى دين إبراهيم الحنيف، فانتشروا يبحثون عن الدين، فاعتنق ورقة وعثمان وعبيد الله بن جحش النصرانية، واعتنق زيد الحنيفية[1].

والذي يهمنا من هؤلاء ورقة بن نوفل الذي اعتنق النصرانية، لكن الروايات لا تذكر لنا متى اعتنقها ومن الذي علمه إياها وعلى أي مذهب من مذاهبها كان[2]، وما هي الكتب التي قرأها، هل قرأ التوراة والإنجيل الموجودة الآن أم غيرها؟، لم تذكر لنا الروايات

---

(١) ابن إسحق، السير والمغازي ص ١١٥ ـ ١٢٠. ابن هشام، السيرة، ١/ ٢٥٠. ابن حبيب المحبب، ص١٧١.

(٢) انتشرت النصرانية في مناطق متعددة، مثل بلاد الشام واليمن والعراق، لكنها تشعبت إلى فرق ومذاهب متعددة، وأكثر هذه المذاهب انتشاراً في البلاد العربية مذهبا النساطرة واليعاقبة، وهذه المذاهب على اختلافها تتفق على أن المسيح ليس ببشر، بل هو إلة واختلفت في طبيعته فقط، وللتعرف على آراء هذه المذاهب وتشعباتها، ينظر عبد الجبار، القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، تثبيت دلائل النبوة، تحقيق عبد الكريم عثمان، الدار العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٦، ص ٩٢ وما بعدها. ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة المثنى، بغداد د.ت. ١/ ٤٨ ـ ٤٩، ديورانت، ول. قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، ١٩٦٤، ١١/ ٢٩٠ ـ ٢٩١. علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٦/ ٦٣٠، وما بعدها.

سوى أنه قرأ الكتب وكان نصرانياً.

لقد اختلفت الروايات في لقائه بالرسول ﷺ فرواية الزهري عن عروة عن عائشة (رض) أن السيدة خديجة عليها السلام أخذت الرسول ﷺ إلى ورقة، وفي رواية ابن إسحق بسنده عن عبيد بن عمير الليثي، ورواية حماد بن سلمة فيما يحسبه عن ابن عباس، ورواية الواقدي بسنده عن ابن عباس، ورواية محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب بسنده عن عبد الله بن شداد، ذكرت أن السيدة ذهبت إليه بمفردها، وفي رواية ابن إسحق عن عمرو بن شرحبيل إنها أرسلت معه أبا بكر (رض).

وذكرت هذه الروايات تفاصيل اللقاء بين الرسول ﷺ وورقة، ففي رواية الزهري طلبت السيدة خديجة عليها السلام من الرسول ﷺ أن يقص ما رآه على ورقة وبعد أن ذكر له ذلك أخبره ورقة أنه وحي من الله وهو مثل موسى عليه السلام وأنه سيلقى شدة من أمته، ووعده بنصره وتأييده إذا بقي على قيد الحياة، وفي رواية ابن إسحق عن عبيد بن عمير الليثي، قال ورقة للسيدة خديجة عليها السلام نفس ما جاء في رواية الزهري، وأمرها أن تقول له فليثبت ما يسمعه من أصوات فثبت لها كذلك بقية الروايات، ورواية إبن إسحق عن عمرو بن شرحبيل خالفت الروايات السابقة حيث ذهب معه هذه المرة أبو بكر فتولى مهمة إخبار ورقة، فأمره إن يثبت لما يسمعه من أصوات فثبت لها فنزلت عليه سورة الفاتحة، ثم عاد لورقة فأخبره بالأمر فبشره ورقة بأنه رسول الله.

هذا ملخص ما قدمته الروايات من لقاء الرسول ﷺ بورقة، وكما يبدو منها أن الذي دفعه إلى الذهاب إليه شكه في نفسه، وطلب السيدة خديجة عليها السلام منه ذلك.

أما شك الرسول ﷺ فقد ذكرت الروايات أنه لا يعرف أن الذي يأتيه من الله تعالى أم من الجن والشياطين أو غير ذلك، وهذا الأمر لا يمكن قبوله لأن الله تعالى عندما اختار محمداً ﷺ لرسالته واصطفاه من بين الخلق، كان يعلم أنه بمستوى الرسالة وبمستوى الإختيار، كما أنه لا يكلف النفس بما لا تطيق وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1]، برهان على ذلك، فإذا كان محمد ﷺ لا يستطيع استقبال الوحي فكيف يكلفه الله عز وجل بذلك؟، كما إن الرسالة لم تكن وليدة يوم الوحي بل سبقتها مقدمات كثيرة ولسنين طويلة، إذن فالرسالة كانت عقيدة قبل أن تكون وحياً، وإيماناً قبل أن تكون سلوكاً.

وفي رواية أن الإمام الصادق عليه السلام سئل كيف عرف رسول الله ﷺ أن الذي يأتيه من قبل الله تعالى وليس من الشيطان؟، فقال: «إن الله إذا اتخذ عبداً رسولاً أنزل عليه السكينة والوقار، فكان الذي من قبل الله مثل الذي يراه بعينه»[2].

إذن عدم التمييز بين الشيطان والملك شيء لا أساس له، وجاء في القرآن الكريم آيات دالة على ذلك، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾[4]، وهذه الآيات دالة على المعنى الذي ذكرناه، فالآية الأولى تذكر أن أم موسى عليه السلام وهي ليست من

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار، ١٨/ ٢٦٢.

(٣) سورة القصص، الآية ٧.

(٤) سورة النحل، الآية ٦٨.

الأنبياء، أوحى الله لها أن ترضع ابنها، فكان هذا الإيحاء هو توفيق من الله لهذا العمل، والنحل حيوان لا عقل له، ألهمه الله كيف يبني بيته في الجبال.

فكيف لم يوفق الله تعالى نبيه للتمييز بين جبريل عليه السلام والشيطان؟، فتقوم السيدة خديجة عليها السلام ـ حسب رواية ابن إسحق عن اسماعيل بن الحكيم ـ بإجراء اختبار لجبرئيل، فأخذت تجلس رسول الله ﷺ على فخذها الأيسر ثم الأيمن.. الخ، وتسأله إن كان يراه حتى إذا نزعت خمارها غاب جبرئيل، فعندها أخبرته أنه ملك وليس بشيطان، إذ لو كان شيطاناً لما غاب، وذكرت بعض المصادر أن هذا الاختبار كان بناءاً على نصيحة ورقة[1].

وهذا يدعونا إلى التساؤل، هل نزلت آيات الحجاب في مكة أم المدينة؟، أن الروايات تذكر أن آية الحجاب نزلت في المدينة[2]. إذن كيف نزعت خمارها؟ وهل كان لجبرئيل غريزة حتى يبتعد عندما يرى إنهما يلوحان لما يحدث بين المرء وزوجه، كما أن الرواية فيها عبارة تقول «هل تخبرني بصاحبك الذي يأتيك»[3]. أي أنه شاهده قبل ذلك، فهل من المعقول أن لا يعرف الرسول ﷺ أنه من الله وقد أتاه عدة مرات؟!

أما ذهاب السيدة خديجة عليها السلام إلى ورقة سواء مع الرسول ﷺ أو

---

(١) المقدسي، البدء والتاريخ ٤/ ١٤٢. ابن شهر آشوب، المناقب ١/ ٤٢. ابن الجوزي، الوفا، ١/ ١٦٤، السيوطي، الخصائص الكبرى، ١/ ٢٣٨.

(٢) ينظر الزركشي، البرهان، ١/ ١٩٣.

(٣) ابن هشام، السيرة، ١/ ٢٢٣.

بمفردها أو ذهابه بصحبة أبي بكر، ففيه الكثير من التساؤلات، فإذا كان ذهابها إليه بطلب من الرسول ﷺ فهذا أمر مرفوض جملة وتفصيلاً، لأنه أكبر من أن يسأل بشراً عن رسالة ربه، وإذا كان صاحب هذه الرسالة غير موقن بما جاءه من ربه، فكيف تيقنت السيدة خديجة عليها السلام وورقة أنه من الله وبشروه بالنبوة؟، ولماذا لم يهتد رسول الله ﷺ إلى ما اهتدوا إليه؟، فإذا كانوا قد اهتدوا إلى ذلك بعقولهم، فهذا يعني أن عقولهم أكبر من عقل الرسول ﷺ، فالأولى أن تكون الرسالة لهم وليس له، وإذا كان هو نفسه غير موقن بما جاء فكيف يريد من الناس تصديقه؟، ولماذا يعترض على القريشيين لأنهم لم يؤمنوا بما جاء به، وهو يقول لهم وحي يأتيني من السماء، إذا كان هو نفسه شاك فيه؟

ولو فرضنا أن الأمر كذلك لكان الذي يخبره بالإيحاء هو أولى به، إذ هو على هذا التقريب يكون أعلم من النبي ﷺ ولا يصح هذا عقلاً، لأن النبي ﷺ يجب أن يكون حائزاً على أعلى مراتب الكمال التي يتفوق بها على كافة أفراد البشر، إذ لو كان في البشر من هو أعلم منه للزم أن تكون حجته مدحوضة وهو نقض للغرض[1].

أما إذا كان ذهابها من نفسها فهذا أمر غير مقبول أيضاً، لأنه يعني أنها غير موقنة بقول زوجها، ويتعارض مع قولها له أن الله لا يريد به إلا الخير، لما عرفته عنه من تدين واستقامة، وكيف تسأل ورقة ورسول الله ﷺ أخبرها أن الذي جاءه جبريل وهو مرسل من الله، وأخبره أن الله اصطفاه للرسالة، فما الذي يعلمه ورقة أكثر ممن شهد الحدث وعايشه؟

---

(١) المحتصر، نساء النبي، ص ٤٣.

كذلك من الذي سمح لها بالذهاب إلى ورقة والدعوة لم تكن عامة والأمر في بدايته، فربما كانت هذه المرحلة بحاجة إلى الحذر، لما قد يصادف الدعوة من عداء.

ورواية ابن إسحق في ذهاب أبي بكر إلى ورقة ضعيفة، لأن الروايات متفقة على أن أول ما نزل من القرآن هي الآيات الخمس الأولى من سورة العلق[١]، أو الخمس الأولى من سورة المدثر[٢]، علاوة على أن الرواية فيها الكثير من التناقضات.

وموقف ورقة وأقواله فيها الكثير من التناقض، فقوله للرسول ﷺ إنه يأتيه ناموس مثل ناموس موسى عليه السلام، مناقض لما ذكرناه من أنه نصراني، لماذا لم يقل ناموس مثل ناموس عيسى عليه السلام نبي النصارى؟، فإذا قال قائل أنهم لا يقولون إنه ينزل عليه الوحي بل هو الله أو ابن الله، فكيف يقول لمحمد ﷺ إنه بشر به عيسى عليه السلام وقر بأنه نبي وليس إله؟، كما أن الغالب على نبي الله موسى عليه السلام إنه كليم الله، فقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ٥١﴾[٤]، وفي رواية عن الرسول ﷺ أنه قال: «اتخذ الله إبراهيم خليلاً وموسى نجياً واتخذني حبيباً، ثم قال: وعزتي وجلالي لأوثرن حبيبي على خليلي ونجيي»[٥].

---

(١) الزركشي، البرهان، ١/٢٠٦. الطوسي، البيان، ١/٣٧٩.

(٢) البخاري، الصحيح، ٦/٢٠١ كتاب التفسير.

(٣) سورة النساء، الآية ١٦٤.

(٤) سورة الشورى، الآية ٥١.

(٥) الواحدي، أسباب النزول، ص ١٢٣.

وفي رواية الزهري أنه كان يقرأ الكتاب العبراني ويترجمه إلى العربية[1]، ومن المعروف أن العبرانية هي لغة التوراة، أما الإنجيل فكانت لغته السريانية[2]، وافترض جواد علي أنه لم يكن من المستبعد أنه يعرف السريانية والعبرانية، فضلاً عن معرفته بالعربية، فترجم بعض أجزاء التوراة والإنجيل[3]، والمستشرق أرفنج يرى أنه ترجم بعض الكتب السماوية، وهذه الكتب اطلع عليها محمدﷺ واستفاد منها في دعوته[4].

إن الإمكانيات العلمية لذلك العصر تجعلنا نشكك في هذه الروايات وهذه الآراء، كما أن بلاد الشام التي تنتشر فيها النصرانية بعيدة عن مكة، وعدم وجود مدارس لتعليم هذه اللغات، وصعوبة الكتابة لافتقارهم لأدواتها، يقودنا إلى التساؤل، كيف تعرف ورقة على هذه الديانات ولغاتها وترجم كتبها؟.

وفي لقائه رسول اللهﷺ نجد أنه أخبره بأمور مستقبلية من عداء

---

(١) البخاري، الصحيح. ١/ ٣ ـ ٤. أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، ٣/ ٩٦٦.

(٢) روي عن ابن عباس أنه قال: «من الأنبياء خمسة ممن تكلم بالعربية، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وإسماعيل بن إبراهيم وشعيب وصالح وهود، وسائرهم بالسريانية ما خلا موسى فإنه تكلم بالعبرانية» ينظر الفاسي، شفاء الغرام، ٢/ ١٣، وقد ناقش الدكتور جواد علي هذه المسألة وقال: «إن اسم اللغة التي كان يكتب بها قد حرف فقرأه بعضهم العربي وقرأه بعض آخر العبراني، ولما كان الإنجيل للسريانيين وبلغة بني أرم فقد أخطأ الرواة بجعل لغة الإنجيل العبرانية، وهم يتوهمون كثيراً فيخلطون بين العبرانية والسريانية»، ينظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٦/ ٥٠٣.

(٣) علي، تاريخ العرب في الإسلام، ص١٤٩.

(٤) حياة محمد، ص ٥٧.

وتكذيب وإخراج من مكة، وهذه الأمور حدثت بالفعل فيما بعد، فمن أين جاء ورقة العلم بهذه الأمور الغيبية؟، إن هذا الأمر يجعلنا نشك في صحة هذه الروايات، لأنها صيغت لتلاءم حالة الرسولﷺ مما يدل على أنها وضعت في فترة متأخرة.

كما أن ورقة بن نوفل وعد رسول اللهﷺ أن ينصره ويؤيده، إذا أمر بالتبليغ ولكننا نجد ثلاث روايات في وفاته، ففي رواية الزهري أنه توفي بعد أن أخبر محمدﷺ أنه نبي[1]، وفي رواية عن عروة: «كان بلال لجارية من بني جمح بن عمرو وكانوا يعذبونه برمضاء مكة، يلصقون ظهره بالرمضاء ليشرك بالله، فيقول أحد أحد، فمر عليه ورقة وقال له: أحد أحد يا بلال، والله لئن قتلتموه لاتخذه حناناً، كأنه يقول: لأتمسحن به»[2]، وفي رواية عن الواقدي أنه بقي حياً حتى خرج المسلمون إلى معركة بدر[3].

إذن بقي ورقة حياً عند إعلان النبيﷺ دعوته، فلماذا لم يسلم؟ حيث لم نجد أحداً من الرواة يذكر أنه أسلم، حتى أن ابن عساكر يقول: «لا أعرف أحداً قال أنه أسلم»[4].

---

(١) ابن سعد، الطبقات ١/ ١٩٥.

(٢) ابن إسحق، السير والمغازي، ص ١٩٠. مصعب الزبيري، نسب قريش، ص ٢٠٨. ابن بكار، جمهرة نسب قريش، ١/ ٤١٢. أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني ٣/ ٧٦٧. أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، ١/ ٦٤٨.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ١١١.

(٤) ابن حجر، الإصابة ٣/ ٦٣٣، وفي رواية ابن عباس (أنه مات على نصرانيته) ينظر، ابن حجر، الإصابة، ٣/ ٦٣٤. الحلبي، السيرة الحلبية، ١/ ٢٥٠، وذكرت بعض المصادر المتأخرة أنه آمن بناءاً على ما جاء في الروايات التي ذكرناها وليس على أساس قول أي من الصحابة أو الرواة بمعنى أنه استنتاج، ينظر، السهيلي، الروض الأنف، ١/ ٢٧٣. ابن=

فإذا كان قد وعده بالنصر فمن الأولى أن يسلم أولاً، وحتى رواية الزهري التي تقول أنه مات بعد أن ثبت محمداً ﷺ على النبوة! تعني أنه بقي بعد النبوة فترة من الزمن، أي أنه أدرك البعثة ولم يسلم.

ولا نستطيع أن نقبل روايات ذهاب الرسول ﷺ أو السيدة إلى ورقة، إلا إذا كان ذهابهما إليه للتصديق والإقرار للرسول ﷺ بالنبوة أمام قريش، باعتباره رجل دين تعرف قريش توجهاته، فتكون شهادته، أقرب إلى الصدق عند الآخرين من الشخص نفسه، وهذا يعني أن ذهابه إليه لأجل إعلامه بالرسالة أو تفهيمه بكيفية الإيحاء إليه بالنبوة، لكن الروايات التي استعرضناها تقول عكس ذلك، أي أنه ذهب إليه ليعرف منه الأمر الذي يأتيه[1].

ثم أضافت الروايات أسمين آخريين ذهبت إليهما السيدة خديجة عليها السلام لتستشيرهما في أمر الرسول ﷺ وهما عداس وبحيرا الراهب، ففي رواية عروة بن الزبير بعد أن أخبرها رسول الله ﷺ ذهبت إلى عداس غلام عتبة بن ربيعة لتسأله عن أمر النبي ﷺ، فقال لها ما جاء في الروايات من قول ورقة، ثم رجعت بعده إلى ورقة[2]، وفي رواية الواقدي ذكر أنها ذهبت إلى ورقة ثم رجعت إلى عداس[3]،

= قيم الجوزية، زاد المعاد، ٢/ ٤٨. المقريزي، إمتاع الأسماع، ١/ ١٧. الديار بكري، تاريخ الخميس، ١/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧. الحلبي، السيرة الحلبية، ١/ ٢٧٦.

(١) المحتصر، نساء النبي، ص٤٣.

(٢) ابن الزبير، مغازي رسول الله، ص ١٠٢. الذهبي، تاريخ الإسلام، ١/ ٧٣. السيوطي، الخصائص الكبرى، ١/ ٢٣٢.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ١١١.

وزادت بعض المصادر أنها ذهبت إلى بحيرا لتسأله[1].

إن هذه الرواية الأخيرة غير جديرة بالثقة، لأن بحيرا هو الراهب الذي التقاه الرسول ﷺ عند سفره إلى الشام مع عمه أبي طالب عندما كان عمره اثنتي عشر عاماً، فهل من المعقول أن السيدة خديجة عليها السلام ذهبت إلى الشام لتسأله عن جبرئيل؟، والذهاب إلى الشام في ذلك الوقت قد يستغرق شهراً أو أكثر، أم أن بحيرا انتقل إلى مكة لكي تسأله السيدة خديجة عليها السلام؟!!

والروايات التي ذكرت ذهابها إلى عداس غير دقيقة أيضاً، لأنها اقحمت اسم عداس في هذا الموضوع، ونسبت له كلاماً كانت قد نسبته إلى ورقة[2]، كما أن عداساً هذا هو الذي التقى به الرسول ﷺ في الطائف بعد وفاة السيدة خديجة عليها السلام بعد السنة العاشرة للبعثة، حيث تذكر الروايات أنه التقى به بعد أن رفض أهل الطائف دعوته وآذوه وعندها جلس عند شجرة جاءه عداس: «بطبق من عنب فلما وضع رسول الله ﷺ يده، قال: بسم الله، ثم أكل فنظر عداس إلى وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة، ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أي البلاد أنت يا عداس؟، قال: نصراني، وأنا من أهل نينوى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟، قال له: وما يدريك ما يونس بن متى، قال رسول الله: ذاك أخي كان نبياً وأنا نبي فأكب عداس على رسول الله

---

(١) السهيلي، الروض الأنف، ١/ ٢١٥. النويري، نهاية الأرب، ١٦/ ١٧٢. ابن حجر، الإصابة، ٢/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧.

(٢) علي، تاريخ العرب في الإسلام، ص ١٤٧.

صلى الله عليه وسلم يقبل يديه ورجليه[1].

وهذه الرواية تدل بشكل قاطع أن عداساً لم يسمع بأمر النبي ﷺ من قبل ولم يعرفه إلا بعد وفاة السيدة خديجة عليها السلام.

وخلاصة القول في كل ما ذكرناه، أن روايات الوحي بحاجة إلى أن تخضع للدراسة والتحليل، وهذا الأمر يحتاج دراسة مستقلة وليس لنا إلا القول إن هذه الروايات لو لم تكن فيها إلا شك النبي ﷺ في كون ما شاهده وحياً إلهياً جاء به ملك سماوي من الله تعالى. وظنه أنه من الشياطين أو الجن، لكفى ألا نأخذ بها، فكيف وقد أضافت أنه ذهب إلى نصراني ليسأله عن أمر ربه فثبته هذا النصراني على الدين، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾[2].

فهل كانت بصيرة النبي ﷺ ومن اتبعه قد أتت من قول هذا النصراني؟ وقال تعالى: ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾[3]. فهل كان اعتمادهم في نبوتهم على أشخاص مثل ورقة بن نوفل؟.

ومهما بلغ المستوى الروحي والفكري للسيدة خديجة عليها السلام فإنه لا يصل إلى درجة أنها تعلم الرسول ﷺ الدين، وتكون أكثر اطمئناناً منه، كما أن المصادر نقلت رواية عن جابر بن عبد الله الأنصاري وهي: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاورت بحراء فنوديت فنظرت عن

---

(١) الطبري، تاريخ، ٢/٣٢٦. المسعودي، مروج الذهب، ١/٨٨. أبو نعيم الأصبهاني، دلائل النبوة، ١/ ٢٩١ ـ ٢٩٢. ابن الأثير، أسد الغابة، ٤/ ٤.

(٢) سورة يوسف، الآية ١٠٨.

(٣) سورة النساء، الآية ١٦٣.

يميني فلم أرَ شيئاً ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً فنظرت أمامي فلم أر شيئاً فنظرت خلفي فلم أر شيئاً فرفعت رأسي فلم أرَ شيئاً فأتيت خديجة فقلت دثروني وصبوا علي ماء بارداً، قال: فدثروني وصبوا على رأسي ماءاً بارداً فنزلت يا أيها المدثر»[1]. وهذه الرواية ليس فيها خنق جبرئيل ولا ذهاب السيدة خديجة إلى ورقة وعداس وبحيرا وغيرهم.

ومن بين الروايات التي قدمناها رواية عروة بن الزبير أكثر الروايات قبولاً، لأن الرسول ﷺ استقبل الوحي بصورة طبيعية فرجع فرحاً مسروراً وبشر السيدة خديجة عليها السلام بالأمر ففرحت وآمنت به وبما جاء به، وكلماتها دالة على تصديقها له.

والأسماء التي ذكرتها الروايات مثل بحيرا ونسطورا وورقة وعداس وكثير غيرهم ممن امتلأت كتب السيرة بأسمائهم، وضعت في فترة متأخرة من قبل الرواة لأسباب شتى لا نريد الدخول في تفاصيلها، ودورها تظهر لتبشر النبي ﷺ بالرسالة وبعد ذلك لا نسمع عنها شيئاً، ومثال هذه الأسماء هذه الرواية التي أوردها الزبير بن بكار: «إن رجلاً من أهل الحيرة رأى خديجة بنت خويلد بن أسد في الجاهلية، فقال: إن هذه لزوج النبي ﷺ الذي يبعث في الأميين»[2].

---

(١) البخاري، صحيح، ٦/ ٢٠٠ ـ ٢٠١، كتاب التفسير. مسلم، الجامع الصحيح، ١/ ٩٩ باب بدء الوحي. البلاذري، أنساب الأشراف، ٢/ ١٠٧ ـ ١٠٨. النبيل، الأوائل ص ١٥. الطبري، تاريخ ٢/ ٣٠٤. التفسير، ٢٩/ ١٤٣. الطوسي محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ) تفسير التبيان، تحقيق أحمد حبيب العاملي، مكتبة الأميني النجف، ١٩٦٣، ١٠/ ١٧١. ابن عبد البر، الدرر، ٣٠ ـ ٣١. الواحدي، أسباب النزول، ص ٧. القرطبي، الجامع ١٩/ ٥٨ ـ ٥٩. ابن حيان، البحر المحيط ٨/ ٣٧٠.

(٢) ابن بكار، منتخب، ص ٤٦.

إيمان السيدة خديجة«ع»
ودورها في البعثة النبوية

بعد أن بشر الرسولﷺ زوجته خديجةعليها السلام بما جاءه من خير من عند ربه، آمنت بما جاء به من خالق السموات والأرض، فكانت أول الناس إسلاماً حسب ما جاء في معظم الروايات[1]. وفي رواية ابن إسحق: «إن الصلاة حين افترضت على رسول اللهﷺ أتاه جبرئيل ورسول الله ينظر إليه ليريه كيف الطهور للصلاة، ثم توضأ رسول الله كما رأى جبرئيل توضأ، ثم قام جبرئيل فصلى به وصلى رسول اللهﷺ بصلاته ثم انصرف جبرئيلعليه السلام، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة، فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبرئيل فتوضأ لها رسول الله عليه الصلاة والسلام، ثم صلى بها رسول الله عليه الصلاة والسلام كما صلى به جبرئيل فصلت بصلاته»[2].

---

(١) ابن إسحق، السير والمغازي، ص ١٣٢. ابن هشام، السيرة، ١/ ٢٢٧. ابن سعد، الطبقات، ٨/ ١٧. ابن حبيب، المحبر، ص ٤٠٨. الطبري، تاريخ، ٢/ ٣٠٧. ابن عبد البر، الإستيعاب، ٤/ ١٨١٩ ـ ١٨٢١.

(٢) ابن هشام، السيرة، ١/ ٢٢٧. الطبري، تاريخ ٣/ ٣٠٧. ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١/ ٩٠.

وكانت هذه الصلاة في نفس يوم الوحي، حيث جاء عن الزهري وعن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب وقتادة وابن إسحق وغيرهم، «صلى رسول الله ﷺ يوم الإثنين وصلت خديجة آخر يوم الإثنين»[1].

لقد كان دخول السيدة خديجة عليها السلام في الإسلام شيئاً كبيراً، وذلك لأن دعوة الرسول ﷺ كانت ثورة على الشرك والمعتقدات الفاسدة، وأي ثورة تأتي بشيء غير مألوف أو تحاول تغيير قوانين اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية تعرفها الناس في مجتمع ما تواجه بالرفض والعداء، لا سيما من الأفراد الذين تؤثر فيهم هذه التغييرات، وعبادة الأصنام كانت نظاماً اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً اعتاده القريشيون ورتبوا حياتهم على أساسه، وتقادمت السنين وهم على هذا الحال، فكان إيمان السيدة خديجة عليها السلام يعني مواجهة كل هذه الضغوط، فأثَّر ذلك في معنويات الرسول ﷺ وهو في مرحلة كان بأمس الحاجة إلى من يصدقه.

ولم يكن هذا الإيمان مجرد تضامن مع زوجها، لأنها تعلم صدقه وأمانته وشجاعته وفضائله النادرة، لكن كان أكبر من موضوع التضامن

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ١/ ١٩٤. اليعقوبي، تاريخ، ٢/ ١٧. ابن عبد البر، الإستيعاب، ٤/ ١٨٢٠. الخوارزمي، الموفق بن أحمد بن محمد الحنفي (ت٥٦٨هـ) المناقب، تقديم محمد مهدي الخرسان، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦٥، ص ٢١. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ١/ ٧٨. ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١/ ٩٢. محب الدين الطبري، ذخائر العقبى، ص٦٩ ـ ٧٠. الجويني، فرائد السمطين، ١/ ٢٤٣. الديار بكري، تاريخ الخميس، ١/ ٢٨٦.

الزوجي بما لا يقاس، لقد تحدت وضعها الطبقي ووضع أسرتها وقومها، ورفضت عبادة الأصنام علناً بعد أن كانت ترفضها في قلبها.

ومن عادة المرأة إذا كانت تحب زوجها أن تخاف عليه، فتتدخل بشؤونه وتعترض طريقه إذا قام بعمل قد يعرضه للخطر، وهي في كل هذا خائفة عليه، لكن السيدة خديجة عليها السلام بالرغم من حبها الكبير للرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم تنهه عما جاء به ولم تعترض طريقه بل شجعته وآزرته على أمره، وهي تعلم خطورة المسلك الذي سار فيه، والسبب أن إيمانها وحبها لله تعالى أعظم من أي حب، لذلك نراها وقفت مع زوجها في دعوته.

استمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يواصل انقطاعه لآمر السماء بعد أن أسلمت زوجته وأسلم ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام[1]، الذي كان في بيتها بعد أن أخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عمه أبي طالب[2]، وأسلم زيد بن حارثة ربيبه[3]، فدخلت عائلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الإسلام فكانت النواة التي نشأ منها الإسلام، وتوسع وكثر أتباعه. وكان إيمان الثلاثة ينم عن الوعي العالي والجسارة الشديدة، فهو من طراز أفعال التمرد على المجتمع والقيم السائدة، الذي يعني الانتماء إلى العاصفة واختيار طريق المخاطر، نعم إن قرب الثلاثة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يضعهم في موضع

---

(١) الصنعاني، المصنف، ٥/ ٣٢٥ . ابن هشام، السيرة، ١/ ٢٢٨. البلاذري، أنساب الأشراف، ٢/ ٩٢. اليعقوبي، تاريخ ٢/ ١٨. النسائي، الخصائص، ص٤٤. الطبري، تاريخ، ٢/ ٣١٠ ـ ٣١١. ابن عبد البر، الإستيعاب، ٤/ ١٨٢٠.

(٢) ابن هشام، السيرة، ١/ ٢٢٩.

(٣) الطبري، تاريخ، ٢/ ٣١٦ ـ ٣١٧.

المعرفة الأكيدة لصدق الرسالة، فإذا كان الناس يعرفون محمد الصادق الأمين، فإن الثلاثة يعرفون في محمدﷺ صدق الصدق وأمانة الأمانة[1].

ومنذ بداية الدعوة أعلنت إسلامها فقامت تصلي مع زوجها عند الكعبة، غير آبهة بما قد يحدث لها بعد أن خرجت على معتقدات الشرك علناً، وتابعت زوجها في ثورته على هذه المعتقدات، فأوردت المصادر رواية عن عفيف الكندي، أنه قال: «جئت في الجاهلية إلى مكة فنزلت على العباس بن عبد المطلب، قال: فلما طلعت الشمس في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة أقبل شاب فرمى ببصره إلى السماء، ثم استقبل القبلة فقام مستقبلها فلم يلبث حتى جاء غلام، فقام عن يمينه، قال: فلم يلبث حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما، وركع الشاب فركع الغلام والمرأة، ورفع الشاب رأسه فرفع الغلام والمرأة، فخر الشاب ساجداً فسجدا معاً، فقلت: يا عباس أمر عظيم، قال العباس: أتدري من هذا؟، فقلت: لا، قال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي، أتدري من هذا؟، فقلت: لا، قال: هذا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ابن أخي، أتدري من هذه المرأة خلفهما؟، قلت: لا، قال: هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي، وهذا حدثني أن رب السماء أمره بهذا الذي تراهم عليه، وأيم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحد على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة»[2].

---

(١) جاسم، محمد الحقيقة العظمى، ص ٨١.

(٢) النسائي، خصائص، ص ٤٥. الطبري، تاريخ، ٢/ ٣١١. ابن حنبل، المسند، ١/ ٢٠٩. الطبراني، المعجم الكبير، ٢٢/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧. ابن الجوزي، الوفا، ١/ ١٦٧ ـ ١٦٨. ابن الأثير، أسد الغابة، ٤/ ٩٤. ابن أبي الحديد، شرح النهج، ١/ ٢٩. ابن سيد الناس، =

وقبل أن نواصل الحديث عن دور السيدة خديجة عليها السلام في البعثة لا بد أن نشير إلى رواية أوردتها المصادر عن هشام بن عروة عن أبيه: «لما أبطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي جزع من ذلك جزعاً شديداً، فقلت له لما رأيت من جزعه: لقد قلاك ربك مما يرى من جزعك فأنزل الله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾[1].

إن هذه الرواية فيها إساءة لرسول الله صلى الله عليه وآله ولزوجته، لأن السيدة خديجة عليها السلام كما تسالمت الروايات كانت أعرف بمقام النبوة ومقام رسول الله صلى الله عليه وآله من أن تقابله بهذا الكلام، وكان من عادتها إذا رأت ما يهمه أن تسليه، لا أن تزيد همه وتجابهه بقولها قد قلاك ربك[2].

وأوردت المصادر بطرق وأسانيد كثيرة متصلة إلى الصحابة في أن هذه الآية نزلت بعد قول المشركين له ذلك، فجاءت هذه الآية تكذيباً لهم[3].

= عيون الأثر، ١/ ٩٣. الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/ ٢٢٢. ابن حجر، الإصابة ٢/ ٤٨٧. المجلسي، بحار الأنوار ١٦/ ١٣، وذكرها البخاري في تاريخه لكنه لم يذكر الإمام علي(ع) معهم ٧/ ٧٤ ـ ٧٥. وذكرتها مصادر أخرى عن عبد الله بن مسعود، الخوارزمي، المناقب، ص ٢٠. ابن بدران، تهذيب تاريخ دمشق، ١/ ٣١٩.

(١) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص ١٣٥. الواحدي، أسباب النزول، ص ٣٠١. محب الدين الطبري، السمط الثمين، ص ٢٣. السيوطي، الدر المنثور، ٦/ ٣٦٠. وأوردها الطبري عن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، تاريخ، ٢/ ٣٠٠. وفي رواية ابن إسحاق أن رسول الله(ص) بعد أن فتر الوحي قال في نفسه «خشيت أن يكون قد قلاني وودعني»، السير والمغازي ص ١٣٥.

(٢) العاملي، محسن الأميني، سيرة الرسول(ص) دار القلم، بيروت، د.ت. ص ٣٠.

(٣) الطبري، تفسير ٣/ ٢٣١. الطوسي، التبيان، ١٠/ ٣٦٩. الواحدي، أسباب النزول، ص ٣٠١. الزمخشري، الكشاف، ٤/ ٢٦٣. القرطبي، الجامع، ٢/ ٩٧ ـ ٩٨. النسفي، تفسير. ٤/ ٣٦٣. ابن حيان، البحر المحيط، ٤/ ٤٨٦. السيوطي، الدر المنثور، ٦/ ٣٦٠.

وبعد أن أسلمت عائلة الرسول ﷺ وتتابع الناس في الدخول إلى الإسلام، وأسلم الرجال والنساء وقريش ترى ذلك دون أن تتعرض له ولأتباعه، حتى جاء الإعلان الرسمي للدعوة حيث أمر الرسول ﷺ بدعوة الناس إلى الإسلام مبتدئاً بالأقربين له من عشيرته، فقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[1]، فكانت السيدة خديجة عليها السلام ترتب استقبال الضيوف وتعد الطعام لهم[2]، لأنه جمع بني عبد المطلب ليعرض عليهم دعوته أملاً في أن يساندونه فيها، فارتضت قانعة بهذا الدور راضية به، تاركة كل ما كان لها من مكانة اجتماعية من أجل نصرة الدين ومساندة زوجها.

ثم جاء الأمر الإلهي بالجهر بالدعوة فقال تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[3]، فأعلن الدعوة عامة للناس، وابتدأ عداء المشركين للرسول ﷺ والمسلمين مستخدمين أقسى أساليب الضغط عليهم من تعذيب ومقاطعة وحرب نفسية وغير ذلك[4]، فكانت السيدة خديجة عليها السلام في قلب تلك المعاناة، وكلما عاد النبي ﷺ حزيناً مهموماً مما كان يسمعه من المشركين من تكذيب وتجريح واستهزاء فيكتم ذلك في نفسه لما يكنه لهم من حب عميق، يرجو به أن يهديهم إلى الإسلام لينالوا خير الدنيا والآخرة، يجد السيدة خديجة عليها السلام تواسيه وتخفف عنه ما ألم به فكان: «لا يسمع شيئاً مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك، إلا فرج الله عنه بخديجة إذا رجع إليها، تثبته وتخفف عنه

---

(١) سورة الشعراء، الآية ٢١٤.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ١/ ١٨٧.

(٣) سورة الحجر، الآية ٩٤.

(٤) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص ١٩٠ وما بعدها.

وتصدقه وتهون عليه أمر الناس»[1]، ولو كان بيدها أكثر من ذلك لبذلته لكن كان هذا أقصى ما استطاعت بذله في هذه المرحلة فقد كانت الصدر الحنون الذي يفضي إليه رسول الله ﷺ همومه وأحزانه، فيعود إليه الفرح والسرور بعد أن يسمع كلمات الإيمان واليقين من إمرأة مثلت دور الزوجة والعائلة لرسول الله ﷺ، في مرحلة كان هو بأمس الحاجة لأن يجد من يسانده فيها.

وبعد الضغط الذي تعرض له المسلمين في مكة أوعز لهم رسول الله ﷺ بالهجرة إلى الحبشة، فاستقروا فيها ونالوا مأمنهم عند النجاشي ملكها، وفشلت محاولات المشركين في ردهم[2]، فاتخذوا خطوة جديدة لمواجهة الرسول ﷺ بعد أن عرفوا أن أبا طالب لا يسلمه لهم، وهي مقاطعة بني هاشم جميعهم مسلمهم وكافرهم فلا يبيعونهم ولا يبتاعون منهم ولا يتعاملون معهم أي تعامل حتى يسلموا رسول الله ﷺ ليقتلوه[3].

وهنا كانت المرحلة الأخيرة للسيدة خديجة عليها السلام مع الرسول ﷺ حيث دخلت مع زوجها وبني هاشم في شعب أبي طالب، متحملة معه الحصار الذي فرضه المشركين عليهم، فبرز في هذا الحصار دوران متلازمان متداخلان، دور أبي طالب المدافع عن رسول الله ﷺ وحاميه

---

(١) ابن هشام، السيرة، ١/ ٢٢٤ . ابن عبد البر، الإستيعاب، ٤/ ١٨٢٠ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١/ ٦١ . الكلاعي، الإكتفاء، ١/ ٢٧٠ . النويري، نهاية الأرب، ١٨/ ٢١٧ . ابن حجر، الإصابة، ٤/ ٢٨١ . المكي، سمط النجوم، ١/ ٣٦٨ . المجلسي، بحار الأنوار، ١٦/ ١١.

(٢) ابن هشام السيرة، ١/ ٢٨٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ١/ ٢٨٠ ـ ٢٠٩ . اليعقوبي، تاريخ، ٢/ ٢٥.

وسنده[1]، ودور السيدة خديجة عليها السلام التي رضيت أن تحبس نفسها داخل هذا الحصار المضروب على بني هاشم، وتخفف من نائبته ولا تبالي على ثروتها النضوب، إنها تحاول كسر الحصار ما أمكن أو شل أثره، وتؤلب ولا تفتأ ذويها لإمداد المحاصرين سراً[2].

إذن كانت السيدة خديجة عليها السلام قد ساندته بنفسها ووضعت مالها في خدمة المسلمين وظاهرته بعشيرتها، وقد تحدثنا عن أموالها ودورها في مقاطعته[3]، أما مساندة الدعوة بنفسها فقد تركت الغنى والترف والعز والجاه وارتضت الفقر والحرمان والنبذ والمقاطعة، تركت مكانتها في أسرتها ودخلت مع بني هاشم في شعبهم، ولم تكن هذه الأشياء تهمها لقد ذابت وانصهرت بحب الله ورسوله، فأي مكانة وأي عز وجاه يمكن أن يوازي عندها طاعة الله ورسوله، لقد كانت تستعذب العذاب مع زوجها الذي أحبته رجلاً قبل أن يكون نبياً، فكيف الحال وقد أصبح نبياً رسولاً.

أما أسرتها فلم تكن بعيدة عما تعانيه، فقد كان لمكانتها الاجتماعية فيها دور كبير في التأثير في أبناء عمومتها وأقربائها من أجل تخفيف المقاطعة على بني هاشم بالرغم من بقائهم على الشرك، ففي رواية أن حكيم بن حزام بن خويلد أدخل المساعدات إلى بني هاشم، فلقيه أبو جهل وهو يحاول إدخال ناقة محملة بالقمح إلى الشعب، فمنعه لكن أبا البختري بن هشام بن أبي الحارث أفشل محاولة أبي

---

(١) اليعقوبي، تاريخ، ٢/ ٢٥ .

(٢) حيدر، ابراهيم الشيخ، مثلهن الأعلى خديجة، مجلة النور، العدد، ١١١ . السنة العاشرة، لندن، ٢٠٠٠م، ص٧٢.

(٣) ينظر الفصل الثالث، أموال السيدة خديجة(ع).

جهل[1]، وفي رواية أخرى أن السيدة خديجة عليها السلام أرسلت إلى ابن عمها زمعة بن الأسود تشكو أبا جهل، لأنه كان يمنعها من شراء ما تحتاج إليه من طعام فزجره زمعة[2]، وكان أبو البختري ممن يدخلون الطعام على بني هاشم[3]، واستمرت هذه العائلة ترسل الطعام إليها طيلة الحصار[4].

وحتى كسر المقاطعة كان لعائلتها دور فيها فبعد أن مضى عليها ثلاث سنين[5]، قامت حركة مضادة لها قادها خمسة رجال ممن ولدتهم نساء من بني هاشم، اثنان منهم من أبناء عمومة السيدة خديجة عليها السلام، وهما أبو البختري بن هشام وزمعة بن الأسود[6]، وتزامنت هذه الحركة مع مجيء الوحي لرسول الله صلى الله عليه وآله يعلمه أن الله تعالى سلط حشرة الأرضة على الصحيفة فأكلتها إلا إسم الله تعالى[7].

ولم تمض فترة طويلة على انتهاء المقاطعة حتى حل العام الذي يسمى عام الحزن، في السنة العاشرة للبعثة، حيث توفي فيه شخصان لهما أكبر الأثر في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وهما أبو طالب والسيدة خديجة عليها السلام[8].

---

(١) ابن هشام، السيرة، ٢/ ٤ ـ ٥ . الطبري، تاريخ، ٢/ ٣٣٦ . أبو نعيم، دلائل النبوة، ١/ ٣٦٢ ـ ٢٦٣ . ابن الأثير، الكامل، ٢/ ٨٨.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٢٣٥.

(٣) ابن بكار، جمهرة نسب قريش، ١/ ٣٥٤ . المقريزي، إمتاع الأسماع، ١/ ٢٥ ـ ٢٦.

(٤) ابن بكار، جمهرة نسب قريش، ١/ ٤٥١.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ١/ ٢٠٩ . ابن عبد البر، الدرر، ص٥٧.

(٦) ابن هشام، السيرة، ٢/ ١٧ ـ ١٨ . الطبري، تاريخ، ٢/ ٣٤١ ـ ٣٤٢.

(٧) ابن هشام، السيرة، ٢/ ١٩ . ابن سعد، الطبقات، ١/ ٢١٠.

(٨) ابن هشام، السيرة، ٢/ ٤٦ . ابن سعد، الطبقات، ١/ ٢١٢ . البلاذري، أنساب الأشراف، ٢/ ٢٩ . الطبري، تاريخ، ٢/ ٣٤٣.

وفاة السيدة خديجة«ع»

هناك شبه إجماع بين الرواة على أن السيدة خديجة عليها السلام توفيت في السنة العاشرة للبعثة قبل الهجرة إلى المدينة بثلاث سنين، ولم يشذ عن ذلك سوى أبي عبيدة معمر بن المثنى، الذي قال إنها توفيت في السنة الرابعة للبعثة قبل الهجرة بخمسة سنوات[1]، وهذا الرأي يخالف ما أجمع عليه «قتادة بن دعامة والزهري وهشام بن عروة وموسى بن عقبة وإبن إسحاق والواقدي»[2]، لذلك لا يمكن أن نركن إليه ونأخذ به طالما لا يوجد دليل يؤيده.

لكن الإختلاف الذي حدث كان بين روايتي الزهري وابن إسحاق ففي رواية الزهري عن عروة عن عائشة: «توفيت خديجة قبل أن تفرض الصلاة وذلك قبل الهجرة بثلاث سنوات»[3]، أما رواية إبن إسحاق فهي: «لم تمت خديجة إلا بعد الإسراء وبعد أن صلّت الفريضة مع

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٤٠٥ . ابن عبد البر، الإستيعاب، ٤/ ١٨٢٥.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ١٨ . ابن بكار، منتخب، ص٤٨ . البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٤٠٦ . الطبري، تاريخ، ٢/ ٣٤٣ . ابن عبد البر، الإستيعاب، ٤/ ١٣٢٥ . الكلاعي، الإكتفاء، ١/ ٣٩٠ . الذهبي، تاريخ الإسلام، ١/ ١٤٠ . ابن حجر، الإصابة، ٤/ ٢٨٣.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ١٨.

رسول الله صلى الله عليه وسلم»[1]، إذن الاختلاف بين الروايتين يتلخص في أن السيدة خديجة عليها السلام توفيت قبل الإسراء أو بعده، أي هل صلّت مع رسول الله ﷺ الفريضة أم قبلها؟.

من الأمور المعروفة أن الصلاة افترضت عندما أسري برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس وأعرج به إلى السماء[2]، لذلك يتوجب علينا أن نتعرف على زمن حدوث الإسراء والمعراج لنتمكن من ترجيح إحدى الروايتين على الأخرى.

ذكرت كثير من الروايات أن الإسراء حدث قبل الهجرة بفترة من الزمن لا تزيد على السنتين[3]، في حين ذكر غيرها أنه كان في بداية البعثة النبوية، ففي رواية عن الزهري أنه كان في السنة الخامسة للبعثة[4]، وأورد مغلطاي في سيرته: «كان بعد النبوة بخمسة أعوام، وقيل: بعام ونصف، وقال عياض: بعد مبعثه بخمسة عشر شهراً»[5]، وفي رواية أوردها ابن كثير نقلاً عن ابن عساكر أنه كان في أوائل البعثة[6].

وبعد أن عرضنا هذه الآراء في زمن الإسراء والمعراج، سنحاول أن نناقشها في ضوء ما سنقدمه من أدلة:

---

(١) ابن عبد البر، الإستيعاب، ١/ ٣٩.

(٢) المقريزي، إمتاع الأسماع، ١/ ٢٩.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٢٥٦ . المسعودي، مروج الذهب، ٢/ ٢٨٣ . ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١/ ١٤٨.

(٤) ابن سيد الناس، عيون الأثر، ١/ ١٤٨ . المقريزي، إمتاع الأسماع، ١/ ٢٩ . الديار بكري، تاريخ الخميس، ١/ ٣٠٧.

(٥) المغلطاي ص٢٧.

(٦) البداية والنهاية، ٣/ ١٨٠.

١ ـ ورد عن الإمام علي عليه السلام أن الإسراء كان في السنة الثالثة للبعثة[١].

٢ ـ روي عن ابن عباس أن الإسراء كان بعد البعثة بسنتين[٢].

٣ ـ روي عن مجموعة من الصحابة «منهم بن عباس، سعد بن مالك، سعد بن أبي وقاص، عمر بن الخطاب، عائشة(رض) وعن الإمام الصادق عليه السلام، أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعائشة حينما سألته عن كثرة تقبيله لابنته فاطمة عليها السلام: «نعم يا عائشة لما أسري بي إلى السماء أدخلني جبرئيل الجنة فناولني منها تفاحة، فأكلتها فصارت نطفة في صلبي، فلما نزلت واقعت خديجة، ففاطمة من تلك النطفة، ففاطمة حوراء أنسية، وكلما اشتقت إلى الجنة قبلتها»[٣]، وقد ذكرنا فيما سبق أن السيدة فاطمة عليها السلام ولدت في السنة الخامسة للبعثة[٤]، وعليه يكون الإسراء والمعراج قبل هذه السنة بأكثر من ستة أشهر.

٤ ـ أوردت بعض المصادر أن الإسراء كان قبل وفاة أبي طالب، ففي رواية أن أبا طالب قد افتقده في ليلة الإسراء فلم يزل يبحث عنه حتى وجده فذهب إلى المسجد، ومعه الهاشميون فسل سيفه عند

---

(١) المجلسي، بحار الأنوار، ١٨/ ٣٧٩.

(٢) اليعقوبي، تاريخ، ٢/ ٢٦ . ابن شهر آشوب المناقب، ١/ ١٧٧ . المجلسي، بحار الأنوار، ١٨/ ٣١٩، ٣٨١.

(٣) الطبراني، المعجم الكبير، ٢٢/ ٣٣٤ . الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ٥/ ٨٧ . محب الدين الطبري، ذخائر العقبى، ص٣٦ . الذهبي، ميزان الاعتدال، ٢/ ٢٩٧ . الزرندي، نظم درر السمطين، ص١٧٦ . الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/ ٢٠٢ . الصفوري الشافعي، نزهة المجالس، ٢/ ١٧٩ . القسطلاني، المواهب اللدنية، ٢/ ٢٩ . السكتواري، محاضرة الأوائل، ص٨٨.

(٤) انظر الفصل الخامس. بنات النبي صلى الله عليه وآله، ص٢١٩ ـ ٢٢٢ . من هذا الكتاب .

الحجر، وأمر الهاشميين بإظهار السيوف التي معهم، ثم التفت إلى قريش وقال: لو لم أره ما بقي منكم عين تطرف، فقالت قريش: لقد ركبت منا عظيماً[1]، وأبو طالب توفي في السنة العاشرة من البعثة[2].

٥ ـ روي عن عمر بن الخطاب(رض) أنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «ثم رجعت إلى خديجة وما تحولت عن جانبها»[3].

٦ ـ الرواية التي وردت عن الإمام الباقر عليه السلام في أن جبرئيل قال له عند إسرائه: «حاجتي أن تقرأ على خديجة من الله ومني السلام»[4].

٧ ـ إن سورة الإسراء نزلت في أوائل البعثة، ففي رواية أوردها البخاري أن قوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾[5]، قد نزل بمكة ورسول الله مخفت «كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به»[6]، والإخفات كما هو معروف كان في أوائل البعثة[7].

٨ ـ سورة النجم التي يذكرون أن آياتها تدل على المعراج قد نزلت في

---

(١) اليعقوبي، تاريخ، ٢/ ٢١ . ابن شهر آشوب، المناقب، ١/ ١٨٠ . المجلسي، بحار الأنوار، ١٨/ ٣٨٤.

(٢) الطبري، تاريخ، ٢/ ٣٤٣.

(٣) الديار بكري، تاريخ الخميس، ١/ ٣١٥.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار، ١٨/ ٣٨٥.

(٥) سورة الإسراء، الآية، ١١٠.

(٦) السيوطي، الدر المنثور، ٤/ ١٣٦.

(٧) ابن سعد، الطبقات، ١/ ١٩٩ . ابن الجوزي، صفة الصفوة، ١/ ١١٧.

أوائل البعثة، حيث نزلت بعد اثنين أو ثلاث وعشرين سورة ونزل بعدها أربعة وستون سورة في مكة[1].

٩ ـ أورد الصنعاني رواية عن الزهري في الإسراء نصها: «وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا كفاراً فشاقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعادوه، فلما أسري به إلى المسجد الأقصى أصبح النبي يخبر الناس أنه قد أسري به فارتد ناس ممن كان صدقه وآمن به وفتنوا وكذبوا به»[2].

وكل هذه الدلائل تشير إلى أن السيدة خديجة عليها السلام توفيت بعد الإسراء.

وبذلك رحلت السيدة خديجة عليها السلام بعد أن ثابرت في مسيرتها الصادقة بمؤازرتها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، حتى بلغ منها الجهد والصبر حداً مضنياً، كان آخره ما واكبت فيه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبني هاشم في محنة المقاطعة وعزلهم في الشعب، وكان أشد ما عاناه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من هموم وأحزان بسبب ما أصيب به من فقد السيدة وأبي طالب، فحرم الحياة الهانئة والحماية من تحديات السفهاء، وغابت عنه بشاشة الحياة وبهجتها بوفاة السيدة أم أولاده[3].

دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على السيدة خديجة عليها السلام وهي تجود بنفسها فقال لها: «بالكره مني ما أرى ولعل الله أن يجعل في الكره خيراً، إذا

---

(١) الزركشي، البرهان، ١/ ١٩٣.

(٢) الصنعاني، المصنف، ٥/ ٣٢٨.

(٣) الصفار، زوجات النبي الطاهرات، ص٥٥٥.

لقيت ضراتك في الجنة يا خديجة فاقرئيهن السلام، قالت: ومن هن يا رسول الله؟ قال: أن الله زوجنيك في الجنة وزوجني مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وكلثم أخت موسى، فقالت: بالرفاء والبنين»[1]، إنها اللحظات الأخيرة التي تكلم فيها رسول الله ﷺ مع شريكة حياته وكفاحه، التي كانت له وزير صدق على الإسلام يشكو إليها[2]، لقد كانت رفيقته المثالية التي وهبت له نفسها ومالها، وآمنت به في حين أعلن الآخرون أنه كاذب، والتي كان يسر إليها بآماله وأمانيه فتشجعه، والتي واسته في رفق وجود في ساعات الشدة[3].

لقد وجد رسول الله ﷺ على السيدة خديجة عليها السلام حتى خشي عليه[4]، وبقيت فاطمة الزهراء عليها السلام يتيمة وهي طفلة صغيرة، فتعلقت برسول الله ﷺ وهي تبكي وتقول: «أين أمي أين أمي، فنزل جبرئيل عليه السلام، فقال: قل لفاطمة إن الله تعالى بنىٰ لأمك بيتاً من قصب لا نصب فيه ولا صخب»[5].

وبعد أن توفيت السيدة خديجة عليها السلام غسلتها أم أيمن وأم الفضل

---

(١) اليعقوبي، تاريخ، ٢٨/٢ . الطبراني، المعجم الكبير، ٣٧٦/٢٢ . الدميري، حياة الحيوان، ٣٨٩/٢ . المتقي الهندي، كنز العمال، ١٦/١٣ . الديار بكري، تاريخ الخميس، ٣٠١/١.

(٢) ابن هشام، السيرة، ٤٦/٢ . الطبرسي، أعلام الورى، ص٦٣ . الكلاعي، الإكتفاء، ٣٩٠/١ . الذهبي، تاريخ الإسلام، ١٤٠/١.

(٣) دينيه، اتين، محمد رسول الله، ترجمة عبد الحليم محمود، دار المعارف، مصر ١٩٦٦، ص١٥٣.

(٤) الطبراني، المعجم الكبير، ٣٧٦/٢٢ . الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٨٥/٢ . ابن حجر الإصابة، ٢٨٢/٤.

(٥) اليعقوبي، تاريخ، ٢٩/٢ . الهيثمي، مجمع الزوائد، ٢٢٣/٩ . المجلسي، بحار الأنوار ١/١٦.

زوجة العباس بن عبد المطلب[1]، وأخرجت الجنازة إلى الحجون[2]، ونزل رسول الله ﷺ في قبرها[3].

لقد رحلت من تركت للفضائل حياة لا تفنى، ورحلت عن هذا العالم إلى العالم العلوي من هذا المحيط الصغير إلى مقرها الأقدس. عند المحيط الأعظم حيث تجد ما وعدها ربها حقاً، لتنال مكافأتها على ما قدمت، لكن هل ماتت خديجة حقاً؟، كلا، إنها لماثلة بين عيني زوجها الرسول ﷺ، فما يسير إلا وطيف منها يتبعه، وما يسري إلا وسنا مشرق منها يبدد من حوله حالك الظلمات، وستتدخل بعدها في حياة محمد ﷺ نساء ذوات عدد، لكن مكانها في قلبه وفي دنياه سيظل أبداً خالصاً لهذه الزوجة الأولى والحبيبة الغالية التي انفردت في بيت زوجها ربع قرن من الزمان، لم تشاركها فيه أخرى، ولا لاح في أفقه ظل شريكة سواها[4].

---

(١) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٤٠٦ . أبو الفرج الأصبهاني، مقاتل الطالبيين، ص٤٨.

(٢) الحجون من مقابر أهل مكة، وفيها قبر قصي بن كلاب، تقع بأعلى مكة في الجهة الشمالية الغربية من الكعبة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ٢/ ٢٢٥ . الفاسي، شفاء الغرام، ٢/ ٧٣.

(٣) البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٤٠٦ . ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢/ ٨ . ابن حجر، الإصابة، ٢/ ٢٨٣ . المجلسي، بحار الأنوار، ١٦/ ١٣.

(٤) بنت الشاطىء، أزواج النبي، ص٤٣.

أحاديث رسول الله«ص» فيها

وردت أحاديث عديدة عن رسول الله ﷺ بحق السيدة خديجة عليها السلام، جاء البعض منها في حياتها والبعض الآخر بعد وفاتها مما يدل على أنها كانت باقية في ذاكرته.

الأول: تبشيرها في بيت في الجنة.

أ ـ روي عن عائشة(رض) قالت: «ما غرت على أحد غيرتي على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين، ولقد أمر أن يبشرها ببيت من قصب في الجنة»[1].

ب ـ عن أبي هريرة، قال: «أتى جبرئيل النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام وطعام أو شراب فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب»[2].

---

(١) أخرج البخاري، الصحيح، ٥/٤٨، باب تزويج النبي(ص)، خديجة وفضائلها. الترمذي، السنن، فضائل خديجة (رض)، ٥/٣٦٦ . وينظر أيضاً، البلاذري، أنساب الأشراف، ١/٤١٢ . الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/٨٣ . ابن حجر الإصابة، ٤/ ٢٨٢.

(٢) أخرجه البخاري، الصحيح، ٥/٤٨ . باب تزويج النبي (ص) خديجة وفضائلها،

ج ـ عن عبد الله بن جعفر، قال: قال النبي ﷺ: «أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب»[1].

ولو تساءلنا لماذا بشرها الله تعالى ببيت في الجنة، ولم يبشرها بقصر أو شيء أكبر من بيت والله عز وجل مكافأته بلا حدود، وأكبر من أن تحدها الكلمات؟.

إن ذكر البيت في هذا الحديث فيه معنى جميل، لأنها كانت ربة بيت في الإسلام، ولم يكن بيتاً على وجه الأرض كل أفراده مسلمون إلا بيتها، وهي فضيلة لم يشاركها فيها أحد[2]، كما أنها أول من بنى بها رسول الله ﷺ بيتاً بزواجه منها، ويمكن أن نقول أن مرجع أهل بيت النبوة لها حيث أن الله تعالى قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[3]، فهي أم فاطمة عليها السلام ابنة الرسول ﷺ زوجة علي بن أبي طالب عليه السلام الذي

مسلم، الجامع الصحيح، ٧/ ١٣٣ . باب فضائل خديجة، المتقي الهندي، كنز العمال، ٣/ ١١٥ . ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٤/ ٩.

(١) أخرجه ابن حنبل، المسند، مسند عبد الله بن جعفر، ١/ ٢٠٥ . الطبراني، المعجم الكبير، ٢٣/ ١٠ . الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/ ٢٢٣ . باب فضائل خديجة، المجلسي، بحار الأنوار، ٦/ ٧ . فضائل خديجة، وينظر أيضاً، ابن هشام، السيرة، ١/ ٢٢٥ . النويري، نهاية الأرب، ١٨/ ٢٧٩ . ونقلت بعض المصادر هذا الحديث بصيغ وأسانيد أخرى، الصنعاني، المصنف، ٥/ ٣٣٤ . الأزرقي، أخبار مكة، ٢/ ٣٠٤ . الذهبي، تاريخ الإسلام، ١/ ١٤١ . الديار بكري، تاريخ الخميس، ١/ ٢٨١.

(٢) السهيلي، الروض الأنف، ١/ ٢٧٨ . ابن حجر، فتح الباري في شرح صحيح البخاري ط٢، بيروت لبنان، د.تد ٧/ ١٧١ . الدمشقي، محمد بن يوسف (ت٩٤٢هـ). أزواج النبي، تحقيق محمد نظام الدين الفتح، دار ابن كثير، دمشق، ١٩٩٢ . ص٦٧.

(٣) سورة الأحزاب، الآية، ٣٣.

نشأ في بيتها صغيراً، وأنجبا الحسن والحسين عليهما السلام فكان رجوع أهل البيت جميعاً لها[1].

أما القصب فهو اللؤلؤ المجوف[2]، وإيراده هنا لأنها نالت قصب السبق في الإسلام دون غيرها من النساء[3]، والبيت لا صخب فيه، أي ليس فيه أصوات عالية وضوضاء، لأنها وفرت لرسول الله صلى الله عليه وآله الهدوء في بيتها، ولم تجعله يرفع صوته، وتابعته في الإسلام دون أي معارضة، أما النصب فهو التعب، وهو تعويض عما قاسته من تعب، بعد أن ربت أبناء النبي صلى الله عليه وآله وتكفلت أعمال بيته وشاركته في الدعوة وتحملت معه كل الضغوط والآلام.

الثاني: سلام الله عليها على لسان جبرئيل.

أ ـ مر بنا حديث أبي هريرة في إقرائها السلام من ربها.

ب ـ عن الإمام الصادق عليه السلام، عن أبي سعيد الخدري(رض): «أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أن جبرئيل عليه السلام قال لي ليلة أسري بي: حين رجعت قلت يا جبرئيل هل لك حاجة، قال: حاجتي أن تقرأ على خديجة من الله ومني السلام وحدثنا على ذلك إنها قالت حين لقاها نبي الله صلى الله عليه وآله فقال لها الذي قال جبرئيل،

---

(١) الدمشقي، أزواج النبي، ص٦٧.

(٢) ابن هشام، السيرة، ١/ ٢٢٥ . النويري، نهاية الأرب، ١٨/ ٢٧٩ . الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/ ٢٢٣.

(٣) السهيلي، الروض الأنف، ١/ ٢٧٩ . الدمشقي، أزواج النبي، ص٦٦.

فقالت: إن الله هو السلام ومنه السلام وإليه السلام وعلى جبرئيل السلام»[1].

الثالث: إن رسول الله ﷺ أطعمها من ثمار الجنة.

أوردت بعض المصادر حديثاً عن عائشة(رض)، قالت: «أطعم رسول الله ﷺ خديجة من عنب الجنة»[2].

الرابع: إن السيدة خديجة عليها السلام أفضل النساء.

أ ـ عن عبد الله بن جعفر عن الإمام علي عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ خير نسائها خديجة وخير نسائها مريم»[3].

ب ـ روي عن الإمام علي عليه السلام: «إن رسول الله ﷺ قال: إن الله اختار من النساء أربع مريم وآسية وخديجة وفاطمة»[4].

---

(١) أخرجه المجلسي، بحار الأنوار، ١٦/ ٧ . فضائل خديجة(ع)، وأوردت المصادر هذا الحديث بغير هذا السند، ينظر ابن هشام، السيرة، ١/ ٢٢٥ . ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤/ ١٨٢١ . الأربلي، كشف الغمة، ٢/ ١٣٤ . الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/ ٨٥ . الديار بكري، تاريخ الخميس، ١/ ٢٨٠.

(٢) أخرجه الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/ ٢٢٥ . باب فضائل خديجة،ينظر ابن بكار، المنتخب، ص٥٠، المكي، سمط النجوم، ١/ ٣٦٩.

(٣) أخرجه البخاري، الصحيح، ٤/ ٢٠٠ . باب بدء الوحي، مسلم، الجامع الصحيح، ٧/ ١٣٢ . باب فضائل خديجة(رض)، الترمذي، السنن، ٥/ ٣٦٧ . فضائل خديجة، ابن حنبل، المسند، مسند الإمام علي(ع)، ١/ ٨٤ . المتقي الهندي، كنز العمال، ١٣/ ١١٦ . المجلسي، بحار الأنوار. ١٦/ ٧، باب فضائل خديجة، وينظر، البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٤٠٦ . ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤/ ١٨٢٠ . محب الدين الطبري، السمط الثمين، ص٢٧ . الأربلي، كشف الغمة، ٢/ ١٢٩ .

(٤) أخرجه المجلسي، بحار الأنوار، باب فضائل خديجة، ١٦/ ٢.

ج ـ روي عن عبد الله بن عباس(رض) قال: «خط رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأرض أربعة خطوط، فقال: أتدرون ما هذا، فقالوا: الله ورسوله أعلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»[1].

د ـ روي عن أنس بن مالك(رض) قال: قال رسول الله ﷺ: «حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»[2].

الخامس: في كثرة ثناء رسول الله ﷺ عليها.

أ ـ عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، قالت: «ما غرت على أحد من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، كما غرت على خديجة وما أن أكون قد أدركتها، وما ذلك إلا لكثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لها، وإنه كان ليذبح الشاة فيتتبع بها

---

(١) أخرجه ابن حنبل، المسند، مسند عبد الله بن عباس، ١/ ٢٩٣ . الطبراني، المعجم الكبير، ١١/ ٣٣٦ . الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩٢٢٣ . المجلسي، بحار الأنوار، ١٦/ ٢ . باب فضائل خديجة، وينظر، ابن بكار، منتخب، ص٤٩ . ابن عبد البر، الإستيعاب، ٤/ ١٨٢١ . محب الدين الطبري، السمط الثمين، ٢٧ . النويري، نهاية الأرب، ٨/ ١٧٢ . القسطلاني، المواهب اللدنية، ١/ ٢٠٢ . الديار بكري، تاريخ الخميس، ١/ ٢٦٥ . المكي، سمط النجوم، ١/ ٣٦٨.

(٢) أخرجه الترمذي، السنن، ٥/ ٣٦٧ . فضائل خديجة، الطبراني، المعجم الكبير، ٢٢/ ٣٣٥ . وينظر ابن عبد البر، الإستيعاب، ٤/ ١٨٢٢ . محب الدين الطبري، السمط الثمين، ص ٢٨ . الأربلي، كشف الغمة، ٢/ ٧٧ . الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/ ٩٢.

صدائق خديجة فيهديها لهن»[1].

ب ـ روي عن عائشة (رض) إنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة لم يكد يسأم من ثناء عليها، واستغفار لها، فذكرها يوماً فاحتملتني الغيرة فقلت: لقد عوضك الله من كبيرة السن، فرأيته غضب غضباً شديداً أسقط في جلدي، وقلت في نفسي: اللهم إنك إن أذهبت غضب رسولك عني لم أعد أذكرها بسوء، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ما لقيت، قال: كيف قلت والله لقد آمنت بي إذ كذبني الناس، وآوتني إذ رفضني الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، ورزقت منها الولد إذ حرمتموه مني، فغدا وراح علي بها شهراً»[2].

ج ـ عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة: «ما غرت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة وما رأيتها، ولكن كان النبي يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها إلى أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له كأنه لم يكن في الدنيا امرأة

---

(١) أخرجه البخاري، الصحيح، ٥/٤٨ . باب تزويج النبي(ص) خديجة وفضائلها. الترمذي، السنن، ٥/٣٦٦ . باب فضل خديجة، وينظر أيضاً، ابن عبد البر، الاستيعاب، ٤/١٨٢٣ . النويري، نهاية الأرب، ١٨/١٧٢.

(٢) أخرجه الهيثمي، مجمع الزوائد، ٩/٢٢٤ . باب فضائل خديجة. المتقي الهندي، كنز العمال، ١٣/٦٧ . المجلسي، بحار الأنوار، ١٦/٨ . باب فضائل خديجة، وينظر، ابن عبد البر. الاستيعاب، ٤/١٨٢٤ . السهيلي، الروض الأنف، ١/٢٧٧ ـ ٢٧٨ . ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢/٨ . محب الدين الطبري، السمط الثمين، ص٢٥ . الأربلي، كشف الغمة، ٢/١٣٠ ـ ١٣١ . النويري، نهاية الأرب، ١٨/١٧٢ . ابن حجر، الإصابة، ٤/٢٨٣.

إلا خديجة، فيقول: إنها كانت وكانت وكان لي منها ولد»[1].

د ـ روي عن عائشة (رض)، قالت: «استأذنت هالة بنت خويلد أخت خديجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعرف استئذان خديجة فارتاع لذلك، فقال: اللهم هالة، قالت: فغرت، فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هكذا وقد أبدلك الله خير منها»[2].

ولم تكن هذه الأحاديث التي ذكرناها كل ما قاله الرسول فيها، بل هناك روايات أوردتها المصادر المختلفة تبين بقاء ذكرى السيدة خديجة عليها السلام عالقة في ذاكرته، ففي رواية: «جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لها: من أنت؟، فقالت: جثامة المزنية، قال: بل أنت حسانة المزنية، كيف أنتم، كيف حالكم، كيف كنتم بعدنا؟، قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فقال: يا عائشة إنها كانت تأتينا زمان خديجة، وإن حسن العهد من الإيمان»[3]، وفي رواية أن التي دخلت عليه امرأة اسمها «أم أزفر» ماشطة خديجة[4].

---

(١) أخرجه البخاري، الصحيح، ٥/ ٤٨، باب تزويج النبي(ص) خديجة وفضائلها. وينظر، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ٢/ ٨.

(٢) أخرجه البخاري، الصحيح، ٥/ ٤٨ . باب تزويج النبي(ص) وفضائل خديجة، مسلم، الجامع الصحيح، ٧/ ١٣٤ . باب فضائل خديجة.

(٣) أخرجه الطبراني، المعجم الكبير، ٢٣/ ١٤ . المجلسي، بحار الأنوار، ١٦/ ٨ . باب فضائل خديجة، وينظر أيضاً، ابن بكار، منتخب، ص٤٩ . ابن قتيبة، عيون الأخبار، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر، مصر، ١٩٦٣، ٣/ ١٥ . البلاذري، أنساب الأشراف، ١/ ٩٨ . ابن الأثير، أسد الغابة، ٧/ ٦٤ . الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/ ١٦٥ . المكي، سمط النجوم، ١/ ٣٦٩.

(٤) ابن بكار، منتخب، ص٤١ . ابن الجوزي، الوفا، ١/ ٦٤٥ ـ ٦٤٦.

وبقيت هذه الذكريات مع رسول الله ﷺ طيلة أيام حياته، فبعد أن انتهت معركة بدر، جاء المسلمون بالأسرى، وكان من بينهم أبي العاص بن الربيع زوج زينب، وبعثت قريش بفداء أسراها، وكان عمرو بن الربيع قد جاء بفداء أخيه، وكان هذا الفداء قلادة من جزع ظفار بعثتها زينب لفداء زوجها، لكن ما قصة هذه القلادة؟

إنها قلادة كانت للسيدة خديجة عليها السلام، أعطتها لزينب عند زواجها من أبي العاص، فقدمت هذه القلادة لرسول الله ﷺ فعرفها، ترى ماذا كان رد فعله وهو يراها؟، لقد قال للمسلمين: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا إليه متاعها فعلتم، قالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوا أبا العاص بن الربيع وردوا على زينب قلادتها»[1].

وأروع أمثلة هذا الحديث والوفاء لذكراها كان في العام الثامن للهجرة، عند فتح مكة بعد إحدى عشرة سنة من وفاتها، حين ولى الزبير بن العوام قيادة خيل المهاجرين والأنصار القادمين لفتح مكة، فأعطاه الراية وأمره أن يركزها بأعلى مكة في الحجون وقال له: «لا تبرح حيث أمرتك أن تغرز رايتي حتى آتيك»، فلما وصلت الخيل إلى الحجون قال له العباس بن عبد المطلب: «يا أبا عبد الله ها هنا امرك رسول الله ﷺ ان تركز الراية»[2]

وهناك عند الحجون حيث ترقد السيدة خديجة عليها السلام في قبرها ارتفع علم الرسول ﷺ، وضربت لرسول الله ﷺ قبته، حيث اتخذ له

---

(١) ابن سعد، الطبقات، ٨/ ٢٣١ . الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٢/ ١٧٥.

(٢) الطبري، تاريخ، ٣/ ٥٥ ـ ٥٧.

مكاناً للقيادة يدير منه معركة الفتح الأعظم، وأشرف وهو بالقرب من قبرها على سير الحوادث، ومن هناك دخل أم القرى يوم نصر الله عبده وأعز جنده[1]، وكان رسول الله ﷺ يريد أن يخبر السيدة خديجة عليها السلام بما صنعه الله له، وكيف أصبح الدين الذي استقبلته في بيتها.

(١) عمر، عبد المنعم محمد، خديجة أم المؤمنين(رض)، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتابة، مصر ١٩٩٤، ص ٤٣١.

الخاتمة

بسم الله الرحمن الرحيم

توصل كتابنا إلى عدة نتائج يمكن أن نجملها بما يأتي:

١ ـ من خلال دراسة نسب السيدة خديجة عليها السلام وأسرتها يتضح أن أجدادها كان لهم دور في أحداث مكة، فكونوا لأنفسهم مكانة لا بأس بها في مجتمع قريش، أثرت هذه المكانة بصورة غير مباشرة في شخصيتها، خصوصاً مع ظهور توجه ديني في العائلة.

٢ ـ توصل الكتاب إلى أن عمر السيدة خديجة عليها السلام لم يكن أربعين عاماً عند زواجها بالرسول صلى الله عليه وآله، بل كان ثمانية وعشرين عاماً، بالرغم من شيوع الرواية الأولى، لكن الأمر الشائع ليس بالضرورة أن يكون صحيحاً، لا سيما أنه اعتمد على رواية مفردة يخالفها الواقع.

٣ ـ أكد الرواة على أن السيدة خديجة عليها السلام كانت متزوجة قبل الرسول صلى الله عليه وآله برجلين وانتشرت هذه الروايات في مصادر التاريخ الإسلامي المختلفة، فأصبحت من الشهرة بمكان لم يستطع أحد أن يشكك بها أو يناقشها، كذلك أكدوا على ولادتها لمجموعة من الأبناء لكن هذه الروايات لاتصمد

أمام البحث العلمي، مما يؤدي إلى الشك في وجود هؤلاء الأبناء وفي زواجها أصلاً، لذلك فإن البحث قدم أدلة كثيرة تؤيد عدم زواجها، بالرغم من كونه لم ينف هذه المسألة.

٤ ـ كان الطابع أو السمة الرئيسية لسيرة السيدة خديجة عليها السلام عملها بالتجارة، لذلك ركز البحث على هذا الجانب وتوصل إلى أنها كانت تمتلك كمية لا بأس بها من الأموال، ساعدت على استقرار حياة الرسول ﷺ، وساهمت في نجاح الدعوة الإسلامية، وبقيت هذه الأموال حتى الهجرة إلى المدينة المنورة، لكن في نفس الوقت لم تكن السبب الذي دفع الرسول ﷺ إلى الزواج منها كما افترض الكثير من الباحثين، ويؤيد هذا الرأي أن الرسول ﷺ كان يعمل في التجارة قبل عمله معها، وهذا العمل كان في طريقه للتطور، ومن المحتمل أن يصبح رسول الله ﷺ أحد تجار مكة، خصوصاً أنه يتمتع بعقلية تجارية جعلته ينجح في عمله معها.

٥ ـ تزوج رسول الله ﷺ بالسيدة خديجة عليها السلام بناءاً على اختيار دقيق أساسه التوافق الفكري والروحي بين الطرفين وليس الأساس المادي، وكان هذا الزواج بعد بحث طويل حتى وجدا بعضهما فشعر كل منهما أنه وجد من يبحث عنه، أما الروايات التي ذكرت زواج رسول الله ﷺ منها فهي روايات مبالغ فيها ومضخمة لا يمكن قبولها في كثير من الأحيان، لا سيما أن قسماً منها يسيء إلى رسول الله ﷺ وإلى زوجته.

٦ ـ بعد زواج رسول الله ﷺ منها بقي يمارس العمل، لكن ليس بنفس الكيفية التي كان عليها قبل الزواج، لانشغال رسول الله ﷺ بالتعبد والتفكر، وافترضنا في الكتاب أن السيدة خديجة عليها السلام بقيت تمارس العمل عن طريق وكلاء لها كما كانت تفعل قبل زواجها من الرسول ﷺ.

٧ ـ ذكرت الروايات أن السيدة خديجة أنجبت للرسول ﷺ مجموعة من الأبناء والبنات، لكن هذه الروايات متناقضة متضاربة إلى درجة كبيرة، وقد نجح البحث في إثارة مجموعة من التساؤلات وترك المجال مفتوحاً عسى أن يجد باحث آخر إجابة لها.

٨ ـ شاركت السيدة خديجة عليها السلام الرسول ﷺ في توجهاته الروحية فأخذت تتحنث معه في غار حراء، وهذا ناتج عن التربية الروحية التي حصلت عليها في أسرتها، علاوة على بقائها فترة طويلة مع رسول الله ﷺ تشاهد بعينها قربه من السماء.

٩ ـ كان دور السيدة خديجة عليها السلام كبيراً في بدء البعثة، فقد استقبلت نبأ نزول الوحي على رسول الله ﷺ بثبات ويقين، وذلك تبعاً لمعرفتها لزوجها وميوله الدينية وآمنت بما جاء به، وقد أثبتنا في الكتاب ضعف الروايات التي ضخمت هذا الدور وجعلته أكبر من دور رسول الله ﷺ.

١٠ ـ أثبت الكتاب ضعف الروايات التي أكدت على ذهاب السيدة خديجة عليها السلام إلى مجموعة من النصارى «ورقة

وعداس وبحيرا»، بل لا نجانب الصواب أن هذه الروايات لا أساس لها وقد وضعت في فترة متأخرة.

١١ ـ كان دور السيدة خديجة عليها السلام كبيراً في الدعوة الإسلامية في مكة، لأنها كانت من أول المؤمنين بالرسالة وزيرة صدق في الإسلام هيأت لرسول الله صلى الله عليه وآله الراحة النفسية، بالرغم من المصاعب التي كان يلاقيها فوضعت نفسها في قلب المعاناة غير آبهة بنفسها حتى أثرت فيها وتوفيت قبل الهجرة بثلاث سنوات.

١٢ ـ بقيت السيدة خديجة عليها السلام حية في قلب الرسول صلى الله عليه وآله وهذا يتضح من أحاديثه فيها، ولم نجد امرأة نالت حب رسول الله صلى الله عليه وآله واحترامه، ونزلت منزلة عالية عنده بعد ابنته فاطمة عليها السلام مثلما وجدناه للسيدة خديجة عليها السلام.

المصادر والمراجع

أ ـ المصادر العربية:

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني، «ت٦٣٠هـ ـ ١٢٣٢م».

أسد الغابة في معرفة الصحابة، مطبعة الشعب، بغداد ١٩٧٠.

الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت ١٩٦٥.

٣ ـ الألوسي، شهاب الدين السيد محمود البغدادي «ت١٢٧٠هـ ـ ١٨٥٣م».

روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان د.ت.

٤ ـ الأربلي، عبد الرحمن سنبط قينتو «ت٧١٧هـ ـ ١٣١٧م».

خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، تصحيح مكي السيد جاسم، بغداد ١٩٦٤.

٥ ـ الأربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح «ت٦٩٢هـ ـ ١٢٩٣م».

كشف الغمة في معرفة الأئمة، مطبعة النجف، النجف الأشرف ١٣٨٥هـ.

٦ ـ الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد «ت٢٥٠هـ ـ ٨٦٥م».

أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي صالح محسن، ط٢، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة ١٩٦٥.

٧ ـ ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي «ت١٥١هـ ـ ٧٦٨م».
السير والمغازي، تحقيق سهيل زكار، ط١، دار الفكر ١٩٧٨م.
٨ ـ الأصمعي، عبد الملك بن قريب «ت٢١٧هـ ـ ٨٣٢م».
تاريخ العرب قبل الإسلام، تحقيق محمد حسن آل ياسين، ط١، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٥٩م.
٩ ـ البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي «ت٢٥٦هـ ـ ٨٦٩م».
ـ التاريخ الكبير، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٩٦٣.
ـ صحيح البخاري، دار إحيار التراث العربي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة د.ت.
١٠ ـ ابن بكار، الزبير «ت٢٥٦هـ ـ ٨٦٩م».
ـ الأخبار الموفقيات، تحقيق سامي مكي العاني، مطبعة العاني، بغداد ١٩٧٢.
ـ جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق محمود محمد شاكر، مكتبة دار العروبة، مصر ١٣٨١هـ.
ـ منتخب من كتاب أزواج النبي لمحمد بن الحسن بن زبالة «ت١٩٩هـ ـ ٨١٤م»، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط١، دار إحياء التراث الإسلامي، المملكة العربية السعودية ١٩٨١.
١١ ـ البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي «ت٤٨٧هـ ـ ١٠٩٤م»
ـ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا ط١، القاهرة ١٩٤٩م.
١٢ ـ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر «ت٢٧٩هـ ـ ٩٠١م».
ـ أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف، مصر ١٩٥٩م، الجزء الأول.
ـ أنساب الأشراف، تحقيق محمد باقر المحمودي ط١، بيروت، لبنان ١٩٧٤، الجزء الثاني.
ـ جمل من أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار، مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت ١٩٩٦م، الجزء الثالث عشر.
ـ فتوح البلدان، دار الهلال، بيروت، لبنان ١٩٨٣م.

١٣ ـ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين «ت٤٥٨هـ ـ ١٠٦٥م».
ـ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٩٨٥م.
١٤ ـ الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة «ت٢٧٩هـ ـ ٨٩٢م».
ـ سنن الترمذي، نشر محمد عبد المحسن الكتبي، مطبعة الفجالة، القاهرة د.ت.
١٥ ـ الثعالبي، عبد الملك بن محمد إسماعيل النيسابوري «ت٤٢٩هـ ـ ١٠٣٧م».
ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر، مصر ١٩٦٥.
١٦ ـ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر «ت٢٥٥هـ ـ ٨٦٨م».
ـ رسائل الجاحظ «الرسائل السياسية»، تقديم علي أبو ملحم ط١، مكتبة الهلال، بيروت ١٩٧٨م
١٧ ـ ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن «ت٥٩٧هـ ـ ١٢٠٠م».
ـ صفة الصفوة، تحقيق محمد فاخوري، دار المعرفة بيروت ١٩٧٩.
ـ الوفا بأحوال المصطفى، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة ١٩٦٦.
١٨ ـ سبط ابن الجوزي، أبو المظفر يوسف شمس الدين «ت٦٤٥هـ ـ ١٢٤٧م».
ـ تذكرة الخواص، المطبعة العلمية، النجف ١٣٦٩هـ.
١٩ ـ الجويني، ابراهيم بن محمد بن المؤيد «ت٧٣٠هـ ـ ١٣٢٩م».
ـ فرائد السمطين في فضائل المرتضى والبتول والسبطين، تحقيق محمد باقر المحمودي، بيروت ١٩٧٨.
٢٠ ـ ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم بن محمد الرازي «ت٣٢٧هـ ـ ٩٣٨م».

ـ الجرح والتعديل، ط١، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند ١٩٥٢.

٢١ ـ ابن حبان، محمد بن حبان البستي «ت٣٥٤هـ ـ ٩٦٥م».

ـ مشاهير علماء الأمصار، تصحيح م. فلايشهمر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٥٩.

ـ الثقات، تصحيح عبد اخالف الأفغاني، ط١، حيدر أباد الدكن، الهند ١٩٦٨.

٢٢ ـ ابن حبيب، أبو جعفر محمد بن حبيب بن عمرو الهاشمي «٢٤٥هـ ـ ٨٥٩م».

ـ المحبر، رواية أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، تصحيح أليزه ليختن شتيتر، المكتب التجاري، بيروت ١٣٦١هـ.

ـ المنمق، تعليق وتصحيح خورشيد أحمد فاروق، ط١، حيدر آباد الدكن ١٩٦٤.

٢٣ ـ ابن حجر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني «ت٨٥٢هـ ـ ١٤٤٨م».

ـ الإصابة في تمييز الصحابة، ط١، مطبعة السعادة، مصر ١٣٢٨هـ.

ـ تقريب التهذيب، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، ط١، المكتبة العلمية، المدينة المنورة د.ت.

ـ تهذيب التهذيب، ط١، مطبعة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند ١٣٢٥هـ.

ـ فتح الباري في شرح صحيح البخاري، الطبعة الثانية بالأوفست عن طبعة بولاق مصر ١٣٠٠هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان د.ت.

ـ لسان الميزان، ط١، حيدر آباد الدكن، الهند ١٣٣١هـ.

٢٤ ـ ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد المدائني المعتزلي «ت٦٥٦هـ ـ ١٢٥٨م».

ـ شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم، ط١، داء إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٨م.

٢٥ ـ ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي،

«ت٤٥٦هـ ـ ١٠٦٣م»،

ـ جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط١، دار المعارف، مصر ١٩٧١م.

ـ جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى، تحقيق إحسان عباس، دار المعارف، مصر د.ت.

ـ الفضل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة المثنى، بغداد د.ت.

٢٦ ـ الحلبي، علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي «ت١٤٤هـ ـ ١٦٣٤م».

ـ إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون المعروفة بالسيرة الحلبية، المكتبة التجارية الكبرى، مصر ١٩٦٢م.

٢٧ ـ ابن حنبل، أحمد «ت٢٤١هـ ـ ٨٥٥م».

ـ مسند أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت، لبنان د.ت.

٢٨ـ ابن حيان، محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي «ت٧٤٩هـ ـ ١٣٤٨م».

ـ تفسير البحر المحيط، عن طبعة مولاي السلطان عبد الحفيظ سلطان المغرب بالتصوير، ط٢، دار الفكر، بغداد ١٩٧٨م.

٢٩ ـ أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد «ت٣٦٤هـ ـ ٩٧٤م».

ـ البصائر والذخائر، تصحيح إبراهيم الكيلاني، مكتبة أطلس، دمشق ١٩٦٦م.

٣٠ ـ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي، «ت٤٦٣هـ ـ ١٠٧٠م».

ـ تاريخ بغداد أو مدينة السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان د.ت.

٣١ ـ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر «ت٦٨١هـ ـ ١٢٨٢م».

ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق أحسان عباس، دار الثقافة، بيروت ١٩٧١م.

٣٢ ـ الخوارزمي، أبو المؤيد الموفق بن أحمد بن محمد الحنفي «ت٥٦٨هـ ـ ١١٧٢م».

ـ المناقب، تقديم محمد رضا الموسوي الخرسان، نشر محمد كاظم الكتبي، المطبعة الحيدرية، النجف ١٩٦٥م.

٣٣ ـ ابن خياط، خليفة بن خياط بن خليفة العصفري «ت٢٤٠هـ ـ ٨٥٤م».
ـ تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق سهيل زكار، مطابع وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٦٦م.
٣٤ ـ أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، الأزدي «ت٢٥٧هـ ـ ٨٧٠م».
ـ سنن أبي داود، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد مصر. د. ت.
٣٥ ـ ابن دريد، أبو بكر محمد بن حسن بن دريد الأزدي «ت٣٢١هـ ـ ٩٣٣م».
ـ الاشتقاق، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٢، مكتبة المثنى، بغداد ١٩٧١م.
٣٦ ـ الدمشقي، محمد بن يوسف الصالحي، «ت٩٤٢هـ ـ ١٥٣٥م».
ـ أزواج النبي«ص» اللاتي دخل بهن أو عقد عليهن وخطبهن وبعض فضائلهن، تحقيق محمد نظام الدين الفتح، دار ابن كثير، دمشق ١٩٦٢.
٣٧ ـ الدميري، الشيخ كمال الدين «ت٨٠٨هـ ـ ١٤٠٥م».
ـ حياة الحيوان الكبرى، دار الفكر، بيروت، لبنان د. ت.
٣٨ ـ الديار بكري، حسين بن محمد الحسن «ت٩٦٦هـ ـ ١٥٥٩م».
ـ تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع، بيروت ١٢٨٣م.
٣٩ ـ الذهبي، محمد بن أحمد بن قيماز «ت٧٤٨هـ ـ ١٣٤٧م».
ـ تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والإعلام، مطبعة السعادة، مصر د. ت.
ـ تجريد أسماء الصحابة، دار المعرفة، بيروت، لبنان د. ت.
ـ تذكرة الحفاظ، نشر محمد أمين دمج، ط٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٥٦م.
ـ دول الإسلام، ط٢، مطبعة جمعية دار المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن ١٣٦٤هـ.
ـ سير أعلام النبلاء، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار المعارف، مصر ١٩٥٧م.
ـ العبر في خبر من غبر، تحقيق محمد بن سعيد بن بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٩٨٦م.
ـ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق محمد سيد جاد الحق،

ط١، دار الكتب الحديثة، مصر، القاهرة ١٩٦٧م.
ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيقي علي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، مصر ١٩٦٣م.
٤٠ ـ ابن رسته، أبو علي محمد بنعمر بن رسته، «ت٤٩٠هـ ـ ١٠٩٦م».
ـ الأعلاق النفسية، مطبعة بريل، ليدن ١٨٩١م.
٤١ ـ ابن الزبير، عروة «ت٩٤هـ ـ ٧١٢م».
ـ مغازي رسول الله«ص» برواية أبي الأسود عنه، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، منشورات مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض ١٩٨١م.
٤٢ ـ الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله «ت٨٩٤هـ ـ ١٣٩١م».
ـ البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، مصر ١٩٥٧م.
٤٣ ـ الزرندي، جمال الدين محمد بن يوسف الحنفي «ت٧٥٠هـ ـ ١٣٤٩م».
ـ نظم درر السبطين في فضائل المصطفى والبتول والسبطين، مطبعة القضاء، النجف ١٩٥٨م.
٤٤ ـ الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمرو «ت٥٣٨هـ ـ ١١٤٣م».
ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل، القاهرة ١٩٦٨م.
٤٥ ـ الزوزني، عبد الله بن محمد.
ـ شرح المعلقات السبع، مكتبة النقاء، بغداد، د.ت.
٤٦ ـ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن «ت٩٠٢هـ ـ ١٤٩٦م».
ـ الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، نشره القدسي، مطبعة الترقي، دمشق ١٣٤٩هـ.
٤٧ ـ ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري، «ت٢٣٠هـ ـ ٨٤٤م».
ـ الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت د.ت.
ـ الطبقات الكبرى «القاسم المتمم»، تحقيق محمد منصور ط١، المدينة المنورة

١٩٨٣م.
٤٨ ـ السكتواري، علاء الدين علي دده بن مصطفى البسنوي «ت١٠٠٧هـ ـ ١٥٩٨م».
ـ محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر، ط١، المطبعة العامرة الشرفية، مصر ١٣١١هـ.
٤٩ ـ السمهودي، نورد الدين علي بن أحمد «ت٩١١هـ ـ ١٥٠٥م».
ـ وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي، ١٩٥٥م.
٥٠ ـ السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي، «ت٥٨١هـ ـ ١١٨٥م».
ـ الروض الأنف، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر ١٩٧١م.
ـ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، نشر مكتبة القدسي، القاهرة ١٣٥٦هـ.
٥١ ـ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر «ت٩١١هـ ـ ١٥٠٥م».
ـ تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، مصر ١٩٥٢م.
ـ الخصائص الكبرى كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب، تحقيق محمد خليل مهراس، دار الكتب الحديثة، مصر ١٩٦٧م.
ـ الدر المنثور، نشر محمد أمين، بيروت د.ت.
٥٢ ـ ابن شهر آشوب، محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني «ت٥٨٨هـ ـ ١١٩٢م».
ـ مناقب آل أبي طالب، المطبعة الحيدرية، النجف د.ت.
٥٣ ـ أبو الشيخ، عبد الله بن محمد بن جعفر الأصبهاني «ت٣٦٩هـ ـ ١٩٧٩م».
ـ أخلاق النبي«ص» وآدابه، تحقيق أحمد محمد مرسي، ط٢، مصر ١٩٧٢م.
٥٤ ـ الشيرازي، حيدر علي خان المدني الحسيني «ت١١٢٠هـ ـ ١٧٠٨م».
ـ الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، تقديم السيد محمد صادق بحر العلوم،

المكتبة الحيدرية، النجف ١٩٦٢م.

٥٥ ـ الصدوق، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي «ت٣٨١هـ ـ ١٩٩١م».

ـ أمالي الصدوق، تقديم محمد مهدي السيد حسين الموسوي الخرسان، المطبعة الحيدرية، النجف ١٩٧٠م.

٥٦ ـ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك «ت٧٦٤هـ ـ ١٣٦٢م».

الوافي بالوفيات، ط٢، اعتناء هلموت ريتر، دار النشر فرانز ستايز، بفبادن ١٩٦٢م.

٥٧ ـ الصفوري الشافعي، عبد الرحمن بن عبد السلام.

ـ نزهة المجالس ومنتخب النفائس، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة ١٣٥٨هـ.

٥٨ ـ الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن هما «ت٢١١هـ ـ ٨٢٦م».

ـ المصنف، تحقيق عبد الرحمن الأعظمي، بيروت ١٩٧٢م.

٥٩ ـ الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد «ت٣٦٠هـ ـ ١٩٧٠م».

ـ المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، مطبعة الزهراء، الموصل، ١٩٨٣م.

٦٠ ـ الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن «ت٥٤٨هـ ـ ١١٥٣م».

ـ أعلام الورى بأعلام الهدى، تصحيح علي أكبر الغفاري، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران ١٣٣٨هـ.

ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي، دار إحياء التراث، بيروت لبنان د.ت.

٦١ ـ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد «ت٣١٠هـ ـ ٩٢٢م».

ـ تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، مصر ١٩٦٨م.

ـ جامع البيان في تأويل آي القرآن، ط٣، مصر ١٩٦٨م.

٦٢ ـ الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن «ت٤٦٠هـ ـ ١٠٦٧م».

ـ تفسير التبيان، تحقيق أحمد بن حبيب قصير العاملي، مكتبة الأميني، النجف الأشرف ١٩٦٣م.

٦٣ ـ العامري، عماد الدين يحيى بن أبي بكر «ت٨٩٣هـ ـ ١٤٨٨م».

ـ بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل، شرح جمال الدين محمد الأشقر اليمني، نشر المكتبة العلمية، مصر ١٣٣١هـ.

٦٤ ـ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد «ت٤٦٣هـ ـ ١٠٧٠م».

ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق محمد علي البجاوي، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها الفجالة، مصر د.ت.

ـ الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة ١٩٦٦م.

٦٥ ـ عبد الجبار، القاضي عبد الجبار الهمداني «ت٤١٥هـ ـ ١٠٢٤م».

ـ تثبيت دلائل النبوة، تحقيق عبد الكريم عثمان، دار العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٦م.

٦٦ ـ ابن عبد ربه، أبو عمرو أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي «ت٣٥٦هـ ـ ٩٣٨م».

ـ العقد الفريد، تصحيح محمد أمين، القاهرة ١٩٤٩م.

٦٧ ـ أبو عبيدة، معمر بن المثنى «ت٢٠٨هـ ـ ٨٢٣م».

ـ تسمية أزواج النبي «ص» وأولاده، تحقيق ناصر حلاوي، جامة البصرة ١٩٦٩م.

٦٨ ـ ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي «ت٥٧١هـ ـ ١١٧٥م».

ـ تاريخ دمشق، تحقيق محب الدين عمر بن غرامسة، دار الفكر، بيروت ١٩٩٥م.

٦٩ ـ العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل «ت٣٩٥هـ ـ ١٠٠٤م».

ـ الأوائل، تحقيق محمد السيد الوكيل، نشر أسعد طرابزوني الحسني، المدينة المنورة ١٩٦٦م.

٧٠ ـ أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم البغدادي «ت٣٥٦هـ ـ ٩٦٦م».
ـ الأمالي، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الفكر، د.م، د.ت.
ـ ذيل الأمالي، فهرست محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الفكر د.م، د.ت.
٧١ ـ ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد «ت١٠٨٩هـ ـ ٢٩٧٨م».
ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان د.ت.
٧٢ ـ الغلابي، محمد بن زكريا بن دينار البصري «ت٢٩٨هـ ـ ٩١٠م».
ـ وقعة الجمل، رواية محمد بن يحيى بن عباس الصولي «ت٣٣٥هـ» تحقيق محمد حسن آل ياسين، ط١، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٧٠م.
٧٣ ـ الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد بن علي «ت٨٣٢هـ ـ ١٤٢٨م».
ـ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق لجنة من كبار العلماء والأدباء، دار الكتب العربية، بيروت ١٩٥٦م.
ـ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٩٥٨م.
٧٤ ـ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل «ت٧٣٢هـ ـ ١٣٣١م».
ـ المختصر في أخبار البشر، ط١، المطبعة الحسينية المصرية، مصر د.ت.
ـ الأغاني، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الشعب، مصر، ١٩٧٠م.
ـ مقاتل الطالبيين، تحقيق أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت، لبنان د.ت.
٧٥ ـ أبو القاسم الكوفي، علي بن أحمد بن موسى «ت٣٩٢هـ ـ ١٠٠١م»
ـ الاستغاثة، النجف، د.ت.
٧٦ ـ ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري «ت٢٧٦هـ ـ ٨٨٩م».
ـ عيون الأخبار، دار الكتب، مصر ١٩٦٣م.
ـ المعارف، حقيق ثروت عكاشة، ط٢، دار المعارف، مصر ١٩٦٩م.
٧٧ ـ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري «ت٦٧١هـ ـ ١٢٧٣م».
ـ الجامع لأحكام القرآن، القاهرة ١٩٥٠م.

٧٨ ـ القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر الخطيب «ت٩٢٣هـ ـ ١٥١٧م».
ـ المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، المطبعة الشرقية، طنطا ١٩٠٧م.
٧٩ ـ ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر «ت٧٥١هـ ـ ١٣٥٠م».
ـ زاد المعاد في هدى خير العباد، تقديم طه عبد الرؤوف طه، مصر ١٩٧٠م.
٨٠ ـ الكازروني، ظهير الدين علي بن محمد البغدادي «ت٦٩٧هـ ـ ١٢٩٧م».
ـ مختصر التاريخ، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة الحكومة، بغداد ١٩٧٠م.
٨١ ـ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي «ت٧٧٤هـ ـ ١٣٧٢م».
ـ البداية والنهاية، ط١، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان ١٩٦٦م.
ـ تفسير القرآن العظيم، دار إحيار الكتب العربية، مصر د.ت.
ـ مولد رسول الله«ص»، تحقيق صلاح الدين المنجد، بيروت ١٩٦١م.
٨٢ ـ الكلاعي، أبو الربيع سليمان بن موسى الأندلس «ت٦٣٤هـ ـ ١٢٣٦م».
ـ الاكتفاء في مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مكتبة الهلال، بيروت ١٩٦٨م.
٨٣ ـ ابن الكلبي، هشام بن محمد بن السائب «ت٢٠٤هـ ـ ٨١٩م».
ـ جمهرة النسب، تحقيق ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية، بيروت ١٩٨٦م.
٨٤ ـ الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحق «ت٣٢٩هـ ـ ٩٤٠م».
ـ الأصول من الكافي، تعليق علي أكبر الغفاري، ط٣، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٨٨هـ.
٨٥ ـ مؤرخ السدوسي، مؤرخ بن عمرو السدوسي «ت١٩٥هـ ـ ٨١٠م».
ـ حذف من نسب قريش، نشر صلاح الدين المنجد، مكتبة العروبة القاهرة ١٩٦٠م.
٨٦ ـ ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني «ت٢٧٥هـ ـ ٨٨٦م».
ـ سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت ١٩٥٢م.
٨٧ ـ ابن ماكولا، أبو نصر علي بن هبة الله بن ماكولا «ت٤٧٥هـ ـ ١٠٨٢م».

ـ الإكمال في رفع الإرتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب، تصحيح عبد الرحمن بن يحيى، وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، ط١، حيدر آباد الدكن، الهند ١٩٦٠م.

٨٨ ـ المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد «ت٢٨٦هـ ـ ٨٩٩م».

ـ الكامل في الأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة، القاهرة د.ت.

٨٩ ـ المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين «ت٩٧٥هـ ـ ١٥٦٧م».

ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ط٢، حيدر آباد الدكن ١٩٦٧م.

٩٠ ـ المجلسي، محمد باقر «ت١١١١هـ ـ ١٦٩٩م».

ـ بحار الأنوار، تعليق السيد جواد العلوي، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٨٥هـ.

٩١ ـ محب الدين الطبري، أحمد بن عبد الله «ت٦٩٤هـ ـ ١٢٩٤م».

ـ ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، مراجعة جميل ابراهيم حبيب، بغداد ١٩٨٤م.

ـ السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين، ط١، المطبعة العلمية، حلب ١٩٢٨م.

٩٢ـ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي «ت٣٤٦هـ ـ ٩٥٦م».

ـ إثبات الوصية لعلي بن أبي طالب«ع»، طهران ١٣٢٠هـ.

ـ التنبيه والإشراف، بيروت ١٩٦٥م.

ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، فهرسة يوسف أحمد داغر، ط٦، دار الأندلس، بيروت، لبنان ١٩٨٦م.

٩٣ ـ مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري «ت٢٦١هـ ـ ٨٧٤م».

ـ الجامع الصحيح، بيروت ١٣٢٧هـ.

٩٤ ـ مصعب الزبيري، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن مصعب «ت٢٣٦هـ ـ ٨٥٠م».

ـ نسب قريش، أ، ليفي برفنسال، دار المعارف، مصر ١٩٥٣م.
٩٥ ـ مغلطاي، علاء الدين مغلطاي بن فليج «ت٧٦٢هـ ـ ١٣٦١م».
ـ سيرة مغلطاي، مطبعة السعادة، مصر ١٣٢٦هـ.
٩٦ ـ المفيد، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان «ت٤١٣هـ ـ ١٠٢٢م».
ـ الجمل أو النصرة في حرب البصرة، المطبعة الحيدرية، النجف د.ت.
٩٧ ـ المقدسي، مطهر بن طاهر «ت بعد ٣٥٥هـ ـ ٩٦٦م».
ـ البدء والتاريخ، المنسوب تأليفه لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي، نشره وترجمه إلى العربية كلمان هوار، باريز، ١٩٣١م.
٩٨ ـ المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي «ت٨٤٥هـ ـ ١٤٤١م».
ـ إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والأمتاع، تصحيح محمود محمد شاكر، القاهرة ١٩٤١م.
ـ النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم، تقديم محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، النجف ١٩٦٦م.
٩٩ ـ المكي، عبد الملك بن الحسين بن عبد الملك العصامي «ت١١١١هـ ـ ١٦٩٩م».
ـ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٨٠هـ.
١٠٠ ـ ابن منظور، جمال الدين بن مكرم «ت٧١١هـ ـ ١٣١١م».
ـ لسان العرب المحيط، تقديم عبد الله العلايلي، دار اللسان العربي، بيروت، د.ت.
١٠١ ـ المنقري، نصر بن مزاحم «ت٢١٢هـ ـ ٨٢٧م».
ـ وقعة صفين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٢، المؤسسة العربية الحديثة، مصر ١٣٨٢هـ.
١٠٢ ـ النبيل، أبو بكر أحمد بن أبي عاصم «ت٢٨٧هـ ـ ٩٠٠م».
ـ الأوائل، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٩٨٧م.

١٠٣ ـ ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحق «ت٣٨٠هـ ـ ٩٩٠م».
ـ الفهرست، تحقيق رضا تجدد بن علي زين العابدين، طهران ١٩٧٠م.
١٠٤ ـ النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الشافعي «ت٣٠٣هـ ـ ٩١٥م».
ـ خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «كرم الله وجهه»، تحقيق محمد هادي الأميني، د.م، د.ت.
ـ سنن النسائي، تصحيح الشيخ حسن محمد المسعودي، المطبعة المصرية في الأزهر، مصر د.ت.
١٠٥ ـ النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود «ت٧١٠هـ ـ ١٣١٠م».
ـ تفسير النسفي، دار إحياء الكتب العربية، بيروت د.ت.
١٠٦ ـ أبو نعيم الأصبهاني، أحمد بن عبد الله «ت٤٣٠هـ ـ ١٠٣٨م».
ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان ١٩٦٧م.
ـ دلائل النبوة، تحقيق محمد رواس قلعجي، ط١، حلب، ١٩٧٠م.
١٠٧ ـ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب «ت٧٣٣هـ ـ ١٣١٣م».
ـ نهاية الأرب في فنون الأدب، القاهرة ١٩٥٩م.
١٠٨ ـ ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافيري «ت٢١٣هـ ـ ٨٢٨م».
ـ السيرة النبوية لابن هشام، تقديم طه عبد الرؤوف طه، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر ١٩٧٤م.
١٠٩ ـ الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر «ت٨٠٧هـ ـ ١٤١٤م».
ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مكتبة القدسي، القاهرة ١٣٥٣هـ.
١١٠ ـ الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري «ت٤٦٨هـ ـ ١٠٧٥م».
ـ أسباب النزول، القاهرة ١٩٦٨م.
١١١ ـ الواقدي، محمد بن عمر بن واقد «ت٢٠٧هـ ـ ٨٢٢م».
ـ مغازي الواقدي، تحقيق ماردسن جونس، دار المعارف مصر، القاهرة

١٩٦٤م.
١١٢ ـ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله «ت٦٢٦هـ ـ ١٢٢٨م».
ـ معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٩٥٦م.
١١٣ ـ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر «ت٢٨٤هـ ـ ٨٩٧م».
ـ تاريخ اليعقوبي، تقديم السيد محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، النجف ١٩٦٤م.

ب ـ المراجع:

١١٤ ـ أرفنج، واشجتون.
ـ حياة محمد، ترجمة علي حسني الخربوطلي، ط٢، دار المعارف، مصر ١٩٦٦.
١١٥ ـ بخش، خوادا.
ـ الحضارة الإسلامية، ترجمة علي حسني الخربوطلي، دار الكتب الحديثة، الجيزة، ١٩٦٠.
١١٦ ـ ابن بدران، عبد القادر.
ـ تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر «ت٥٧١هـ»، دار السيرة، بيروت ١٩٧٩م.
١١٧ ـ برانق، محمد أحمد.
ـ خديجة الطاهرة، دار المعارف، مصر د.ت.
١١٨ ـ البعاج، عبد الستار.
ـ خديجة الكبرى، مطبعة الغري الحديثة، النجف ١٩٥٦م.
١١٩ ـ بنت الشاطىء، عائشة عبد الرحمن.
ـ نساء النبي«ع»، دار الهلال مصر، د.ت.
ـ بنات النبي، دار الهلال، مصر ١٩٦٣م.
١٢٠ ـ بودلي، ر.ف.
ـ الرسول حياة محمد، ترجمة محمد فرج، مكتبة مصر د.ت.
١٢١ ـ توفيق، بثينة.

ـ خديجة أم المؤمنين، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٤٨م.
١٢٢ ـ جاسم، محمد السيد.
ـ محمد الحقيقة العظمى، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧م.
١٢٣ ـ جيوم، الفريد.
ـ الإسلام، ترجمة محمد مصطفى هذارة، ط١، القاهرة ١٩٥٨م.
١٢٤ ـ الحوفي، محمد أحمد.
ـ المرأة في الشعر الجاهلي، القاهرة ١٩٦٣.
١٢٥ ـ دور منغم، أميل.
ـ حياة محمد، ترجمة محمد عادل زعيتر، دار الكتب العلمية، بيروت د.ت.
١٢٦ ـ الدوري، عبد العزيز.
ـ دراسات في العصور العباسية المتأخرة، بغداد ١٩٤٥م.
ـ نشأة علم التاريخ عند العرب، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٦٠م.
١٢٧ ـ دينيه، اتين.
ـ محمد رسول الله، ترجمة عبد الحليم محمود، دار المعارف، مصر ١٩٦٦م.
١٢٨ ـ ديورانت، ول.
ـ قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة ١٩٦٤م.
١٢٩ ـ راضي، علي عبد الجليل.
ـ حياة محمد الروحية، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٤م.
١٣٠ ـ رضا، محمد رشيد.
ـ الوحي المحمدي، ط٢، مطبعة المنار، مصر ١٣٥٢هـ.
١٣١ ـ الساعي، إبراهيم زكي.
ـ أم الاشتراكية خديجة بنت خويلد، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر د.ت.
١٣٢ ـ سالم، السيد عبد العزيز.
ـ تاريخ العرب في عصر الجاهلية، دار النهضة العربية، بيروت ١٩٧١م.
١٣٣ ـ السحار، عبد الحميد جودة.

ـ محمد والذين معه «خديجة بنت خويلد»، دار مصر للطباعة، مصر ١٩٦٧م.
١٣٤ ـ سرور، طه عبد الباقي.
ـ خديجة زوجة الرسول، دار الشرق الجديد، القاهرة ١٩٥٧م.
١٣٥ ـ الصعيدي، عبد المتعال.
ـ دواوين الشعراء الستة الجاهلين، ط٤، مطبعة الفجالة، القاهرة ١٩٦٨م.
١٣٦ ـ عاشور، سعيد هارون.
ـ نساء النبي«ص» سير وقضاياه، مكتبة الآداب، مصر ١٩٩٦م.
١٣٧ ـ عاقل. نبيه.
ـ تاريخ عصر الرسول والخلفاء الراشدين، مطبعة إبي العلاء، دمشق ١٩٧٦م.
١٣٨ ـ العاملي، محسن الأميني.
ـ سيرة الرسول«ص»، دار القلم، بيروت د.ت.
١٣٩ ـ عرموش، أحمد راتب.
ـ الفتنة وواقعة الجمل، رواية سيف بن عمر، دار النفائس، بيروت ١٩٧٢م.
١٤٠ ـ العشري ـ عبد السلام.
ـ خديجة بنت خويلد، مؤسسة المطبوعات الحديثة، مصر د.ت.
١٤١ـ علي، جواد.
ـ تاريخ العرب في الإسلام، بغداد ١٩٦١م.
ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط١، بيروت ١٩٧٠م.
١٤٢ـ العلي، صالح أحمد.
ـ محاضرات في تاريخ العرب، جامعة الموصل ١٩٨١م.
١٤٣ ـ عمر، عبد المنعم.
ـ خديجة أم المؤمنين، ط٣، الهيئة العامة للطباعة، مصر ١٩٩٤م.
١٤٤ـ العوا، بشير.
ـ الأسرة بين الجاهلية والإسلام وأوضاعها الراهنة، ط٢، دار الفكر الإسلامي، دمشق ١٩٥٨م.
١٤٥ ـ عوض الله، أحمد أبو الفضل.

ـ مكة في عصر ما قبل الإسلام، ط٢، الرياض، ١٩٨٠م.
١٤٦ ـ قطب، محمد علي.
ـ خديجة بنت خويلد (رض) ط١، دار القلم، بيروت، لبنان ١٩٨٠م.
١٤٧ ـ كستر، آج.
ـ الحيرة ومكة وصلتهما بالقبائل العربية، ترجمة يحيى الجبوري، جامعة بغداد ١٩٦٧م.
١٤٨ ـ لوبون، غوستاف.
ـ حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابلي الخلبي، القاهرة ١٩٦٩م.
١٤٩ ـ المامقاني.
ـ تنقيح المقال، المطبعة المرتضوية، النجف ١٣٥٢م.
١٥٠ ـ المحتصر، محمد جواد.
ـ نساء النبي وأولاده، ط١، مطبعة العمال المركزية، بغداد ١٩٩٠م.
١٥١ ـ الملاح، هاشم يحيى.
ـ الوسيط في تاريخ العرب قبل الإسلام، مطبعة جامعة الموصل ١٩٩١م.
ـ الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، مطبعة جامعة الموصل ١٩٩١م.
١٥٢ ـ الندوى، أبو الحسن علي الحسيني.
ـ السيرة النبوية، ط١، دار الشروق، القاهرة ١٩٦٩م.
١٥٣ ـ أبو النصر، عمر.
ـ فاطمة بنت رسول الله«ص»، ط٢، بيروت ١٩٣٨م.
١٥٤ ـ هورفتس، يوسف.
ـ المغازي الأولى ومؤلفها، ترجمة حسين نصار، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر ١٩٤٩م.
١٥٥ ـ واط، مونتجمري.
ـ محمد في مكة، ترجمة شعبان بركات، المكتبة المصرية، بيروت ١٩٥٢م.
الدوريات

١٥٦ ـ حيدر، إبراهيم الشيخ.
ـ مثلهن الأعلى خديجة، مجلة النور، لندن، السنة العاشرة، العدد ١١١/ ٢٠٠٠م.
١٥٧ ـ خليل، عماد الدين.
ـ عرض للدعوة الإسلامية في عدها المكي، مجلة المورد، المجلد الرابع، العدد الرابع ١٩٧٥م.
١٥٨ ـ رضا، محمد سعيد.
ـ صفحات من التاريخ الحربي للمرأة، مجلة آفاق عربية، السنة التاسعة، العدد ١١، ١٩٨٥م.
١٥٩ ـ الصفار، عبد الرزاق قاسم.
ـ زوجات النبي«ص» الطاهرات في السيرة النبوية لإبن هشام، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، العدد ١٣، ١٩٨١م.
١٦٠ ـ طبارة أمينة محمد.
ـ التحرر يبدأ في عقول الرجال والنساء، مجلة العربي، العدد ٥٠٩، أبريل ٢٠٠١م.
١٦١ ـ العسلي، خالد صالح.
ـ دور أجداد الرسول في مكة، مجلة كلية التربية، العدد ٦، السنة الثالثة، ١٩٨١م.
١٦٢ ـ علي، جواد.
ـ موارد تاريخ الطبري، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الثالث ١٩٥٤م.
١٦٣ ـ العلي، صالح أحمد.
ـ المؤلفات العربية عن المدينة والحجاز، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الحادي عشر ١٩٦٤م.
١٦٤ ـ المعايطة، زريف.
ـ يزيد بن رومان أحد رواد مدرسة المغازي في المدينة، مجلة المنارة، جامعة آل البيت، المجلد الأول، العدد الأول آذار ١٩٩٩م.

الفهرس

الإهداء ٧

المقدمة ٩

الفصل الأول ٤٣

نسب السيدة خديجة(ع) ودور آبائها في أحداث مكة ٤٥

ولادة ونشأة السيدة خديجة عليها السلام ٦٥

الفصل الثاني ٧٣

زواج السيدة خديجة(ع) قبل النبي(ص) ٧٣

أزواجها قبل الرسول(ص) ٧٥

أبو هالة التميمي زوج السيدة خديجة (ع) ٨٣

١ ـ الحارث بن أبي هالة ٨٤

٢ ـ الزبير بن أبي هال: ٨٨

٣ ـ الطاهر بن أبي هالة ٨٩

٤ ـ هالة بن أبي هالة ٩٦

٥ ـ هند بن أبي هالة ٩٨

٦ ـ زينب بنت أبي هالة ١٠٨

الفصل الثالث ١١٣

الوضع المالي للسيدة خديجة (ع) ١١٣

١ ـ مصادر أموالها ١١٣

٢ ـ عمل الرسول(ص) في تجارتها ١١٣

٣ ـ موارد انفاق أموالها ١١٣
مصادر أموال السيدة خديجة(ع) ١١٧
إدارة السيدة خديجة(ع) للتجارة ١٢١
عمل رسول الله(ص) في تجارة السيدة(ع) ١٢٢
موارد أنفاق أموال السيدة خديجة(ع) ١٣٩
الفصل الرابع ١٥٩
زواجها من رسول الله(ص) وحياتها حتى البعثة ١٥٩
روايات زواج الرسول(ص) بالسيدة خديجة(ع) ١٦١
مراسيم الزواج ١٨٣
الفصل الخامس ١٨٩
القاسم بن رسول الله(ص) ١٩٤
عبد الله ابن رسول الله(ص) ١٩٧
بنات النبي(ص) ٢٠١
زينب بنت رسول الله(ص) ٢٠١
رقية بنت رسول الله(ص) ٢٠٩
أم كلثوم بنت رسول الله(ص) ٢١٦
السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله(ص) ٢١٨
الفصل السادس ٢٣٥
حياة السيدة خديجة(ع) بعد البعثة النبوية المطهرة ٢٣٥
موقف السيدة خديجة(ع) من نزول الوحي على رسول الله(ص) ٢٣٧
إيمان السيدة خديجة(ع) ودورها في البعثة النبوية ٢٦٨
وفاة السيدة خديجة(ع) ٢٧٧
أحاديث رسول الله(ص) فيها ٢٨٤
الخاتمة ٢٩٣
المصادر والمراجع ٢٩٩